جريمة اغتيال الأسرى المصريين

وثيقة أدبية إسرائيلية

د. عبد الرازق سيد سليمان

تقديم

د. إبراهيم البحراوي

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل
شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا
ت: ٠١٠٠١٠٤١١١٥ - ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤
٠١٢٩٩٦١٦٢٣٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : جريمة اغتيال الأسرى المصريين ...
وثيقة أدبية إسرائيلية

المؤلف : د. عبد الرازق سيد سليمان

تقديم : د. إبراهيم البحراوي

رقم الإيداع : ١٦٩٤٢ / ٢٠١٠

الطبعة الأولى ٢٠١٠

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل الرئيسي - شارع
٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا . ت: ٢٧٨٧٧٥٧٤ /٠٢

محمول : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

إهـــداء

إلـــى...

من غرسا في حب العلم مُنذُ الصغر

والدي ووالدتي رحمهما الله

وإلـــى...

شريكةَ كفاحي وعمري

وأملي وامتدادي أبنائي..

أسماء وأحمـد وهدير

و...

أحفادي أحمد وأدهم لؤي الدين

تقديم

◆◆◆

تقديم

عندما كنا نخوض حرب الاستنزاف المصرية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلية الرابضة على حافة قناة السويس .. طالبني بعض كبار المثقفين بضرورة الكشف عن آثار الضربات التي يوجهها المقاتل المصري في بنية الوعي الصهيوني ، التي كانت قد بلغت أوج مفاهيم ومشاعر جنون العظمة بفعل الانتصار ، في عام ١٩٦٧ .

من هؤلاء المثقفين أستاذي الناقد الكبير الدكتور عبد القادر القط وأستاذي الدكتور حسن ظاظا أستاذ الدراسات العبرية والناقد رجاء النقاش والشاعر عبد المعطي حجازي.

تلبية لهذا المطلب الهام الذي يصب في إطار معركة التحرير... اعتمدت على منهج دراسة مجتمع العدو عن بعد، وذلك باستخدام القصة القصيرة والقصيدة والروايات القصيرة التي كانت تنشرها الملاحق الأدبية في الصحف العبرية الإسرائيلية . بهذا أرسينا في قسم اللغة العبرية وآدابها مبكرا منهج الكشف عن أعماق المجتمع المعادي من خلال الأعمال الأدبية.

إن رسالة الماجستير التي أعدها الطالب عبد الرازق سليمان تحت إشراف أخي وصديقي المرحوم أ.د. رشاد عبد الله الشامي تدخل في هذا الباب . لقد نوقشت الرسالة عام ١٩٩٦، وجاءت لتقدم لنا كشفا محققا من خلال أعمال الروائي الإسرائيلي أهارون ميجد. إن أبعاد هذا الكشف متعددة في رؤية المجتمع الإسرائيلي للعلاقة مع العرب وهي تثير اهتمام الباحثين ، غير أن أحد أهم جوانب هذا الكشف هو الكشف عن جريمة اغتيال الأسرى المصريين في رواية (حادثة الأبله) المنشورة عام ١٩٦٠ .

إن هذا الكشف يقدم لنا شهادة مبكرة عن جرائم الحرب الإسرائيلية بقلم أديب معروف برفضه لهذه الجرائم ، وهو كشف وإن كان يأتي في صورة روائية إلا إنه يضاف إلى سجل الوثائق الدالة على وقوع هذا النوع من الجرائم.

إنني أعتقد أن كتيبة العبري المصرية التي تضع نصب عينيها تزويد القارئ العربي بطبيعة الحركة الفكرية داخل إسرائيل .. قد كسبت باحثا كبيرا بانضمام صاحب الرسالة الدكتور عبد الرازق سليمان الذي أنجز فيها بعد رسالته للدكتوراه تحت عنوان « الشتات اليهودي في الرواية العبرية المعاصرة في إسرائيل » .

د. إبراهيم البحراوي

كلية الآداب – جامعة عين شمس

العباسية – القاهرة

١٥ أبريل ٢٠١٠

مقدمة

مقدمة

يعد الأدب من أوثق البراهين وأهمها، التي يمكن الاستناد إليها في استخلاص المعلومات، عن تكوينات، واتجاهات أي مجتمع من المجتمعات، والوصول إلى بواطنه المختلفة، والتي يصعب في كثير من الأحيان رصدها عبر مصادر أخرى من كتابات مباشرة، سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وفلسفية.

فالعمل الأدبي يتناول الأحداث السياسية، والاجتماعية، وغيرها، وهناك اتفاق على أن العمل الأدبي يعتبر بمثابة وثيقة تاريخية، استنادًا على تضمين أية رواية لإشارات زمانية، ومكانية، مأخوذة من الواقع، بشرط أن تحتوي على معان إنسانية تشمل العالم، ولا تحد بمحيط ضيق، والنص الأدبي يؤثر، ويتأثر بالسياق الاجتماعي للمجتمع، متضمناً الوقائع التي يعيشها الإنسان.

ونحن في مجال بحثنا، وتعقبنا للمجتمع الإسرائيلي، والتعرف عليه، وعلى مراحل تكونه، وتبلوره، والتزود بالمعرفة حول مكامن القوة، والضعف داخله، كان لزاماً علينا أن نتجه صوب آداب هذا المجتمع، وبالتحديد صوب اتجاه الواقعية ، حيث تبرز لنا الصورة بتفاصيلها، ودقائقها، معبرة عن هذا المجتمع بكل ما يموج فيه من صراعات، وتخبطات، وصدامات مختلفة، وما يمارسه الإنسان من نشاطات، وعلاقات تفرز طابع هذا الإنسان، وعلاقته مع البيئة، التي يحاول التكيف، والتأقلم فيها، ثقافياً، واجتماعياً.

وإذا كان الإنسان هو محور اهتمام الأدب عامة، والرواية الواقعية بصفة خاصة،

فإن الإنسان عند الأديب «أهارون ميجد»، هو الأساس الأول في بؤرة اهتمامه في أعماله، وما يعنينا هو توجهاته للإنسان العربي الفلسطيني، باهتمام خاص، وبإيجابية في معظم مواقفه، وآرائه، وخاصة أن شريط حياته متعلق، تماماً، بالإنسان الفلسطيني، بداية من وصوله مهاجراً إلى فلسطين، والاحتكاك المباشر في تجربته في العمل بالميناء، وصولاً لرأيه بالحل العادل للحق الفلسطيني ، ومطالبته بتقسيم الأراضي، وحسن الجوار، والعيش في سلام.

ومن هنا وقع اختياري على بحث الواقعية في النثر العبري الحديث ، واختيار «ميجد» كواحد من أهم رموز الواقعية. قبل، وبعد قيام إسرائيل، ومن هنا تأتي الدراسة موازية بشيء من التشابه مع ما تقوم به مراكز البحوث الأدبية الإسرائيلية المتخصصة في دراسة مصر والعالم العربي، مثل دراستهم، وترجمتهم للأديب المصري العالمي، نجيب محفوظ، والعديد من رموز الواقعية بمصر.

إنهم يسعون إلى التعرف على الواقع المصري الحضري، والريفي، وأبعاد الشخصية المصرية بكل ملامحها، وبالتالي التعرف على المجتمع، وبواطنه، وأسراره، وفي المقابل فإن هذا هو هدفنا من دراسة 'الإنسان الإسرائيلي، ومجتمعه ، وعلاقاته، وتطورها تجاه العرب والفلسطينيين.

وقد كانت هذه الدراسة موضوع رسالة للماجستير، ومن ثم فقد تم الاكتفاء بالقضايا الأساسية بشكل مباشر، دون التفاصيل الخاصة بحياة وإنتاج الأديب، وأطلق اسم الجزء من الكل لأهمية هذا الكشف، الخاص بجريمة اغتيال الأسرى المصريين، وهي القضية التي تثار بين لفينة والأخرى .

وتتكون الدراسة من بابين رئيسيين، يشمل كل باب ثلاثة فصول.

بيد أنني لا يمكن أن أثُمن أو أقدر جهد وعطاء العالم الجليل الأستاذ الدكتور رشاد الشامي –رحمه الله– الذي كان خير عون لي من علم وفير طوال فترة الإشراف على الرسالة، والذي كان هاديًا، ومرشدًا، ومعلمًا، وأستاذًا، وكذا الدعم العلمي والفكري من المفكر الكبير أستاذ الدراسات الإسرائيلية بمصر والعالم العربي الأستاذ الدكتور إبراهيم البحراوي.

وكل الشكر والتقدير للباحث المتميز «خالد سعيد» على مساندته ومجهوده الكبير في إخراج هذا العمل .

د عبد الرازق سيد سليمان

القاهرة في ١٥/ ٣/ ٢٠١٠

تمهيد

تمهيد

مما لا شك فيه أن المعرفة العلمية الصحيحة والدقيقة بالواقع الإسرائيلي، والإنسان الإسرائيلي، بشكل عام تعد مطلباً، بل ومسؤولية تقع على عاتق الباحثين المصريين المشتغلين بالدراسات العبرية، بشكل خاص، لتقديم صورة واضحة، ودقيقة، يمكن أن يستند إليها متخذو القرار لإدارة الصراع، في إطار يتيح النجاح لكسب القضية.

ونتيجة لازدياد الثقة بالوثيقة الأدبية، فقد اتجهت مجموعات من الباحثين في المجتمعات الحديثة، والمعاصرة، وخاصة الإسرائيلية منها، إلى الاعتماد على الظاهرة الأدبية، للكشف عن مختلف الأوضاع في هذا المجتمع، ومع مرور الوقت، تطور هذا الاعتماد، وتبلور عنه اتجاه نحو دراسة إسرائيل من الداخل، والتعرف عليها عبر الوثيقة الأدبية.

ويعد الأدب الإسرائيلي من الوثائق، والأدلة المهمة، التي يمكن الاستناد إليها في الكشف عن القضايا والإشكاليات المهمة للمجتمع الإسرائيلي، لتقصي جذوره من جميع النواحي الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها.. ، والتي يصعب في كثير من الأحيان رصدها بصدق عبر مصادر أخرى، مثل الكتابات المباشرة، بشتى توجهاتها، وأنماطها.

ولما كان للأدب العبري الحديث والمعاصر دور بارز في تناول القضايا والإشكاليات المهمة، التي واجهت الصهيونية، منذ نشأتها، وتغلغلها في فلسطين بأساليبها الاستيطانية، والتعبير عنها، فإنه قد ساهم في إبراز القضايا، والأزمات

التي واجهت الدولة الإسرائيلية، منذ قيامها، كالصراع بين المتدينين والعلمانيين، والصراع الطائفي والثقافي بين الإشكناريم والسفاراديم، والمهاجرين بمختلف هوياتهم، والصراع المهم حول إشكالية الشتات اليهودي، والصراعات الأخرى، وحول تحديد الهوية الإسرائيلية، وهوية اليهود داخلها...

لذا كان من الطبيعي، بل ومن المحتم التوجه للأدب العبري المعاصر لدراسة القضايا المهمة، التي نسعى لبحثها للتعرف على المجتمع الإسرائيلي الحالي، ونقاط قوته وضعفه، وإفرازات تلك القضايا، وتأثيرها على المشروع الصهيوني، وصاحب القرار الإسرائيلي.

ومن هنا، تأتي دراستنا لأدبه، واستخراج ما يخدم استجلاء الصورة عن مسلك قادة إسرائيل بين الماضي والحاضر، فيما يتعلق ببعض القضايا، التي تهمنا في الوقت الراهن، وتعطي صورة واضحة لصانع القرار العربي للحوار، وانتزاع الحقوق المسلوبة.

وانطلاقا من ضرورة تعريف القارئ العادي بأهمية الأدب العبري، وكيفية استغلاله في كشف تلك القضايا الشائكة، وتقديم أطروحات أدبية كدليل وشاهد على الصورة الغاصبة لإسرائيل، وعلى سياسة القتل المتعمد بدم بارد، طرح الباحث عبد الرازق سيد سليمان، في رسالته للماجستير، والتي جاءت تحت عنوان « الواقعية في النثر العبري الحديث من خلال الإنتاج الروائي لأهارون ميجد» ، التي أجيزت عام ١٩٩٦، والتي تناقش ملف الأسرى المصريين في حرب ١٩٥٦، وهو ما كتبه المفكر الدكتور إبراهيم البحراوي، في مقاله مطولة له في صحيفة المصري اليوم القاهرية، بتاريخ ١٤/ ٧/ ٢٠٠٩، تحت عنوان « ماجستير مصرية تكشف رصدًا مبكرًا لاغتيال الأسرى »، كتعريف بالدور الذي تقوم به كتائب المختصين في لغة

العدو، وفكره، وأدبه، ومجتمعه، وسياسته في أوقات السلم والحرب، للكشف عن أعماق المجتمع المعادي لترشد صانع القرار، وقوى التأثير إلى مواطن الخطر، أو ترصد معلومات يمكن أن تكون حاسمة، إذا عرفناها في موعدها .

تعتمد الرسالة بشكل أساسي على وثيقة أدبية إسرائيلية مهمة، تناولت حزمة من القضايا الإستراتيجية والسياسية، على رأسها قضية الأسرى المصريين واغتيالهم، في حرب ١٩٥٦ بدم بارد، حيث رصد الباحث كشفاً مبكراً لعمليات اغتيال الأسرى المصريين، التي شغلت الشعب المصري في كثير من الفترات التاريخية اللاحقة، خاصة حقبة الثمانينيات من القرن الماضي، بعد أن توالت شهادات الجنود والضباط الإسرائيليين الذين شاركوا في تنفيذ هذه العمليات القذرة مع تقادم الزمن.

في الرواية الإسرائيلية التي نشرت في عام ١٩٦٠، يقدم الأديب أهارون ميجد، فصلاً عن محاكمة عسكرية يمثل أمامها بطل الرواية، التي تحمل عنوان « نصيب الأبله»، من هذه المحاكمة نعرف أن الجندي العبيط أو الأبله، يحاكم بتهمة الامتناع عن تنفيذ أمر عسكري صدر له بقتل الأسرى الموجودين في المعسكر، الذي كلف بحراسته.

تتحدث الوثيقة الأدبية الإسرائيلية صراحة عن العدوان الثلاثي الذي شنه كل من إسرائيل، وفرنسا، وبريطانيا؛ في البداية نعرف أن البطل العبيط كان يعاني مشاكل نفسية، وتعقداً في علاقاته الاجتماعية، لدرجة أنه كان يفكر في الانتحار، غير أن حالته النفسية تتحسن عندما يستدعى إلى القتال، فيهتف بالشكر لله، أن أنقذه من الموت بالانتحار، عن طريق الانضمام إلى الجيش، وهي إشارة دالة على الدور الذي تؤديه الحرب في حل المشكلات الاجتماعية والصراعات الداخلية في إسرائيل عن طريق توحيد الصفوف. إن الحوار الذي يضعه الروائي الإسرائيلي على لسان القاضي

العسكري، والجندي المتهم، يكشف لنا عن المنطق الكامن وراء اغتيال الأسرى بدم بارد، ذلك المنطق الذي تم طبخه في بوتقة الفكر الصهيوني العدواني على مهل، كوصفة ضرورية للتخلص من الوجود العربي، وكسر إرادة المقاومة، والقتال.

إن القاضي يطلق هذا المنطق في وجه الجندي المتهم، فهو متهم بأنه لم ينفذ الوصية الملزمة لجنود الجيش وضباطه «اقتل الآخر قبل أن يقتلك»، إن هذا المنطق لا يطبق هنا على جنود محاربين في ساحة القتال، ولكنه يطبق على جنود عُزَّل، استسلموا، وألقوا سلاحهم، وأصبحوا في وضع الأسير الذي تحميه القوانين الإنسانية .

إن حجة الجندي في عدم تنفيذ الأمر بفتح رشاشه على الأسرى لا تقنع القاضي العسكري، فالجندي يقول : إنه لا يستطيع أن يقتل إنساناً وهو يرى وجهه في النور، ولكن القاضي يسخر من هذه المشاعر الضعيفة والسخيفة التي لا تليق بجنود الجيش الإسرائيلي. يرفض القاضي كل محاولات الجندي لإيضاح أن العدالة لا تتفق مع قتل الأسرى، واغتيالهم وهم مكبلون، ولكن القاضي الذي يمثل صوته قيم الجيش، والقيم الصهيونية الحاكمة للعقل الإسرائيلي، وسلوكه تجاه العرب، يرفض كل هذا السخف .

تجددت قضية الأسرى المصريين في عام ٢٠٠٧ ، حينما كشفت القناة الأولى بالتليفزيون الإسرائيلي عن فيلم وثائقي جديد، عن مجزرة قتل الأسرى المصريين خلال انسحابهم من سيناء، بعد توقف القتال، في يونيو ١٩٦٧، وهي المجزرة التي قامت بها وحدة عسكرية إسرائيلية تدعى « شاكيد »، بقيادة بنيامين بن اليعيزر، وزير التجارة والصناعة الإسرائيلي الحالي، واستشهد خلالها ٢٥٠ مصريًا لا يحملون أى سلاح.

الفيلم الذي حمل عنوان « روح شاكيد »، كان مثار جدل كبير داخل إسرائيل

وخارجها، خاصة حينما زعم ابن اليعيزر أن الجنود القتلى في مذبحة شاكيد كانوا فلسطينيين وليسوا مصريين؛ بيد أن أوساط مصرية دبلوماسية، وسياسية، وثقافية، وأوساط النخبة، والمجتمع المدني في مصر، حاولت استغلال الفيلم الوثائقي الإسرائيلي لتحريك القضية من جديد ، وتقديم الجناة والقتلة إلى المحاكمة الدولية، فيما أنشأ مجموعة من المثقفين المصريين لجنة للدفاع عن حقوق الأسرى والمفقودين، حملت الاسم ذاته، كمحاولة لتحريك القضية أمام القضاء المصري والدولي.

تجددت القضية مرة أخرى، كحلقة محورية في مسلسل الأسرى المصريين، وحقوقهم المهدرة، حينما قام وفد إسرائيلي في شهر فبراير ٢٠١٠، بأعمال حفر في فناء مدرسة بمحافظة الإسماعيلية، بحجة البحث عن رفات جنود إسرائيليين، لقوا مصرعهم في حرب ١٩٧٣، بمنطقة أبو عطوة، وهي المنطقة التي شهدت معركة الدفرسوار الشهيرة بين مصر وإسرائيل، ما يدفعنا إلى المطالبة على الأقل بالمثل، بالبحث عن رفات جنودنا الذين استشهدوا في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والذين استشهدوا في سيناء أيضًا، ولم يتم العثور على رفاتهم، حتى الآن .

وبعد ، فقد دفع مسلسل تجديد الحديث عن الأسرى المصريين في حربي ٥٦، ٦٧ الباحث الدكتور عبد الرازق إلى نشر رسالته التي نال عنها درجة الماجستير بامتياز من جامعة عين شمس في عام ١٩٩٦، والتي توثق وتؤكد الحقوق المصرية المهدرة، وكيف قامت إسرائيل باغتيال هؤلاء الأسرى بدم بارد، استنادًا إلى مقولة : «اقتل الآخر قبل أن يقتلك» .

◆ ◆ ◆

الباب الأول

قضية الأسرى وحربي الاستنزاف وأكتوبر في الأدب الإسرائيلي

الفصل الأول

قضية الأسرى والمعتقلين في حرب (١٩٥٦)

تناول الأديب الإسرائيلي «أهارون ميجد»[1]، بعض الجوانب الإنسانية

---

(١) الأديب الإسرائيلي الواقعي (أهارون ميجد):

انطلاقاً من المقولة الشهيرة «الأدب تعبير عن المجتمع»، وحيث إنه لا يمكن للباحث أن ينتزع الكاتب، أو يفصله عن مجتمعه، باعتباره عضواً فيه، يتأثر به، ويؤثر فيه، فإن السيرة الذاتية للكاتب تعتبر بحق مصدراً رئيساً لدراسة إنتاجه الأدبي، ولفهم البيئة المحيطة به، كما أن دراسة العمل الأدبي تعين الباحث، أيضاً، على تحديد العناصر المؤثرة والمكونة لحياة الكاتب بوجه عام (جلاء إدريس، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الإسرائيلي المعاصر، دار الثقافة العربية القاهرة ٢٠٠٣، ص٦٥).

ومن هنا، فإن دراسة جذور الأديب الأولى، وخاصة إذا كانت في الشتات لها أهميتها، وتأثيرها البالغ على حياة الأديب، وإنتاجه على مدى مشوار حياته، وفي مجتمعه الجديد (إسرائيل) المغاير، تماماً، لمجتمعه الأول (الشتات).

ولد أهارون ميجد، عام ١٩٢٠، بمدينة (فولتسلفيك) ببولندا، وهاجر إلى فلسطين، عام ١٩٢٦، حيث حطت قدماه فلسطين في سن الخامسة والنصف، وعلى الرغم من أنه تربى، وترعرع، وشب على أرض فلسطين، فإنه يقول:

«إنني شخصياً، أولاً، وقبل كل شيء، لست من مواليد فلسطين، وكنت لفترة قريبة أصنف بالطبع ضمن الأشخاص القادمين من الشتات».

وكان أول احتكاك له في حياته الجديدة على أرض فلسطين مع العرب، حيث لاقى كل احتضان وحنان كطفل، حيث كان لذلك أكبر الأثر في نظرته الإيجابية للحق العربي في فلسطين، فيقول: «في صباح يوم مشمس، في أبريل ١٩٢٦، وصلنا إلى يافا بالسفينة، وكان البحر هائجاً، ورست السفينة على مسافة من الميناء، وقام أحد البحارة العرب برفعي من على سطح السفينة بين ذراعيه، ثم أنزلني في قارب صغير، حيث نزلنا على رصيف الميناء، وقام الموظف الإنجليزي بفحص جوازات سفرنا، وبعدها كانت مرحلة العزل الصحي».

وسارت حياته بعد ذلك ما بين تل أبيب ورعنانا، حيث مشوار التعليم، ويقول: أنه أصبح صباراً، ورافق=

والأخلاقيـة المتصـلة بـالحرب، مثـل مشـكلة الأسرى، وسـلوكيات الإسرائيليـين تجاههم، ومحاولة قتلهم، والتخلص منهم.

وقد طرح ذلك في رواية (حادثـة الأبلـه ١٩٦٠)، حيث إنها عـبرت عـن قضـايا الشباب اليهودي، وصراعاتهم مع الحيـاة، والتخـبط بـين الالتـزام بـالقيم الإنسـانية، وبين الالتزام بأهداف وأيديولوجيـة الصـهيونية، المتمثلـة في الاسـتيطان في الأراضي العربيـة، والقتـل والاعتقـالات لأصـحاب تلـك الأرض، وإلـزام كافـة الشـباب اليهودي بمبدأ «اقتلـه قبـل أن يقتلـك»(المقصـود أي إنسـان عـربي عـلى الإطـلاق)، وتبرز الرواية تردد البطـل، وصراعـه مـن أجـل التكيـف مـع الآخـرين، وكـذا تـردده وضعفه أمام إمكانياته، وما هو مطلوب منه أن ينجزه مـع الآخـرين، مخالفًـا لفكـره، ومبادئه. ومن هنا، يتجسد ضعف الجندي في التفكير في الانتحار.

وأمام تلك الخطوط الدرامية، التي يمـر بهـا بطـل الروايـة، يخـرج علينـا الكاتـب بنبـوءة الخـلاص لبطـل الروايـة مـن ذلـك كلـه، وهـو انـدلاع حـرب (١٩٥٦)، ومشاركته فيها، تاركًا وراء ظهره كل معوقاته، ومشاكله، ومتناسيًا لغربته، واغترابـه بـين الجميـع، وسـلبياته، اجتماعيـاً، وقوميـاً، وذلـك مـن خـلال إلقـاء نفسـه في أتـون الحـرب والقتـال. وهـذا الاتجـاه هـو اتجـاه سـاد الأدب الإسرائـيلي، وكـان يـرى أن الحـرب، ودق نـواقيس الخطـر، سـوف تجعـل الجميـع ينسـون الفـوارق فـيما بيـنهم،

= العرب من شتى الجنسيات من خلال عمله في الشحن بمواني فلسطين البحرية، وشارك في المعسكرات الشبابية، والاشتراكية من خلال المستوطنات، وسافر إلى الولايات المتحدة في نطاق العمل الشبابي، عـام ١٩٤٦، وعمـل ملحقـاً ثقافيـاً، وكتـب في عـدة مجـالات مـا بـين الروايـة، والقصـة القصـيرة، والمسرحيات، وقصص الأطفال، وفاز بعدة جوائز.

ولـه أسـلوب متميـز في وصـف البيئـة، و لشخصـيات، مطابقـة للواقـع، كـما هـو في تناولنـا لـبعض القضايا، التي أوردها في إنتاجه، وتهم الباحث، والقارئ العربي.

ويطرحون مشاكلهم الفردية جانبًا، وتذيب التعددية، وعدم الاتفاق من خلال الانصهار تحت لواء الحرب، كنوع من الخلاص الفردي على المستوى الشخصي، مما يعانيه من ضياع، وتمزق، وعدم انتماء.

لقد كان الأدباء الإسرائيليون يرون أن مجرد الانخراط في الجماعة تحت هدف واحد، وهو الحرب من أجل البقاء، يمثل مخرجًا من كل الأزمات العامة، وينقذ الفرد من الضياع، والتخبط، ومن سلبية التأقلم، وعدمية الانتماء، وهو ما يمثل صورة واضحة، وفريدة لإشكالية المجتمع الإسرائيلي.

ويبرز الكاتب الصورة الإيجابية للبطل داخل صفوف الجيش، موضحًا الحل الأيديولوجي لسلبيته، فيقول:

و« الله أكبر»، أي معجزة حدثت، لقد اندلعت الحرب، وأنقذتني من الموت»[1].

وهذه الجملة التي وردت على لسان الشاب الإسرائيلي، تعكس بلا شك قمة السخرية التي اعتاد الأديب أهارون ميجد استخدامها في رواياته، حيث إن البطل يجد في الحرب، التي هي المرادف الطبيعي للموت، والفناء، والدمار، إنقاذاً له من الموت.

إنه يفضل الموت من خلال القتال على الموت البطيء، منطويًا على صراعاته الداخلية .

ويجسد« ميجد» هذه الحالة مرة أخرى في جملة موجزة، ولكنها دالة على نفس التوجه الساخر، حيث إن البطل (بطل الرواية) الذي فشل في التأقلم مع الجماعة في حياته الخاصة، سرعان ما يتحول إلى واحد من الجماعة الجديدة، وهي الكتيبة

(١) أهارون ميجد، رواية حادثة الأبله، هكيبوتس همؤ حاد، تل أبيب، ١٩٦٠.

العسكرية، وهو في حالة من النشوة:

حيث جاء على لسانه إبان انضمامه لصفوف المعركة:

«أصبحت أحد أفراد كتيبة، واحداً من الكثيرين، واحداً من الشعب، صافحت الأيدي، وضحكت، ألقيت التحية على رجال دون سابق معرفة، أصبحوا كلهم أصدقائي»[1].

ولكن هذا الجندي في مسار خدمته العسكرية يواجه موقفاً يعرضه للمحاكمة العسكرية، وهذا الموقف يتمثل في عدم تنفيذه لأوامر قيادته بإطلاق النيران على الأسرى المصريين العُزل في واحد من المعسكرات المخصصة لتجميعهم.

ومهد ميجد لهذه القضية، من خلال وصفه لمعسكر معد لإيواء المعتقلين والأسرى، حيث كلف هذا الجندي بنوبة حراسة، ثم صدرت له التعليمات بدخول المعسكر، وإطلاق النيران على المعتقلين، ولكنه لم يمتثل لهذه الأوامر، وتجمدت يداه، ولذا تم تقديمه للمحاكمة.

ومن خلال جلسات المحاكمة العسكرية تبرز عناصر القضية واضحة من خلال الحوار بين القاضي العسكري، والجندي الذي يتمتع بنزعة ضميرية إنسانية:

- القاضي العسكري في توجيه الاتهام للجندي:

آمل أن تكون مدركاً لسبب سقوطك ومحاكمتك.

- الجندي: جاءني صوته من طرف القاعة، مددت يدي جانباً، واتضح لي ،الآن، فحسب، ما هي التهمة التي سيتهمونني بها، أجبت بصوت خافت: كانت هذه حادثة.

---

(١) المصدر نفسه .

تساءلت بصوت عال: كيف؟

أجبت مرة ثانية، قائلاً: كانت هذه حادثة.

– قال القاضي، وبغموض كما لو كان الصوت يأتي من بعيد جداً، ولا يكاد يسمع، وربما فهمت فحسب، من حركة شفتيه، أنه يقول:

«إذا لم تبادر بقتل من هو آت (العربي)، قتلك» [١].

وهكذا يتضح من خلال هذا المشهد، ومن جملة الختام فيه، لماذا يحاكم الجندي؟ إن الجندي يحاكم لأنه لم يطبق الشعار العسكري الذي يتبناه «الجيش الإسرائيلي»، ويعتبره بمثابة «عقيدة قتالية»، ولذا فإن الجندي الذي يتجاوزه، يستحق المحاكمة العسكرية، لأنه طبقاً لذلك قد عرض حياته للخطر، بل والقتل (من وجهة نظر قادة الجيش الإسرائيلي).

وهنا نجد أن أهارون ميجد بإثباته لهذا الشعار على لسان القاضي العسكري، إنما هو يؤرخ لتقاليد « الجيش الإسرائيلي»، ولموقفه من قضية تفجرت بعد أربعين عاماً، لتصبح وصمة عار في جبين العسكرية الإسرائيلية، وهي قضية قتل الأسرى العرب في حرب ١٩٥٦، عن عمد، وبأوامر عسكرية.

«لقد تعالت أصوات شريفة في إسرائيل تدين هذه الجرائم (جرائم قتل الأسرى في حرب ١٩٥٦)، فقد وصف الصحفي والسياسي الإسرائيلي، «يوري أفنيري»، ما فعله العسكريون الإسرائيليون في الأسرى المصريين، بأنه نموذج لممارسات فرق العاصفة النازية، وتقدم أفنيري بشكوى ضد السفاح «أرييه بيرو»، واثنين من الضباط المتقاعدين، وأكد ضرورة محاكمتهم كمجرمي حرب» [٢].

(١) المصدر نفسه.

(٢) كريمة كيرلس، الأخبار (المصرية)، العدد ١٣٥٠٠٨، ٢٢/٨/١٩٩٥، ص٣.

وهنا يتطابق الدليل الوارد في سياق المحاكمة، مع ما أثير حول هذه القضية حول أبطالها الحقيقيين، كواقع حدث بالفعل« شهادة إسرائيلية جديدة »المحاكمة لمن يرفض قتل الأسرى المصريين. وروى، أيضاً (ناحوم بن تسفى)، البالغ من العمر حالياً (١٩٩٥)، ستين عاماً، ويمتلك مطبعة بمدينة القدس، لصحيفة معاريف، «أنه ظل لمدة عام كامل لا يتحدث مع قائده، لأنه رفض الاشتراك في قتل أسرى مصريين، أثناء حرب ١٩٥٦. فقال ناحوم إنه كان في هذه الحرب ضمن فصيلة كان مقرر لها الانضمام للكتيبة ٨٩٠».

ويضيف أنه وزملاءه تلقوا أوامر من قائد الكتيبة بإطلاق النيران على الأسرى المصريين، وأنه، وجندي آخر رفضا إطلاق النار على الأسرى، وهنا هددهما القائد بأنه سيقدمهما للمحاكمة، ورد عليه ناحوم بأنه لو فعل ذلك فمن يتردد في فضح أمره عند العودة من الحرب، وغضب الضابط جداً، ولم يقدمه للمحاكمة، وظل عاماً لا يحدثه»[1].

ومع استمرار محاكمة الجندي في رواية الأديب الإسرائيلي الواقعي، أهارون ميجد، نلمس صدق الصورة مع ما ورد حول تلك القضية، بالفعل على لسان الأبطال الحقيقيين أثناء الحرب.

- **الجندي المتهم**: ومع فهمي لما يدور في المحاكمة، شعرت بشيء من الراحة، فالتهمة ليست خطيرة جداً، وعلى أية حال، فإن موتي هو أمر يخصني أنا.

(وكما لو كان القاضي قد سمع ما فكرت فيه).

فقال القاضي: بطبيعة الحال فإنك بكونك جندياً فإن حياتك هي ملك للدولة.

الجندي: وبشكل آلي، قفزت منتصباً، وأديت التحية العسكرية، سمعت ضوضاء

(١) كريمة كيرلس، الأخبار المصرية، العدد ١٣٥٠٠١٤، ٢٩/٨/١٩٩٥، ص ١٣.

على الأريكة، لاحظت أن عدداً من الجالسين قد اعتدلوا، والتفتوا كل نحو الآخر، وهم يتهامسون بشيء ما.

أشار القاضي بحركة من يده، ليوضح أنه بإمكاني العودة لوضع استرح (وقفة عسكرية للراحة)، وسألني:

القاضي: ماذا عندك لتقوله في هذا الصدد؟

الجندي: عن أي شيء؟

(كان الهرج والهمس على الأريكة أكبر مما كان في بدايته، وترامى إلى ضحك خفيف).

أومأ القاضي برأسه إلى أسفل، ونظر إليّ بطرف جبينه، منتظراً لجوابي، ربما أكون قد أخطأت.

فكرت ربما لم يكن من قبيل الصدفة أنني قتلت، حاولت أن أتذكر الوقائع التي حدثت في اللحظات الأخيرة، قبل حدوث الألم الشديد الذي شق صدري.

ويستمر الجندي: تصورت أن سكوتي قد طال جداً، ولاحظت أن كل الحاضرين قد فقدوا صبرهم بسببي.

قلت: لم أستطع إطلاق الرصاص، لقد تجمدت يداي.

لاحقني القاضي بالسؤال: ما السبب؟ كما لو كان متوقعاً تلك الإجابة نفسها.

الجندي: قلت: لقد كان الوقت صباحاً.

قال القاضي: يعني؟

قال الجندي: يعني هذا أنه كان هناك نور، وأنا لا أستطيع قتل إنسان، وأنا أرى

وجهه[1].

في هذا الجزء من المحاكمة، يركز الكاتب على إبراز الجندي في جبهة، يقف فيها وحيداً أمام القاضي، وجميع الحاضرين، الذين يستنكرون موقفه، في الوقت الذي يحاول فيه أن يبرر موقفه بعدم إطلاق الرصاص على المعتقلين بالمعسكر (أسرى حرب ١٩٥٦).

وكما انتهى المشهد الأول بإثبات الشعار، والمبدأ العسكري لتقاليد الجيش الإسرائيلي، فإن هذا المشهد ينتهي بإثبات وجهة نظر الجندي المقدم للمحاكمة، في مخالفة هذا المبدأ، وهو مع حجته (أنه لا يستطيع أن يقتل إنساناً، وهو يرى وجهه).

وهذا التباين بين موقف القاضي العسكري، الممثل لتقاليد العسكرية الإسرائيلية، وبين موقف الجندي الرافض للامتثال لهذه التقاليد، هو تباين يضع تأكيداً على الفارق بين ما هو لا إنساني، وما هو إنساني، بين تقاليد نزعت عنها الضمائر والأخلاق، وبين إنسان فرد قرر أن يتصرف وفقاً لضميره وأخلاقه الإنسانية، وليس وفقاً للتقاليد العسكرية الإسرائيلية.

ويستمر حوار المحاكمة:

نظر القاضي في الوثائق، التي أمامه، وقال للجندي:

لقد تم إرسالك لتحل محل أحد الحراس على معسكر اللاجئين، فظللت منتحياً جانباً؟

الجندي: اعترفت، نعم .

قلب القاضي ورقة من كومة لأخرى، وأصبحت الخشخشة تسمع، الآن، وكأنها

(١) ميجد، رواية ...، مصدر سبق ذكره.

صدى رعد في السحب.

وقال القاضي: لقد بقيت أنت بالخارج.

الجندي: كان سكوتي بمثابة تسليم بما قال.

سأل القاضي: لماذا؟

قال الجندي: هذا لم يكن لأنهم (الأسرى)، لم يكن باستطاعتهم الدفاع عن أنفسهم.

- **حدق القاضي فيّ بعينيه، وقال**: «القتلة».

الجندي: إنهم لم يبدوا في نظري قتلة، ربما لأن أشعة الشمس الساطعة قد أضاءت وجوههم بلون قرمزي، عاد الضحك مرة أخرى يصدر من الجالسين على الأريكة.

ضحك القاضي بسخرية، وقال: أي أنك أردت تبرئة ذمتك.

الجندي: وحيث إنني لم أجب.

أضاف القاضي قائلاً: أكان من الأنسب لك أن يقوم الآخرون بتنفيذ المهمة[1].

ونتوقف عند مضمون الفقرات السابقة، نجدها تفرز المعطيات التالية:

١- كان هناك معسكر لتجميع المعتقلين العرب، بغرض التخلص منهم، وذلك في أعقاب حرب ١٩٥٦.

٢- لم تكن مهمة الجندي هي الحراسة على المعسكر فحسب، ولكن الدخول لتنفيذ القتل داخل المعسكر.

٣- الأسرى داخل المعسكر كانوا من العُزل، وبطبيعة الحال لا يملكون الدفاع

ـدر نفسه.

عن أنفسهم.

ويستمر حوار المحاكمة:

القاضي يخاطب الجندي المتهم : يا صديق هذا الجيل، هل كنت على استعداد للتضحية بحياة إخوانك لكي تنقذ أرواح القتلة؟

إننا لو كنا اعتمدنا عليك لهلكنا جميعاً، ماذا لديك لتقوله لتبرئة نفسك؟

ماذا؟

ترددت الأصداء في جنبات القاعة.

ويقول الجندي: شعرت بأن قدماي ترتعدان، لم أكن أتصور شخصياً، أن هذا الإنسان المعتدل، يمكن أن يثور بهذا الشكل، كلما أردت تحريك شفتاي لم يستجيبوا لي، وانغرست نظرات الجالسين على الأريكة فيّ كالسهام، والذين فارت وجوههم باتهام يريد الانتقام.

ومع اقتراب نهاية جلسة المحاكمة، يفكر الجندي مستعرضًا ما اعترف به أمام القاضي، فيقول:

فكرت فيما قلته، وفيما لم أقله، غضبت من نفسي، لماذا كان تقديمي للمحاكمة؟

فأخيراً، حياتي وقوتي تلك أمور تخصني وحدي، ولو أنا جندي، ولا يحاكم جندي قد قتل في معركة، ليس هناك أي ضرر من ذلك يخص الدولة.

وفيما بين هذا وذاك، فكرت في قتل نفسي، لماذا لم تكن عندي الشجاعة للقول بما شعرت به في الأيام الأخيرة، وما أعلمه حقيقة[١].

ويواصل القاضي توجيه الاتهامات للجندي:

---

(١) المصدر نفسه.

وهنا فحسب، في المعركة وجدت عندك الشجاعة التي تمنعك من إبادة أعدائك، حتى لا تسبب لهم الألم؟

قال الجندي: نعم أيها القائد.

القاضي: ولتضع حدًا لنهاية حياتك؟[1].

يرصد الأديب الإسرائيلي الواقعي أهارون ميجد، من خلال هذه المحاكمة وقائع أحداث وقعت أثناء حرب ١٩٥٦، وقد كان هذا الرصد معبراً عن الزمان والمكان. ورغم مرور هذه السنوات على تلك الأحداث، التي سجلت من خلال الأدب، نجد اليوم تفجيراً للقضية من خلال أصوات عالية في الصحافة الإسرائيلية، تندد بما حدث خلال حرب ١٩٥٦ ، من انتهاك للقوانين، وقتل للأسرى العرب العُزل، ومما يؤكد هنا واقعية الرصد الأدبي للكاتب الواقعي (ميجد)، أنه صور وعرض القضية، من خلال محاكمة جندي رافض لتنفيذ أوامر القتل والإبادة للعزل، فنجد أن القضية أثيرت في الوقت الراهن، أيضاً، من خلال شهادات حقيقية عن محاكمة من كان يرفض بالفعل تنفيذ القتل والإبادة لأسرى الحرب (شهادة ناحوم أحد جنود الكتيبة ٨٩٠... برفضه أوامر قائده بقتل الأسرى).

وفي ختام جلسة المحاكمة، يُصر القاضي (وهو أحد القادة العسكريين الإسرائيليين) على إدانة الجندي، فيوجه الانتقاد الحاد لسلوك الجندي، ويسخر من مشاعره الإنسانية تجاه الأسرى العرب:-

ضحك القاضي، قائلاً: هل تريد أن نكون جميعاً أتقياء (عادلين).

قال الجندي: بقدر الإمكان.

---

(١) المصدر نفسه .

قال القاضي: وأن نحب أعداءنا، ونغفر لهم.

قال الجندي: لسنا بأفضل منهم، فهم يريدون أن يعيشوا مثلنا.

عند ذلك حدثت ضوضاء وحركة كبيرة من الجالسين على الأريكة، وسمعتهم يقولون، هذا الأمر لابد أن يتوقف.

فنظر إليهم القاضي، وانتظر سكوتهم.

القاضي: معنى هذا أنك غير معترف بعدالتك.

الجندي: قلت في همس: حياتي هي عدالتي.

القاضي: إذا كان الأمر كذلك دافع عنهم (الأسرى العرب).

ودوى صوت القاضي في أرجاء القاعة:

قائلاً: دافع عنهم بكل قوتك.

الجندي: ارتعدت شفتاي، وقلت:

«في الوقت الذي أقتل فيه الآخرين تفقد حياتي عدالتها».

وحسم القاضي الموقف، بقوله للجندي:

إذن أنت تبحث عن العدل فيما وراء الحياة[1].

وهنا في هذا المشهد الأخير، نجد أن الحوار بين القاضي العسكري، والجندي المتهم، يتجاوز الموقف، ويتحول إلى حوار شبه فلسفي، وهو أي عدل يجب أن يسود عند لحظة الاختيار: هل هو العدل الخاص بالإسرائيليين، والذي يحتم قتل الأسرى؟ أم العدل الإنساني الذي يقدس قيمة الحياة؟

---

(١) المصدر نفسه.

وهو سؤال طرحه الأدب العبري الإسرائيلي الذي تعاطف مع المأساة، التي كانت الصهيونية سبباً في حدوثها لأبناء الشعب الفلسطيني، وطالب بعض هؤلاء الأدباء خلال طرحه، أن يكون العدل المطبق هو عدل الإنسانية، وليس عدل الصهيونية، حيث إن تطبيق العدل الإنساني لابد وأن يكون على حساب العدل الصهيوني، أي بما يتناقض مع ما تسعى الصهيونية لتحقيقه من أهداف ترمي إلى التوسع في الاحتلال، ومصادرة الأراضي، ونفي الآخر الفلسطيني بقتله، أو طرده، وعدم الاعتراف بوجوده.

وقد حسم القاضي هنا هذه القضية، من خلال بطل هذه الرواية الجندي الماثل وراء القضبان، لصالح (العدل الإنساني)، بالرغم من رفض القاضي العسكري، وجمهور الحاضرين لهذا المنطق.

وعليه نرى أن الكاتب الواقعي أهارون ميجد، قد رصد بصدق حالة، وقيم المجتمع الإسرائيلي، إبان حرب ١٩٥٦، والتصرفات اللا إنسانية تجاه الأسرى العرب، من قبل الجيش الإسرائيلي.

وسلط الأضواء على الجندي الذي يمثل الطرف المناصر للعدل، والرافض للقتل والإبادة، ممثلاً للجانب الإنساني الذي يحمل قيماً ومبادئ يدافع عنها، ويتمسك بها، في مقابل الجميع الذين يرون غرابة في هذا، ويتهمونه بالخيانة، والتقصير.

◆◆◆

الفصل الثاني

حرب الاستنزاف والسادس من أكتوبر ١٩٧٣ والثغرة برؤية الأدب الإسرائيلي

يعتبر الرصد التاريخي للحروب التي نشبت بين إسرائيل، ودول المواجهة العربية، وبصفة خاصة بين إسرائيل ومصر، ملمحاً رئيساً من ملامح الواقعية في روايات الأديب الإسرائيلي الواقعي، أهارون ميجد، لقد خاضت إسرائيل ضد البلاد العربية خمسة حروب متوالية، هي حرب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، ١٩٨٢. وبطبيعة الحال فإن ميجد لم يتناول حرب ١٩٤٨ في أعماله، ولكنه تناول بشكل خاص الحروب التالية لها، موضحاً وجهة نظره منها كأديب، صاحب رؤية.

وإذا كانت الحروب تندلع بين الأطراف المتصارعة، من أجل الكرامة، والكبرياء، والحرية، والمستقبل، والأرض، وذلك عند الضرورة، لأن الحروب يجب أن يكون لها ما يبررها أمام المجتمع، لما تنطوي عليه من خسائر سواء في حالتي النصر، أو الهزيمة، فإن الحرب بالنسبة لتاريخ الاستيطان الصهيوني، والمجتمع الإسرائيلي، تعد ضرورية، وغاية في حد ذاتها.

وتؤكد عالمة النفس الإسرائيلية ،عاميا ليبلينج، هذا بقولها : « إن الحرب في إسرائيل، هي جزء من الماضي، ومن الحاضر، ومن المستقبل، إنهم يأملون في السلام، ولكن لابد من الاستعداد للحرب القادمة، إن الأسئلة المعتادة في حياتنا هي: ما هو الوقت الباقي حتى الحرب القادمة؟ وهل يمكن تأجيلها، قليلاً؟ ويسأل الرجل نفسه، قائلاً: هل يسعدني الحظ، أيضاً، في الحرب القادمة في أن أنجو كما نجوت في الحروب السابقة؟ والآباء يسألون: هل سيضطر أولادنا للخدمة كجنود

مقاتلين في الجيش الإسرائيلي؟ إن هذه هي الأسئلة الرئيسة ذات المغزى اللاذع، الأسئلة اليومية، وليست الأسئلة التي ترجع أصولها إلى عالم الكوارث الوهمية»[(١)].

ومن هنا، تأتي أهمية الحرب بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي، لكونها العامل الحاسم في توحيد صفوف المجتمع، بتقديمها حلاً اجتماعيًا، لإبراز المجتمع في صورة واحدة، وتوحد، واندماج، ولو حتى في زمن الحرب، فحسب، لأن هذا التوحد والانصهار مفقود في نسيج المجتمع الإسرائيلي. وحول ذلك يقول أهارون ميجد: «لقد أنقذت الحرب الشخصية الرئيسة في رواية «حادثة الأبله» من الانتحار، فتخلى عن فرديته، وأصبح جزءاً من الناس، وبالتالي بدأ يشعر بأنه أصبح قادراً على أن يشاركهم في إنجازاتهم، بحماس الصديق، لقد كان في عزلة عن أسرتهن وعن المجتمع.

ولقد وضعت الحرب نهاية لشعوره بالوحدة، وهذا ما حدث «للأمة» حينما قامت الحرب، لقد وجدنا أنفسنا فجأة في غاية الكياسة والبهجة، وبعض الأمم الأخرى ليست في حاجة إلى هذا الالتصاق، لأن ثقافتهم معروفة تمام المعرفة لدى الأمم الأخرى، ولدى كثير من الأجيال، وذلك لأنهم يعيشون على أرضهم، أما نحن إسرائيل، فعبارة عن مجموعات بشرية متفاوتة، وربما يمر مئات من الأعوام قبل أن نصل إلى هذا التقارب، مثل كثير من الأمم الأخرى»[(٢)].

وهكذا، فقد أضفت هذه الحروب على المجتمع الإسرائيلي، صفة المجتمع المحارب، مما أفقده الطبيعة الاجتماعية، مثل سائر المجتمعات، والشعوب، وأصبحت الحروب متنفس حتمي، وضروري، على مستوى الأفراد، والمجتمع.

(١) د. رشاد الشامي، عجز النصر الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، دار الفكر للدراسات، القاهرة ١٩٩٠، ص١٠.

(٢) عبد المنعم سليم، نظرة على الأدب الإسرائيلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٣.

إن المجتمع الإسرائيلي بسبب وجوده في حالة نزاع، وحرب مستمرة منذ أن قامت إسرائيل، حتى الآن، أصبح في حالة من اعتود على حقيقة أن الحرب، وإن كانت تنطوي على العديد من المخاطر، إلا إنها تنطوي في نفس الوقت على مصدر طاقة بالنسبة لأمور كثيرة، ووجهة النظر هذه تتفق مع وجهة النظر الفاشيستية الكلاسيكية، التي ترى أن الحرب والصراع هي مصادر هامة للطاقة، التي تشغل الإنسان في مجالات كثيرة[(١)].

وكلمة الحرب في إسرائيل لها مدلولات كثيرة، في الاستخدامات الوثائقية، والرسمية، والصحفية، حيث أنها تسيطر على فكر الجميع، فنجد الأدباء، والنقاد، يطلقونها على الإنتاجات الأدبية المواكبة لكل حرب، فنجدهم يقولون، أدب حرب ١٩٤٨، وأدب حرب ١٩٦٧، وأدب حرب ١٩٧٣، وهكذا.

وعلى هذا فإن «أدب الحرب في إسرائيل»، يعد من الأهمية بمكان للتعرف على توترات، وصراعات المجتمع الإسرائيلي، وتعد الأعمال الروائية التي تناولت الحروب، التي تعاقبت على هذا المجتمع، مرآة صادقة لعرض، وتشريح آثار هذه الحروب على الإنسان، والأسرة، والمجتمع، علاوة على ذلك، فإن هذا الأدب له بريق خاص، لكونه انعكاساً مباشراً للصراع العربي - الإسرائيلي، بأبعاده المختلفة على الفرد، والمجتمع الإسرائيليين.

وتتجلى الواقعية بخيوطها الصادقة في روايات أهارون ميجد، من خلال تناوله للحروب العربية - الإسرائيلية ، مستلهمًا التاريخ، والبيئة، بوصف، وسرد واقعي، حسبما جاء، سابقاً، حول العلاقة بين الأدب، والتاريخ، والبيئة.

وسوف نتناول هنا ما يضع أيدينا على وثائق أدبية، تخدم قضايانا، وتساند رؤيتنا العربية.

---

(١) رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٠٢، يونيو ١٩٨٦، ص ٢٤٩.

حرب الاستنزاف، ودورها في كسر شوكة الجندي الإسرائيلي، رغم التدريبات المكثفة

وجاء على لسان أحد الجنود بعد مرحلة تدريب طويلة، وشاقة (رواية رحلة في أغسطس) قوله:

بعد كل هذه التدريبات الكثيرة، لا أعرف كيف أتصرف في المحك الحقيقي، حيث إنه في كل التدريبات، وأيضاً، أثناء الرماية بالذخيرة الحية، أنا أهاجم، ولا يقع على هجوم، وأجهز قذائف المدفعية، وأشحن قلب المدفع بالقنابل، وألقي بالخرطوش الفارغ، بعيداً، وأطلق بالمدفع الواقع فوق البرج، وأرى النيران وهي تصيب الهدف، أو تخطئه، أسمع بأذني الأوامر، وأجاوب.

أنا أفعل هذا كله بشكل جيد، وبما فيه الكفاية، ولكن كيف أنفذ تلك الأعمال تحت قصف مدافع العدو، أو تحت قصف الطائرات؟

لست واثقاً...

كلا، إن هذا يقلقني بما فيه الكفاية، أنا في حاجة ذات مرة للصمود في هذه التجربة.

« إنهم يحكون لي عن حرب الاستنزاف، وعن عمليات القصف المرعبة عبر القناة، وعن النيران المسطحة، إنني أفكر كيف أكون، لست أدري، إنني أعتقد أن كل هذه الثقة، التي نبديها عندما نقف في برج الدبابة، ونؤدي كل هذه الأعمال برباطة جأش، وبشكل معتاد للغاية، وبشكل آلي، تقريباً، فإن هذا مجرد عرض

تمثيلي، وربما يشلني الخوف»[1].

هذه الفقرة يتحدد فيها عنصرا الزمان والمكان بوضوح، بالإضافة إلى أنها محملة بالفكرة التي يريد القاص أن ينقلها للقارئ.

فالزمان هو «فترة حرب الاستنزاف»، والمكان هو سيناء، أو داخل إسرائيل ذاتها، في إحدى قواعد التدريب العسكرية. أما الفكرة التي أراد القاص أن ينقلها فهي:

١- خوف الجندي الإسرائيلي، أثناء فترة التدريب العسكرية على قيادة الدبابات، وإصابة الأهداف، واستخدم الأسلحة من المواجهة الحقيقية، بعد انتهاء فترة «العرض التمثيلي».

٢- مدى الرعب الذي أصاب جنود الجيش الإسرائيلي، الذين مازالوا في مرحلة التدريب، مما سمعوه عن قوة القصف المصري للأهداف الإسرائيلية، غرب القناة.

٣- أمل خفي لدى الجندي الذي لم يخضِ تجربة القتال الحقيقي، في ألا يتعرض لهذه التجربة، وألا تكون هناك حروب يضطر لخوضها، وهو شعور يكشف فيه عن الإنسان في داخله، وعن خوفه من التعرض للموت، حتى ولو كان يعرف، سلفاً، أن هذا قدره كمقاتل لهذا الدور، ولهذا المصير.

◆◆◆

(١) أهارون ميجد، رواية رحلة في أغسطس. عم عوبيد، تل أبيب، ١٩٨٠، ص١٩٢.

حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣

لقد خلقت الحروب التي خاضها العرب ضد اليهود، ابتداء من حرب ١٩٤٨، وحتى حرب ١٩٦٧، نوعاً من الارتياح، والثقة لدى الإسرائيليين، بأن الأوضاع يمكن أن تظل على ما هي عليه. ولربما كانت لهم طموحات في انتصارات أخرى على الجانب العربي، تنتج لهم مزيداً من الأرض، والمطامع التوسعية، ولكن الوضع كان مختلفاً لدى الطرف الآخر، وهم العرب عامة، والمصريون خاصة. لأن ذلك كله كان لابد أن يحسم بالحرب لاستعادة الأرض، والكرامة، في يوم من الأيام.

وقد كان اليوم هو السادس من أكتوبر ١٩٧٣، لقد أزاح هذا اليوم غبار السنوات المرة، ما بين ١٩٦٧، وحتى هذا اليوم العظيم.

وقد أجمع المحللون السياسيون والعسكريون على أن حرب السادس من أكتوبر، قد أحدثت صدمة قوية للمجتمع الإسرائيلي، ووصفت بالزلزال الذي هز الكيان الصهيوني، في الصميم.

وتحت عنوان «الوعي الزائف والأدب وحرب أكتوبر»، كتب الدكتور إبراهيم البحراوي، أستاذ اللغة العبرية بكلية الآداب جامعة عين شمس، يقول: أما فيما يتصل بحجم حرب أكتوبر، فإنه من الواضح أنها استطاعت في المرحلة الأولى الهجومية فيها، أن تثير في المجتمع الإسرائيلي إحساساً عميقاً بالخطر، وإبان مسارها في تلك المرحلة، بإمكانية الطرف العربي على اجتياح الدروع الإسرائيلية، وكسر جدران القوقعة.

وهو الأمر الذي أدى إلى اهتزاز حقيقي في قاعدة الوعي الصهيوني، التي تتربع

عليها المقولات الزائفة.

« فقد ارتعشت مقولة المحارب الصهيوني البطل، الذي تحول عن موقف الانكسار، إلى موقف انبطش بأعدائه، واكتسب جدارة في ألا يهزم. واهتزت مقولة الأرض التاريخية الكبرى، والكاملة، وبات واضحاً أن الواقع الجغرافي في حالة تمرد فعالة، يرفض الاستجابة الدائمة للمقولة، وأحكامها، وتزعزعت مقولة الأمان المطلق، الذي يوفره الوجود اليهودي الكلي، لمن يلتحق به من اليهود» [(١)].

وتحت عنوان: «الحرب وأثرها على تكوين شخصية الشاب الإسرائيلي»، كتب «آمنون روبنشتين»، عن آثار حرب السادس من أكتوبر، على شخصية «الصباريم»، يقول:

« في أعقاب حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، أضيف لقوة الكابوس، أيضاً، بعد جديد، وهو تعاظم القوة العربية، بما يفوق كل مكونات هذا البعد.

وقد استلهم الصراع أبعاداً ناضجة، وحقيقية. إن الصباريم من مواليد البلاد المرتبط بها- على الرغم من التذمر، وعلى الرغم من الفشل- بروابط الشعور وجد نفسه ممزقاً بين انتمائه لنفسه، ولأرضه، وبين شعور الحصار، والحروب المستمرة[(٢)].

◆◆◆

(١) إبراهيم البحراوي، الأدب الصهيوني بين حربي ١٩٦٧ تشرين ١٩٧٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧، ص ٣٢.

(٢) أمنون روبنشتين، لهيوت عم حفشي، دار نشر شوكين القدس، تل أبيب- ١٩٧٧، ص١٢٩.

التحول في أحداث الحرب (الثغرة)

ويرصد الروائي الإسرائيلي الواقعي أهارون ميجد، برؤيته الثاقبة، بوصف واقعي لأيام متميزة من حرب السادس من أكتوبر، ويحددها بيومي ١٤، ١٦ أكتوبر ١٩٧٣.

ويروي على لسان الضابط الشاب (يو آب)، كيف كانت الساعات الحرجة من سير المعركة (رواية رحلة في أغسطس ١٩٨٠):

.... بعد ذلك بيومين فقط، يوم الأحد الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٧٣، الخمسون ساعة ما بين الواحدة والنصف، يوم الجمعة، وبين تلك اللحظة.

كل تلك الساعات الخمسون الحرجة، كان الجندي المصاب جثة ممزقة، لا توجد نسمة هواء تنتشر على رمال الصحراء.

وبعد ذلك، مع هدوء إطلاق النيران، حمل فوق نقالة إلى حاملة المدرعات الخاصة بالتجميع، ونقل إلى المؤخرة، بغرفة عسكرية محصنة تحت الأرض، لا توجد بها نسمة هواء[1].

وعلى الجانب الآخر، يقول:

طوال تلك الساعات الخمسون أنتم (في إسرائيل)، تقضون وقتكم، تأكلون، وتعملون، وتصلون، من أجل معجزة.

تستمعون لوسائل بث الأخبار، وهي تقول:

- قوات الجيش الإسرائيلي تصد الهجوم على الجبهتين.

(١) ميجد، رواية ...، مصدر سبق ذكره، ص١٩٧.

- مع تكبيد العدو خسائر فادحة، ٦٠ دبابة.

- سقطت ٥٦ طائرة، عاودوا محاولاتهم للاختراق شرقاً.

- المصريون بممر متلا.

- استمرار معارك الدبابات بسيناء.

- تبادل المعارك بالمدفعية.

- ويستمر، حيث تقول وسائل الإعلام:

- أهداف دمرت ...

- انتشرت شائعات، تقول ٦٠٠ قتيل ...

- ٦٠٠ قتيل لمن ؟ ٦٠٠ خاصة بمن؟

- ظلام رهيب.

- هدنة........... خط تموين جوي.

- انعكس سير المعركة (حدث تحول في سير المعركة).

- انعكس على من ؟ [1].

(ويخاطب الضابط الشاب):

ولكن داخل قلبك تعرف: لا توجد معجزة (هذا الشاب المصاب) كتب اسمه، ووقع حكمه (استشهد).

وبعد ذلك بأسبوعين فقط، بعد ذلك كله، عاد الجنديان اللذان تم إنقاذهما، قائد الدبابة، والمدفعجي- حيث إن السائق لقى مصرعه على الفور من الإصابة الأولى

(١) المصدر نفسه، ص١٩٨.

للصاروخ- مثل الهاربين اللذين أنقذا من بحر النيران.

وكانت روايتهم، كيف كان الحدث: -

اشتعلت الدبابة بالنيران، وأفلح الثلاثة في القفز منها، وجروا، تحت قذائف المدفعية من الضفة التي في المواجهة بالمدفعية، والرشاشات الأوتوماتيكية، إلى داخل الحفرة القريبة، حوالي ٣٠ متراً[(١)].

يرصد ميجد في هذه الفقرة الأحداث العسكرية الصغيرة، والكبيرة، أو بمعنى آخر الجانبية، والأساسية في قلب المعركة، من خلال ما وقع مع الجنود أثناء سير القتال، وكذلك الجو العام السائد حول متابعة أحداث المعركة، وهنا لم يغفل ميجد انتشار الشائعات، وحجمها، وتأثيرها النفسي على الجميع، مع سماع أرقام كبيرة من القتلى، والخسائر.

ولكن يتأكد هنا الرصد الواقعي للكاتب، حيث يحدد الزمان، والتاريخ، بيوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣. فهذا اليوم في تلك المعارك، كان تاريخاً فاصلاً لوقوع تحول في سير المعارك على الجبهة المصرية، في محاولة من قوات الجيش الإسرائيلي لإحراز نصر ما، وهو ما اصطلح على تسميته في المصطلح العسكري أثناء الحرب، «الثغرة».

وحول ذلك، يقول العميد الركن، حسن مصطفى، في كتابه : «معارك الجبهة المصرية من حرب رمضان ١٩٧٣»، والواقع الذي لا سبيل إلى نكرانه، هو أن معارك يوم ١٤ أكتوبر، كانت بداية تحول في حرب رمضان. فإلى ذلك اليوم، كانت البداية بيد الجانب المصري، حتى في فترة التوقف بعد العبور، التي كانوا فيها مدافعين»[(٢)].

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) العميد الركن حسن مصطفى، معارك الجبهة المصرية في حرب رمضان ١٩٧٣، ط١، مديرية المطابع العسكرية ، بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٦٢.

لقد رسم «ميجد»، صورة حقيقية لا تجاوز الحقيقة لساحة القتال، أثناء حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣. تؤكد على ما تخوف منه الجندي في رواية (رحلة في أغسطس)، وفي الفقرات التي ناقشناها، سابقاً، عندما أعرب عن تخوفه من القتال الحقيقي.

لقد أبرز ميجد هول، وفظاعة ساحة القتال، وذلك من خلال ما رواه «يوآب» ضابط المدرعات الشاب، حيث كان قائداً لإحدى الدبابات المشاركة في حرب آكتوبر، وعاد سالماً من المعركة، وآخذ يروى الأحداث، والأهوال التي مر بها، وخاصة أن مجموعته قد دمرت بما فيها دبابته، ولقى معظم أفراد المجموعة حتفهم.

ويمثل (يوآب) الجيل الإسرائيلي اشاب، الذي خاض حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وشاهد أهوال الحرب، وتخبطات وعجز الجندي الإسرائيلي، حتى أنه عندما عاد من الجبهة، وأخذ يروي الأحداث لأسرته اعتبروه بأنه قد ولد من جديد، لأن حجم الخسائر والقتلى في سريته، كان هائلاً، وكانت الحرب شرسة من جانب المصريين، والعرب، على عكس ما صور لهم من قبل.

وإذا كان «ميجد» قد أكد على صورة لخوف والتردد في خوص المحك الحقيقي للقتال، من خلال شخصية الجندي في رواية (رحلة في أغسطس)، فإنه هنا يؤكد على صورة مشابهة من التخبط من نوع آخر، وهو تخبط الجنود الإسرائيليين في ميدان القتال، أثناء معارك السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

«في السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣، في الساعة الخامسة بعد الظهر، كانت كتيبة المدرعات التي يخدم بها «يوآب» في سيناء، قد تلقت أمراً بالتقدم عبر منطقة «المزرعة الصينية»، التي انبعثت منها نداءات يائسة من المظليين(١)، الذين حوصروا

(١) المزرعة الصينية: أطلق العدو الإسرائيلي على المنطقة، التي يقع فيها التقاطعان اللذان يتفرع منهما الطريقان الفرعيان المؤديان إلى مكان العبور (الطاسة- البحيرة المرة الكبرى)، اسم «المزرعة=

هناك تحت نيران الجيش الثاني المصري، دون غطاء، وتكبدوا خسائر فادحة. وعندما تحركت الدبابات صوب الغرب لتنفيذ المهمة، وقد تولى هو قيادة واحدة منهم، توقف تقدمهم، تماماً، لأن الطريق الضيق «ممر العنكبوت» كان مختنقاً بقافلة طويلة من المركبات، من جميع الأنواع، من بينها الحاملات العملاقة، التي حملت العوامات لعبور القناة»[١].

وصلوا إلى ميدان القتال بعد منتصف الليل، وإذا بمشهد رهيب واضح على ضوء القمر الكامل أمام عيونهم، حيث كانت جثث القتلى ملقاة على سطح سهل رملي، مع صرخات الجرحى الذين زحفوا عليه، أو حملوا على أكتاف زملائهم، الذين ساروا بهم في كل اتجاه، أثناء الفترات القصيرة من توقف إطلاق نيران المدفعية، ومع دخول الدبابات منطقة إطلاق النيران، أصيبت على الفور ثلاث دبابات من سرية (يوآب)، إحداها القريبة جدًا من (يوآب)، وبينما كانت النيران تلتهمها ركض أحد الجنود، ووجهه مغطى بالدماء، وأثناء هروبه سقط على الرمال[٢].

وهكذا كان «ميجد» صادقاً في رسم المعركة، التي شارك فيها (يوآب)، وأورد الصورة بشكل واقعي من حيث الزمان، والمكان، والواقع الحي لمعارك الدبابات،

=الصينية»، وتقع هذه المزرعة على بعد بضع كيلومترات شرق مكان العبور. ويرجع سبب هذه التسمية، إلى أنه كانت في هذه المنطقة، محطة تجارب زراعية مصرية، يعمل فيها عدد من الخبراء الزراعيين اليابانيين، فكان من الطبيعي أن تكتب بعض العبارات والكلمات اليابانية على الجدران، وعندما احتل الإسرائيليون سيناء، عام ١٩٦٧، ظنوا أن هذه الكلمات صينية، فأطلقوا عليها «المزرعة الصينية»، وقد دارت في هذه المنطقة، أشرس المعارك الحربية في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

(١) أهارون ميجد، رواية فويجلمان، عم عوبيد، تل أبيب، ١٩٨٢، ص ٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

وعبر عن تفوق الجانب المصري في مقابل هزيمة، وتخبط الجانب الإسرائيلي.

وفي الفقرة التالية، يصف «ميجد» كيف حدث أن الدبابات الإسرائيلية قامت بإطلاق النيران على مجموعة «يوآب»، (مجموعة دبابات إسرائيلية تم استدعاؤها لإنقاذ مجموعة إسرائيلية وقعت في فك الجيش الثاني المصري)، مما يعكس صورة التخبط، وعدم التنسيق بين القوات الإسرائيلية، أثناء هذه المعارك الضارية:

«أوقف يوآب» دبابته، وتحت وابل نيران من صواريخ «ساجر»، كانت تتطاير فوقه، وتضيء المنطقة، وتنفجر. جرى لإنقاذ زميله، حمله على كتفه، وكان مصاباً في وجهه، وإحدى ذراعيه مقطوعة، فأدخله في دبابته. وفي اللحظة التي دخل فيها إلى كبينتها وأمسك بذراع القيادة، أصاب صاروخ برج الدبابة. فجعله يطير مع المدفعجي الذي فوقه.

طلب عامل اللاسلكي مساعده، لكن لم يصله أي رد، ولكن بعد ذلك نمى لعلمهم أن دبابة القيادة، قد أصيبت هي الأخرى، وقتل كل طاقمها. واصل «يوآب» التحرك محاولاً الانسحاب، ولكن ازدياد النيران، وعطب المحرك، اضطروه لمغادرة الدبابة.

وقام هو وصديقه، الذي بقى معه، وحملا الجريح على النقالة، وجروا به بحثاً عن ملجأ، وانهالت عليهم النيران من كل جانب، لأن وحدة من سلاح المدفعية من الجيش الإسرائيلي، أطلقت عليهم النيران، أيضاً، في تلك المنطقة، إلا أنها لا تعلم عن تواجدهم في هذا الموقع. انبطحوا أرضاً، قاموا وسقطوا، ثم قاموا، وصاحوا بكل قواهم، بأنهم يهود إسرائيليون، جنود من جيش إسرائيل، وإنهم إخوانهم، ولكن ضاع صوتهم في ضجيج إطلاق النيران، والمتفجرات[1].

(١) المصدر نفسه، ص٢٣٢.

وهنا في هذه الفقرة ، يقوم «ميجد» بتدبيج العمل الأدبي، بنوع أشبه بالتقرير الصحفي الريبورتاجي، الراصد للحظة حية من لحظات احتدام المعارك بين الدبابات الإسرائيلية، والمصرية.

إن «ميجد» يرصد كلاً من الزمان، والمكان الواقعيين، باعتبارهما من مقومات الواقعية في العمل الروائي، فالزمان، السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣، ويحدده بدقة «في الساعة الخامسة بعد الظهر»، والمكان، هو ميدان المعركة «منطقة رفيديم بسيناء». ويحدده بدقة أكثر فيما يتصل بوقائع هذه الحرب، عندما يشير إلى أكبر معارك الدبابات على أرض سيناء، وهي معركة «المزرعة الصينية» التي دارت رحاها في الفترة من ١٤-١٦ أكتوبر، وهي الفترة التي حاولت خلالها القوات الإسرائيلية فتح «الثغرة»، والتسلل إلى الضفة الغربية للقناة.

ويحدد «ميجد» أن هذه المعركة دارت مع قوات الجيش الثاني المصري، ويصف أهوالها بأوصاف، مثل «كانت جثث القتلى ملقاة على سطح سهلي رملي»، وسط «صرخات الجرحى»، «ومع دخول الدبابات» منطقة إطلاق النيران، أصيبت على الفور ثلاث دبابات من سرية «يوآب»، وبينما كانت النيران تلتهم الدبابة، ركض أحد الجنود، ووجهه مغطى بالدم، وأثناء هروبه سقط على الرمال، «انهالت عليهم النيران من كل جانب» .

ويشير «ميجد» إلى المهمة التي تحركت من أجلها كتيبة الدبابات، التي يخدم بها «يوآب»، فيقول : قد تلقيت أمراً بالتقدم عبر منطقة «المزرعة الصينية»، التي انبعثت منها نداءات يائسة من المظليين، الذين حوصروا هناك تحت نيران الجيش الثاني المصري، دون غطاء، وتكبدوا خسائر فادحة.

ويقول العميد الركن حسن مصطفى، في كتابه «معارك الجبهة المصرية» : وقد

دخل اسم «المزرعة الصينية» تاريخ حرب العاشر من رمضان، من أوسع أبوابه، كرمز يدل على ضراوة المقاومة التي أبدتها القوات المصرية ضد قوات العدو، التي جاءت إلى هذه المنطقة، وقد شهدت أوساط العدو نفسها بضراوة المعركة، التي دارت في «المزرعة الصينية»، فقد جاء في كتاب «التقصير» : إنها كانت أصعب المعارك التي خاضتها أية قوة في الجيش الإسرائيلي[1].

ومما يؤكد واقعية وصدق ما سجله «ميجد» عن المعركة، التي دارت رحاها في منطقة «المزرعة الصينية»، أمران هامان وواضحان في الفقرة السابقة، صعوبة حركة الناقلات، التي كانت تحمل العوامات، التي ستستخدم في العبور، والأمر الثاني : هو ضراوة وشراسة القتال من قبل القوات المصرية في هذه المنطقة توقف تقدمهم، تماماً، لأن الطريق الضيق «ممر العنكبوت»، كان مختنقاً بقافلة طويلة من المركبات، من جميع الأنواع، من بينها الحاملات العملاقة، التي حملت العوامات لعبور القناة»، ومع دخول الدبابات منطقة إطلاق النيران، أصيبت على الفور ثلاث دبابات من سرية «يوآب».

ويعقب على ذلك العميد الركن حسن مصطفى، بقوله : عند انبثاق ضوء النهار، بدأت المدفعية المصرية تركز نيرانها على تقاطعات الطرق- وهو الأمر الذي جعل عملية جلب العوامات المحمولة على متن أبدان المقطورات الضخمة، عملية مرهقة جداً لأعصاب الجنود، الذين كانوا يسوقون هذه المقطورات الضخمة- وقد وصف الموقف عريف إسرائيلي، كان دليلاً لمقطورة تحمل إحدى هذه العوامات الثقيلة، فقال : «كانت هناك معركة دبابات على طرفي الطريق، وكنا نسير في الوسط. وكانت هذه المعركة من أجل احتلال تقاطع طرق.. وكان التقاطع على مرأى من المصريين،

(١) مصطفى، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦٢.

فكانوا يرمون على كل عجلة تمر من هذا التقاطع.

وكنا قافلة ثقيلة من السهل جوا إصابتها..........وقد أُصبنا بإصابات قليلة.......أحدثت ثقوبا في العوامة، وعند الفجر وصلنا إلى منطقة العبور» [1].

وهكذا، من خلال التحليل، والنقد للنص الأدبي العبري لأديب إسرائيلي، ينتهج الواقعية في كتاباته، أمكن تقديم صورة، أو جانب لأهمية معارك السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وهي وجهة نظر الآخر، وتعد وثيقة دامغة لتفوق القوات المصرية في هذه المعركة «الثغرة»، مثل سائر المعارك التي سبقتها.

◆◆◆

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩٥.

الفصل الثالث

آثار حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ على المجتمع الإسرائيلي

المبحث الأول: نزوح الصباريم

وإذا كان الأديب الإسرائيلي أهارون ميجد، قد رصد حرب السادس من أكتوبر في رواية (فويجلهان)، مبرزاً واقع المعارك في مواقعها الطبيعية، وحسب زمانها الفعلي، وكل ما يتعلق بها من أهوال، لما آثارها النفسية على الجندي الإسرائيلي، فقد رصد آثار تلك الحرب على المجتمع الإسرائيلي، والشخصية الإسرائيلية، وخاصة الشباب، وذلك في رواية (رحلة في أغسطس)، حيث كان من أبرز آثار الانهيار النفسي الذي اجتاح قطاعات عديدة من هذا المجتمع، ازدياد موجة النزوح من إسرائيل، في أعقاب نهاية الخدمة بالجيش الإسرائيلي، لأسباب عديدة، من أبرزها، بلا شك، سقوط نظرية الأمن الإسرائيلية، بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وكما ورد في رواية (رحلة في أغسطس)[١]: في حوار بين الجنود بالجيش:

---

(١) رواية رحلة في أغسطس (١٩٨٠) للكاتب الإسرائيلي الواقعي المعاصر (أهارون ميجد)، تدور أحداثها حول عائلة إسرائيلية على خلفية من حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣. العائلة الإسرائيلية تفقد ابنها البكر في الحرب، ويأتي الدور على الابن الثاني للدخول في الخدمة العسكرية بالجيش الإسرائيلي، في الوقت الذي ما تزال تعاني فيه لأسرة من آلام فقد الابن الأكبر، الذي ما تزال صورته ماثلة في عقل، ووجدان الأب، الذي يتناقش. ويتحاور، دائماً، مع نفسه عن ماهية الحرب، ومقتل وفقد الأبناء. ويذهب الأب في رحلة طويلة رحلة مكانية، بحثاً عن ابنه، ماراً بمواقع عسكرية شبيهة بذلك الموقع، الذي قتل فيه الابن الأكبر، إلى أن يصل إلى الموقع الذي قتل فيه، بالفعل.

وأثناء هذه الرحلة المكانية، تثور في داخله با توازي رحلة نفسية يتناقش فيها مع نفسه، حول ماهية الحرب، ويتناقش مع مجموعة من الشباب، رفاق الرحلة، ينتمون إلى نوعيات واتجاهات مختلفة، من=

=مساقط رأس مختلفة، أيضاً، ويدور الحوار حول ماهية الحرب وعذاب الآباء من جراء فقد الأبناء، أيضاً، وهي نفس حالة الأب المسافر بالجسد، والفكر، بحثاً عن ابنه المفقود، والذي يعيش المأساة المتوقعة، من جراء دخول الابن الثاني للجيش، والتعرض للموت، أو الفقد.

وتبرز أحداث الرواية أسباب عدم استقرار الأسرة الإسرائيلية، على مدى السنين، ومن حرب لأخرى. نفس الوقت الذي تسوده أحزان الأسرة على فقد الابن الأول، يأتي الدور على الابن الثاني للدخول في صفوف الجيش، وهو «جيدي»، حيث لم يلتزم بتقديم نفسه في الموعد المحدد، وهو يوم الخامس عشر من الشهر، وسافر بعيداً عن مسقط رأسه، بينما الشرطة العسكرية تلاحقه، ومن المحتمل أن يتعرض لعقوبة السجن، لأنه يعتبر هارباً من التجنيد.

والأب حائر بين هذا، وذاك البحث في وجدانه عن الابن المفقود في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، الذي قام بدوره في تلك الحرب، في مقابل الابن الثاني، الهارب من التجنيد. وتلبية نداء الواجب، وفي البيت ينتاب الأم الذهول، والهلع، وقد شحب وجهها، ونحل جسمها، وهي في حالة من الترقب، والانتظار لعودة الابن المفقود، والابن الشارد.

ويحاور الأب نفسه، ويقول: «إن الرب قادر على كل شيء»، ولكن هل الصلوات والابتهالات تعيد الابن الذي مات، ويجيب على نفسه بالنفي، لأن الميت قد دفن تحت التراب، ولا رجعة له مهما كانت التوسلات، والابتهالات، والصلوات.

والصورة التي رسمها الكاتب لرفض الحرب، ورفض ويلاتها، تعكس هموم جيل بأكمله في إسرائيل، يكره الحرب، ويرنو إلى العيش الهادئ، بعيداً، عن كوارث الحروب.

وهذه الصرخة العالية ضد الحرب، لم يكن «ميجد» هو الوحيد من بين الأدباء الإسرائيليين المعاصرين الذي عبر عنها، ولكن عبر عنها، أيضاً، بعض أدباء «الموجة الجديدة»، وعلى رأسهم «أ.ب يهو شواع»، وخاصة في روايته (في بداية صيف ١٩٧٠).

إن الصورة الأدبية، التي رسمها ميجد تتشابه مع الصورة الواردة في رواية (بداية صيف ١٩٧٠)، حيث فقد الابن، أيضاً، في الحرب، ولكن مع فارق، وهو أن الابن عند ميجد مات، ووري الثرى، وكان الأمل الباقي هو الحفاظ على حياة الابن الثاني، بينما نجد عند «يهو شواع»، أن الابن المفقود يعود للحياة من جديد، لأن الأب وصله بلاغ خاطئ عن موت ابنه، ولم تكن الجثة التي تسلمها هي جثة ابنه، وبالتالي فقد عاد إليه ابنه من جديد، بعد أن مات طوال يوم كامل، ولبس ملابس الحداد السوداء عليه.

وتتلاقى أحداث قصة «يهو شواع» (في بداية صيف)، مع أحداث قصة ميجد (رحلة في أغسطس). في إبراز واقع المجتمع الإسرائيلي في مرحلة الحرب، وما يستتبعها من خوف على الأبناء، والبحث عن طريق لنجاتهم من مصير الموت المحتوم. =

-يسافر، الآن، كثيرون للولايات المتحدة الأمريكية...

-أنت تقصد أنهم ينزحون؟[1].

-إنهم يسافرون، وبعد ذلك، يظلون هناك، معي في السرية ثلاثة ينوون السفر بعد نهاية الخدمة العسكرية.

-ماذا يفعلون هناك؟

-أحدهم له أحد الأقارب هناك، وآخر دبروا له عمل في جراج بسان فرانسيسكو، أحد معارفه نزح من إسرائيل إلى هناك، منذ عشر سنوات، وكون ثروة»[2].

وهكذا، فإن هذه الظاهرة التي لازمت إسرائيل، لفترة طويلة، كأثر من آثار حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، رصدها «ميجد»، باعتبارها نوع من الرصد التاريخي، لآثار هذه الحرب على المجتمع الإسرائيلي.

وقد أشار أمنون روبنشستين، إلى أن حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، تمثل نقطة تحول في موضوع نزوح «الصباريم» من إسرائيل، كما هو في موضوعات أخرى: تم النزوح من خلال تحرك غير شرعي، ثم انقلب ليصبح موضوعاً شرعياً.

ففي عام ١٩٧٥، ولنمرة الأولى منذ عام ١٩٥٣، تساوى على ما يبدو عدد النازحين مع عدد المهاجرين، ومع ارتفاع عدد «الصباريم» ضمن النازحين ارتفع،

= وبالإضافة إلى ذلك ترصد رواية «ميجد»، مرحلة ما بعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وإبرام اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل، وحركة المجتمع الإسرائيلي المتأرجح بين الرفض، و لتأييد لهذه الاتفاقية.

(١) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦، ٦٧.

أيضاً، صخب النازحين أبناء البلد[(١)]، وهنا التقى إخلاص «الصباريم»، مع خيبة الأمل من إسرائيل، وخلق مركب بغيض مزعج، لدرجة أن «حانوح برطوف»[(٢)] كان يفضل اليهودي المهاجر من «بروكلين»، على «الصبار» المخلص، النازح من إسرائيل[(٣)].

فقد كانت الهجرة في كل بلدان العالم، أمراً عادياً، وأحياناً، له أهميته للمهاجر، في سعيه لإحراز مستوى معيشي أفضل، ويجد ترحيباً، ومساندة من وطنه، إلا أن ذلك يعد أمراً غير طبيعي، وشائكًا، وغير شرعي دينياً في إسرائيل، حيث إنهم يعتبرون القادم إلى إسرائيل بمثابة ارتفاع لقيمته الإنسانية، والجغرافية، لكونه وطأت قدماه طبقاً للشريعة اليهودية «الأرض المقدسة». أما المغادرة، فتسمى نزوحًا، وتخلى عن هذه المكرمة من وجهة نظر الشريعة، والصهيونية.

ومن هنا، تأتي الدلالة بتسمية هجرته إسرائيل (بعالياه)، أي الصعود، والعلو، ومقابلها النزوح (يريداه)، بمعنى السقوط، ودلالة الدنو، بالبعد عن «الأرض المقدسة» ، من وجهة نظرهم الدينية، والصهيونية.

◆◆◆

(١) أبناء البلد: اصطلاح إسرائيلي، يطلق على «الصباريم» الذين يعودون إلى أصول شرقية (للمزيد من التفاصيل: راجع الشامي ، الشخصية اليهودية ، مصدر سبق ذكره).

(٢) حانوخ برطوف: كاتب وأديب إسرائيلي ولد في بتاح تكفا ١٩٢٦، عضو كيبوتسي (عين حوريش)، كان يعمل محرراً في صحيفة (لامرحاف) وعمل ملحقاً ثقافيا في السفارة الإسرائيلية بلندن (١٩٦٦ - ١٩٦٨)، ناقش في روايته (الحساب والنفس ١٩٥٣)، القيم الأيديولوجية لدى الشباب الإسرائيلي.

(٣) أمنون روبنشتين، لهيوت عم حفشي، دار نشر شوكن القدس- تل أبيب، ١٩٧٧ ، ص١٢٩.

المبحث الثاني

معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل والتخلي عن سيناء

في رواية (رحلة في أغسطس)، يبرز الأديب أهارون ميجد، المأزق الإسرائيلي بالنسبة لمعاهدة السلام، وإخلاء سيناء بالكامل، وتسليمها لمصر، فقد أبرز أنه لم يكن هناك خيار لإسرائيل، سوى ذلك.

وقد وضح ذلك من خلال حوار بين عنصرين من الرواية، بآراء مختلفة، حيث دار الحوار التالي بين (تمارا)، وميخال (مهندس يهودي روسي).

-قال: لن يعطهم «ميشا» كهرباء، إنه غاضب بشدة على هذا الأمر (معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل).

-قالت تمارا: لأنهم (حكومة إسرائيل)، سيتركون سيناء، إنه ضد هذا بعنف، هل تعتقد أنه كان لنا خيار في هذا؟

-سألت تمارا ميخال، ونظر إليها، كمن يفكر في الإجابة، ثم توجه بعد ذلك إلى دانيال بنظرة غاضبة، وقال: «إنني لا أفهم هذه (الاتفاقية)، إن هذا بمثابة انتحار، إن هذا.......انتحار بالفعل».

ولكن لأن دانيال لم يرد ولم تعبر نظرته الباردة عما يفكر فيه بهذا الشأن.

-قال يوحنان:

إن هذا احتمال، ليس أكثر من احتمال، ولكن إذا كان الاختيار هو بين حرب مؤكدة، وبين احتمال السلام، فإنه في هذه الحالة ينبغي اختيار احتمال (السلام) [(١)].

وهنا، تطل علينا قضية اللاخيار الإسرائيلية الشهيرة، وإن كانت في اتجاه

(١) ميجد، رواية رحلة ...، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

معاكس، حيث ينحاز «يوحنان» لاختيار السلام، بدلاً من اختيار الحرب، الذي كانت إسرائيل، دوماً، تحاول أن تبرر به حروبها مع العرب.

خلقت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، واقعاً جديداً من الصراع داخل المجتمع الإسرائيلي، في أعقاب اتفاقيات السلام بين مصر وإسرائيل، فقد انقسم المجتمع الإسرائيلي بين مؤيد للسلام، وبين رافض له، رفضاً للثمن الذي سيترتب عليه، وهو الانسحاب من الأرض المحتلة، وكان، وما يزال، هذا الرفض يمثل وجهة نظر منطلقة من أيديولوجية معينة، ترى في الانسحاب من سيناء، أو من الأرض المحتلة، هو بمثابة إضعاف لدولة إسرائيل، وعلاوة على ذلك، فهم يشككون في هذه الاتفاقيات، والمعاهدات، مع التشكيك في سياسات الولايات المتحدة الأمريكية، لأنها شريك في إنجاز هذه المعاهدات، بين مصر وإسرائيل.

وترصد رواية (رحلة في أغسطس لأهارون ميجد)، حركة تفاعلات المجتمع الإسرائيلي، في أعقاب حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، ومدى الانقسام بين الرفض والتأييد، حيال معاهدة السلام مع مصر، والتخلي عن سيناء.

في هذا المشهد يخاطب ميخال (مهندس مهاجر من روسيا)، دانيال (والد جندي مفقود في الحرب):

-أنت فقدت ابنك في الحرب.

-هذه فاجعة كبرى، وأنا أعرف، وأقدر ذلك.

-ولكن أسألك: من أجل ماذا سقط شبابنا؟

هل من أجل أن نسلم للعدو الأرض التي سقط عليها الشباب؟

أليست كل هذه التضحيات..... إن هذا يؤلمني كلما فكرت فيه[١].

(١) المصدر نفسه، ص ٨٩.

ويستمر الحوار خلال الرحلة.

«ولدى وصولهم من مداخل تل أبيب، قالت عماليا: هل سمعتم أنهم سيعيدون سيناء كلها (تعود للسيدة المصرية).

-قال دانيال: (الذي كان يجلس في المقعد الخلفي، ومنحنياً بجسمه للأمام، ويسند ذراعيه على المقاعد الأمامية، ولم يتفوه بكلمة واحدة، طوال الرحلة، سوى أنه كان يتطلع، يميناً، ويساراً، كما لو كانت البلاد جديدة عليه. كان كل شيء غريبا، ومفاجئًا، مدينة مفتوحة». جيدي (مازال رأسه حليقاً).

ضحكت عماليا، وقالت بالطبع، إن هذا بالذات يناسبه [(١)].

يبرز النص العبري السابق، التباعد، والتباين، والاختلاف. في وجهات النظر، والرأي حول التحرك السياسي لإسرائيل، بإبرام معاهدات السلام، والتخلي عن سيناء، وذلك من خلال أسلوب الحوار، على النحو التالي:

١- الإشارة إلى السلطات الحاكمة في إسرائيل بضمير الغائب (إنهم)، يدلل على التباعد بين الأطراف الحاكمة، وبين الاتجاه السائد بين الجمهور الإسرائيلي.

٢- تمثل شخصية (عماليا) الطرف الرافض لمعاهدة السلام، والتخلي عن سيناء.

٣- يمثل (دانيال) الجانب الآخر المتعاطف مع السلام، مقابل التنازل عن سيناء، لأنه بمشاعر الأب، يدرك أن هذا سوف ينقذ ابنه، الذي يستعد للتجنيد من خوض حرب أخرى، من الممكن، أن يلقي حتفه فيها.

وهذا واضح من خلال الحوار، حيث إنه في الوقت الذي تتحدث فيه عماليا عن

(١) المصدر نفسه، ص ١٧.

سيناء، نجد (دانيال) لا يعير هذا الرأي اهتمامًا، ويتحدث عن ابنه (جيدي)، الذي يشغل كل اهتمامه، بدءاً، من الشكل (حلاقة رأسه)، وحتى روحه، وحياته من جراء التحاقه بالجيش، وخشيته من نيران الحروب، وفقد الأبناء.

إذا كانت واقعية الأديب أهارون ميجد، تعبر عن مدى صدق رصده، وتسجيله لكل ما يدور في عصره من خلال شخصياته الواقعية، منها، أو المتخيلة، وإذا كان ميجد قد أوضح لنا وجهة نظر في الأحداث السياسية المعاصرة، التي مرت بها إسرائيل، وخاصة في مجال الصراع العربي - الإسرائيلي، في حالات الحروب التي دارت في مرحلة الصراع الساخن، أو في حالات ما بعد الصراع للتوجه نحو السلام، وكشف على لسان بعض شخصياته، عن تأييده لاتجاه الأرض مقابل السلام، باعتباره حلاً حتمياً تاريخياً، إلا أنه لم يفته كأديب واقعي، أن يتعرض لوجهة النظر الأخرى، التي ترى أن السلام مع العرب هو كارثة بالنسبة لإسرائيل، وأنه قد ينتهي بها إلى التدمير.

وهذه الفئة، وإن كانت ترضخ تحت وطأة ضغوط داخلية في إسرائيل، أو خارجية من القوى العظمى، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، للقبول بمبدأ السلام مع العرب، فإنها تظل تحتفظ لنفسها برؤية خاصة في تفسير هذه الأحداث، والتحسب لها مستقبلاً، بحتمية امتلاك إسرائيل لأكثر الأسلحة، فتكاً، ودماراً، كوسيلة لتأمين وجودها، إذا ما تخلى العرب عن توجه السلام مع إسرائيل.

ويمكننا أن نرصد توجهات هذه الفئة، كما وردت إشارات إليها في روايتي (فويجلمان) و(رحلة في أغسطس) لأهارون ميجد، من خلال المحاور التالية:

١- محور التفسير التآمري من الدول العظمى، لدفع إسرائيل للسلام من أجل إضعافها.

٢- محور حتمية امتلاك القوة، ليست الرادعة فحسب، بل الخارقة، والفتاكة.

أولاً: محور التفسير التآمري:

يقدم لنا الأديب أهارون ميجد، هذا المحور من خلال تلك المناقشة، التي دارت بين ميشا (المهندس اليهودي الروسي)، وبين دانيال (الأب)، والد الجندي المفقود في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

ويأتي الحوار على لسان ميشا، على النحو التالي:-

-وبدا الروسي، وكأنه يسمع، أو كان يعتقد بأن هذه الأمور لا تستحق الرد عليها.

-ووجه حديثه مرة أخرى إلى دانيل، وقال:

-«أنا لا أفهم! هل الناس لا ترى؟ هل لا يرون ما يحدث هنا.

-ما يحدث مع السادات، والأمريكان؟

-في الواقع ليس كل شيء واضحًا! إن أي ولد في السابعة من عمره يعرف قليلاً عن لعبة الشطرنج، يمكنه أن يدرك على الفور، ما يفعله الشريك ليس من خلال عشر خطوات، ولكن خلال ثلاث خطوات فقط.

-أليس هذا (بلوت)، كيف يعبرون عن «بلوت»؟

-مؤامرة.

-ابتسم يوحنان وهو مسرور، قليلاً من غضب الروسي.

-نعم: مؤامرة الأمريكيين، وخاصة مع العالم العربي كله، مع السعودية، والكويت، وحسين، ومنظمة التحرير الفلسطينية، والجميع، والذي بدأ ذلك هو

«كيسنجر»[1]، عندما أرغمنا على مغادرة السويس، والسماح للجيش الثالث المصري بالعودة إلى وطنه.

-(أي شعب ذلك الذي يفعل هذا، فيسمح للعدو بالهرب، بعد أن انتصر عليه).

-هل كان الروس يسمحون للألمان بالهرب؟

-ولو لكتيبة واحدة، ولو لجندي واحد؟

-نرفع اليدين، وهم يطلقون النيران على المكان.

-والآن كارتر[2]، ووزير خارجيته، يواصلان هذا.

هذا البولندي بريجسنكي، المعادي للسامية، إنه يوقعنا في الفخ، سلموا أولاً سيناء، والبترول، والطرق، والمطارات، وبعد ذلك نسلم الضفة، ومن بعدها الجولان، ثم القدس.

-نعم: القدس...

-وبعد ذلك، ماذا بعد ذلك، سلام؟

-إنكم بعد ذلك ستصبحون ضعافاً للغاية، بحيث لا يستحق الأمر عمل سلام معكم!

-إذن من أجل أي شيء يفعلون هذا؟

---

(١) هنري كيسنجر: وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، إبان حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وكان له دور بارز في مباحثات فك الاشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية، بعد توقف القتال والمعارك، ولكن كانت تصرفاته ليست بعيدة عن جذوره المؤيدة لبني جلدته من اليهود، على حساب العرب.

(٢) كارتر: هو الرئيس الأمريكي الذي أنجز معاهدات السلام، بمشاركة الرئيس أنور السادات، بعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣. وبمشاركة مناحيم بيجن، رئيس الوزراء الإسرائيلي، آنذاك.

-هل فحسب، من أجل أن تبدوا عادلين في نظر العالم؟

-هل هناك دولة تفعل أشياء، لمجرد أن تبدو عادلة في نظر الآخرين؟

-**قال ميخال**: أنا لست فاهماً.

-**قال ميشا**: لماذا أنت غاضب إلى هذا الحد؟

-على أية حال، هناك رجال لديهم عقول، وهم يدركون ما هو الصحيح ، وما هو الخطأ»[(١)].

إن هذه الفقرة من رواية (رحلة في أغسطس)، لأهارون ميجد، هي بمثابة رصد وتوثيق للوقائع السياسية، التي جرت بعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣. وبها تسجيل للمفاهيم المختلفة، التي سادت إسرائيل، آنذاك، ما بين التسليم بفرضيات السلام، والتخلي عن سيناء، وما بين التشدد، وعدم التفريط في الأرض المحتلة، من وجهة النظر المتطرفة.

ومضمون الفقرة، يفرز الاتجاهات التالية:

١- وجود اتجاه ينادي بعدم التنازل عن الأراضي المحتلة، متمثلة في سيناء، ثم ما يتلوها من تنازل عن بقية الأراضي المحتلة، بما في ذلك القدس، لدى قطاع المهاجرين الروس، والذي حرص الكاتب على وصف الشخصية ذات هذا الاتجاه بكلمة (الروسي)، لتميزه كمهاجر روسي، لم يذق مرارة الحروب بعد، وكل ما يعنيه، ويهمه هو الاحتفاظ بالأراضي التى وجد الجيش الإسرائيلي يحتلها، بغض النظر عن عدم شرعية هذا الاحتلال.

٢- اتجاه آخر، يرى عدم القبول بمبدأ الاحتفاظ بالأراضي، ويرغب في

(١) ميجد، رواية رحلة ...، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦، ٨٧.

السلام، ويعبر عن هذا الاتجاه قطاع كبير من المجتمع الإسرائيلي، وخاصة ممن ذاقوا مرارة الحروب، وفقد الأبناء على غرار شخصية (دانيال)، الذي فقد ابنه الأكبر في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، ويخشى على ابنه الثاني، من نفس المصير.

٣- اتجاه ثالث، يرى التسليم بالواقع، والامتثال لما سوف تسفر عنه محادثات السلام بين مصر وإسرائيل، آنذاك، لأن هناك الساسة القائمين على ذلك، وهم يدركون ما هو الصحيح، وما هو الخطأ بالنسبة لهم. وهذا الاتجاه يمثله (يوحنان)، في الرواية، وهو جندي بالجيش الإسرائيلي، ويعي، تماماً، الفرق بين الحرب والسلام، ويدعو إلى اختيار السلام، عندما تكون هناك بادرة سلام، تلوح في الأفق.

٤- تتطرق الفقرة إلى فترة دقيقة، ومهمة من حرب السادس من أكتوبر، وهي فترة فك الاشتباك، بين القوات المصرية والإسرائيلية، بعد توقف القتال.

ويرصد الكاتب الآراء الإسرائيلية التي تنظر إلى عملية «الثغرة» ، على أنها انتصار عسكري إسرائيلي، وإن فك الاشتباك بين قوات الجيش الإسرائيلي، وقوات الجيش الثالث المصري، يعتبر تنازلاً إسرائيلياً. ويرد هذا على لسان اليهودي الروسي، الذي لا يعنيه السلام، ويعتبر أن ذلك كله، من قبيل التآمر على دولة إسرائيل، بغرض إضعافها، فكل ما يعنيه كمهاجر، الاستيلاء على أكبر قدر من الأراضي، واحتلالها لاستيعاب ملايين المهاجرين الروس، من أمثاله.

وقد حلل الكاتب، التفسير التآمري، الذي صاحب عقد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، وذلك في رواية «رحلة في أغسطس »، في الفقرة التالية:

-وبصوت منخفض، ومن خلال مظاهر قلقها، قالت سوزان: كيف ترى الموقف؟ «الموقف»: ترقب وخوف.

-«في إسرائيل بشكل عام.... لم أقرأ صحفاً، ولكن سمعت أن الموقف، الآن،

صعب.....

-بأية مفهوم.

-« الآن حيث إن الولايات المتحدة الأمريكية تؤازر العرب.... وإسرائيل في الواقع تقف منعزلة، تماماً».

-قال بدون ثقة: «توجد معاهدة سلام»، ولكنهم يقولون: إن هذا، أيضاً، مؤامرة لإضعاف الدولة (إسرائيل)...

-وبعد أن تتسلم مصر سيناء كلها، سيكون الموقف أسوأ، وتندلع الحرب مرة أخرى» (١).

وفي هذه الفقرة، نجد رصدا لوقائع ما جرى في المجتمع الإسرائيلي، أيضاً، كرد فعل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، مقابل الانسحاب من سيناء بالكامل، ولكن من منظور آخر، ليس منبعه الحرص على عدم التخلي عن سيناء ، ولكن مبعثه هو التشكك في نوايا الولايات المتحدة الأمريكية تجاه إسرائيل، يدفعها لهذا الموقف، الذي كان يرى فيه البعض -من وجهة نظر تشككية- أنه ينطوي على مؤامرة لإضعاف إسرائيل، ثم تهيئة الأجواء لحرب أخرى.

فالخوف الإسرائيلي هنا، قائم على التشكك في نوايا الأطراف الأخرى، الولايات المتحدة الأمريكية، ومصر. الولايات المتحدة بسعيها للتوصل إلى سلام بين مصر وإسرائيل، كنتيجة حتمية، وطبيعية لحرب أكتوبر ١٩٧٣، ومصر باعتبار أنها العدو الرئيسي لإسرائيل. والتي يتشككون، أيضاً، في نواياها الحقيقية في السلام، ويرون أنه مجرد مصيدة، ومؤامرة من أجل التمهيد لحرب أخرى، بينما تلعب الولايات

(١) المصدر نفسه، ص٤٥.

المتحدة في هذه المؤامرة دوراً مخالفاً لأدوارها التقليدية في مساندة إسرائيل، وتتحول لتقف إلى جانب مصر. وبالفعل فإنه شاع في المجتمع الإسرائيلي، آنذاك، هذا التفسير التآمري لمعاهدة السلام مع مصر، وتعالت الشكوك نحو أمريكا.

وبهذا يكون «ميجد» ، قد رصد في رواياته على المستوى التاريخي، الأجواء الحقيقية التي صاحبت هذه المرحلة داخل المجتمع الإسرائيلي، من خلال شخصيات رواياته.

وهذا يجعلنا نتأمل الاتجاهات الإسرائيلية، على مستوى صانعي القرار، نحو السلام، ومواطن الصدق، والكذب، واحتمالات إحراز سلام، سواء كان جزئياً، أم شاملاً، وفي أي وقت، ومع من.

فعلى سبيل المثال، أورد ميجد تنامي اتجاهات المهاجرين الروس، ودورهم في عرقلة السلام، ورفضهم التام لمبدأ الأرض مقابل السلام، وهو ما يجري حقيقة على الساحة في الوقت الراهن.

ثانياً: محور حتمية امتلاك القوة: القوة النووية، وأكثر:

يتأكد هذا الاتجاه لدى رصد الكاتب الإسرائيلي المعاصر (أهارون ميجد)، له على لسان واحد من أبطال روايته (رحلة في أغسطس) ،(ميشا)، أيضاً، وهو الشخصية الممثلة للتيار المتطرف، الرافض للتنازل عن الأرض المحتلة، مقابل السلام، والذي تتجسد فيه مرارة التجربة اليهودية في أوروبا، ويصر على أن من يسلم ما في يده للآخر، إنما يقبل طواعية، بأن يكون ضعيفاً، وعليه ألا يتوقع الرحمة، أو الشفقة من الآخر، ورفض شعار «اللاخيار».

ويتجسد هذا الاتجاه بوضوح، من خلال الفقرة التالية:

-« إنني أقرأ الأمور في الصحف، وأنا أفكر:

-هل يريد شعبنا (إسرائيل) أن يعيش؟

-ربما يكون قد فقد إرادة الحياة!

- إن الإنسان الذي لا يريد أن يعيش، يغلق عينيه، ويرى شخصاً متوحشاً واقفاً أمامه، يرفع عليه عصا غليظة، فيغلق عينيه؟

-وإذا كان قد أغلق عينيه، فإنه يعتقد، أنه ربما أشفق عليه الشخص المتوحش...

-ولكن الشخص المتوحش لا يشفق في أية مرة!

-إذن ماذا يعتقدون عندنا؟

-هل يعتقدون بعد أن نعطي للعرب كل ما يريدون سوف يشفقون علينا؟

-أم أنهم لن يكرهونا أكثر؟

-أم أنهم يشفقون على الضعيف؟

-أم أنهم لا يكرهون الضعيف؟

-هل خلال الألفي عام، التي كنا خلالها في «المنفى» ، وكنا ضعفاء، لم يكرهونا؟

-من أجل ماذا إذن جئنا إلى «بلادنا»؟ إذا لم يكن من أجل هذا، من أجل ألا نكون ضعفاء، ومن أجل ألا نضطر أن نجثوا على أفخاذنا، ونتوسل، قائلين:

-انظروا كم نحن طيبون، كم نحن إلى جانب العدل، والاستقامة.

-إذن لا تقتلونا، لا، إننا شعب يريد أن يعيش، وأنا أقول:

-«إنني يجب أولاً وقبل كل شيء أن أكون قوياً هذا أولاً وقبل كل شيء يجب أن أتمسك بكل ما يوجد في يدي طالما أنهم لم يخطفوه مني بالقوة.

-وبالنسبة للعدو فأنا لن أعطيه ولو حجرًا واحدًا، لأن كل حجر أعطيه له

سيقذفني به بعد ذلك!

-إذن ما هذا الذي يجري لدينا؟

-إن هذا تضليل، هكذا أقول!

-إنهم يتحدثون طوال الوقت عن حقوق العرب.....

-والشخص الذي يتحدث عن حقوق عدوه، ولا يتحدث عن حقوقه هو يكون هناك ثمة شيء على ما يرام بالنسبة له، إن هذا لتضليل، هكذا أقول:

وعندما ترد عليه «تمارا» مصدقة على وجهة نظره ومؤكدة أنها صحيحة ولكن «لاخيار» أمام الإسرائيليين بسبب الأمريكيين يرد عليه بقوله:

-إننا يجب أن نسأل أنفسنا ما هو الشيء الأفضل بالنسبة لنا وليس الأفضل بالنسبة للأمريكيين؟ ».

-ويرد عليه «يوحنان» قائلاً:

-«إنك تنسى أننا مرتبطون بهم بالمال والسلاح.

-ويرد عليه «ميشا» قائلاً:

-يجب ألا نكون مرتبطين!

-ما معنى الاستقلال؟

-إن الاستقلال معناه ألا نكون مرتبطين صحيح؟

-ألا نكون مرتبطين لا في الاقتصاد ولا في السياسة ولا في الجيش....

-وهنا نحن الآن نسلم كل سيناء لمصر وستكون أكثر ارتباطًا حتى بالنسبة للنفط سنكون مرتبطين وستكون لدينا قوة أقل سيبقون لنا المطارات وفي النهاية سيقولون لنا أيضاً متى سيكون مسموحاً لنا بأن نرسل الطائرات إلى الجو ومتى يكون هذا

محظوراً أليس كذلك؟ »[1].

وعلى ضوء ما تقدم يفجر «ميجد» في نفس الرواية الحل المقترح الذي يتلاءم مع وجهة نظر هذا التيار المتطرف من موقفه من السلام مع العرب ويكون الحل هو القوة النووية أولاً ثم السعي لما هو أكبر وأقوى من «القوة النووية»، وهي «أشعة الموت» وذلك من خلال لحظة خيال تتصور أن العرب قد استبدت بهم شهوة الانتقام فأقبلوا على إبادة إسرائيل وبالتالي تبرير امتلاك القوة الفتاكة.

◆◆◆

(١) المصدر نفسه، ص ٨٧- ٨٨.

المبحث الثالث

المزج بين الواقع والخيال حول امتلاك إسرائيل للقوة الخارقة

يعد المزج بين الخيال والواقع من القواعد الأساسية لاتجاه الواقعية، ومن هنا نجد أن (أهارون ميجد)، كأديب واقعي، يأخذ بتلك القواعد لرسم الصورة الواقعية، الراغب في عرضها بشكل صادق، وواضح، خاصة عندما يمس موضوعات مهمة، نابعة من قلب المجتمع الإسرائيلي، وهنا في رواية «رحلة في أغسطس»، يرصد «ميجد» الأسرار العسكرية الإسرائيلية، وما يتعلق بالقوة النووية، ويذهب إلى أبعد من هذا بتصور امتلاك قوة، أكثر فتكاً من القنبلة الذرية، وهي «أشعة الموت»، وهي التي تعطي تميزاً قوياً، وتختلفاً بامتلاكها، حيث إنها سلاح فتاك، لا تصمد أمامه أية قوة مهما كانت، هذا بخلاف امتلاكها للقوة النووية في صحراء النقب.

ويتبلور الواقع مع الخيال مفجراً قضايا القوة النووية في صحراء النقب، وأشعة الموت، وما يضمره العقل اليهودي، ويختزنه في ذاكرته من تخوف تعاظم القوة العربية.

ومن خلال الفقرة التالية، نقف على فكرة الواقع المؤيد لامتلاك القوة، غير العادية في الحاضر، والمستقبل، بالنسبة لدولة إسرائيل:

حيث جاء الحوار التالي، في رواية «رحلة في أغسطس»:

-«أغلقت عينيها، ورأت طوابير من الدبابات تدخل المدينة، تحرث شوارعها.

-الآلاف من جنود العرب، تملأهم شهوة الانتقام، ينقضون على البيوت كالجراد.

-يذبحون ......

-ليس هناك من مفر..........

-يقتحمون الملجأ في السرداب.........

-قالت لنفسها: هذا هو الظلام، الليل، وبالليل يبدو كل شيء مبالغًا فيه، كابوس مرعب، ويأخذ أبعاداً فظيعة. ظل كالجبال.

-الواقع مع بزوغ ضوء النهار، شيء آخر.

-البلاد ليست مجردة من السلاح.

-يوجد سلاح فتاك لا يصمد أمامه أي عدو.

-قنابل ذرية في مكان ما بمخازن الطوارئ تحت الأرض، في صحراء النقب.

-الأسرار العسكرية بعيدة عنكن لكن يوجد، يوجد............

-ربما، أشعة الموت.

-ماذا تعرفين من أساليب للتفكير، بما هو هنا، مثل ما هو هناك؟

-عامة، لا يخطر على البال....

-فكري في باكر .

-في «جيدي» (الجندي الذي يستعد للانضمام للجيش الإسرائيلي) .

-فكري فحسب، في «جيدي» [1].

تلك الرحلة التي يقوم بها الأب (دانيال) تقع في بيئة عسكرية، هي سيناء حيث كانت المواقع والمدن العسكرية على حالها، وعقل، وفكر الأب، ورفاقه في الرحلة،

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

وشغلهم الشاغل، أيضاً، موضوع عسكري، وهو الابن الأكبر، الذي فقد في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، والابن الثاني (جيدي)، المزمع انضمامه للجيش الإسرائيلي. وبالتالي فإن الموضوعات الأخرى، التي تفجرت من خلال الحوارات على مدى الرحلة، كانت تتعلق بأمور من هذا النوع، من الناحية العسكرية.

وفي هذه الفقرة، تطرق التفكير لإحدى شخصيات الرواية إلى القوة النووية الإسرائيلية، من خلال الخيال الذي ذهب بعيداً.

لتتخيل المدينة الإسرائيلية، وقد باغتتها قوة عربية من آلاف الجنود بدباباتهم، يحرثون الشوارع، ويذبحون السكان، الذين لا مفر، ولا ملجأ لهم من هذا المصير المحتوم، حتى أن الملاجئ المحصنة الموجودة أسفل المنازل، تم اقتحامها من قبل الدبابات العربية.

وأمام هذه الصورة، ولو أنها من نسج الخيال، تأتي الصورة الحتمية والضرورية، وهي من الواقع لتضع الحل النفسي أمام الخوف من هجوم القوات العربية.

ويأتي الحل قاطعاً وقوياً متمثلاً في القوة النووية الحقيقية التي تملكها إسرائيل في صحراء النقب، وعلاوة على ذلك، وزيادة في إبراز الصورة المقابلة القوية ضد هجوم العرب المرسوم من الخيال نجد الكاتب يذهب أيضاً إلى الخيال ليعلن عن وجود قوة فتاكة أكثر من فتك ودمار القنبلة الذرية وهي «أشعة الموت».

كان الكاتب موفقاً جداً في رسم هذه الصورة الواقعية الصادقة، فتلك الصور جميعها تمثل الواقع الحقيقي للمجتمع الإسرائيلي، حيال نهج استخدام القوة وتعزيزها عسكرياً من وقت لآخر لأقصى حد يصل إلى صنع القنبلة الذرية وتبرير ذلك بالخوف من تعرض إسرائيل للتدمير والقتل من جيرانها العرب. وقد أبرز الخيال أن هجوم دبابات الجنود العرب كان كالجراد يلتهم كل شيء حتى أن

الملاجئ الموجودة تحت الأرض لم تحل دون هذا الهجوم.

ومن هنا، يريد الكاتب أن يقول : إنه لا مفر أمام الإسرائيليين، إلا استخدام قوة هائلة، ومن نوع جديد تكون فاعليتها ذات أثر فعال يمنع وصول طوابير دبابات العرب إلى المدن الإسرائيلية، لأن مجرد وصولهم فيه الدمار الكامل، ومن هنا كان الاعتماد على القنابل الذرية، التي تمثل الردع لهذا الهجوم، وعلاوة على ذلك فقد تخيل الكاتب استخدام وسائل أقوى من القنابل الذرية وهي «أشعة الموت»، التي تمنع في الأساس وصول القوات العربية للمدن الإسرائيلية لأنها تملك الفتك والموت لحظة إطلاقها، ويبقى مطلقها في أمان، ومأمن من كل هجوم عربي مباغت.

وفي نهاية الحوار، وبعد الاطمئنان على القوة الرادعة، التي تملكها إسرائيل، يعود الحوار حول القضية الرئيسة، وهي مستقبل الشاب «جيدي»، وانخراطه في الجيش الإسرائيلي، والخوف من المصير، الذي كان مثار القلق للأسرة، في مضمون الرواية، والأسرة الإسرائيلية في الواقع بشكل عام وهو فقد أعز الأبناء في الحروب.

ويبرهن الواقع على صدق ذلك عندما خاطب الزعيم الراحل أنور السادات الشعب الإسرائيلي، كان صائباً بكل حكمة وحنكة. عندما توجه إلى الحفاظ على الأبناء وحياتهم وحقن الدماء الغالية والحد من آلام الثكلى والأرامل وآلام الآباء والأمهات والأسر وهذا ما لقي كل ترحيب وإجماع وخاصة أن التوجه من منطلق القوة وانتصار السادس من أكتوبر.

وبالتالي كان الانسحاب من سيناء ومعاهدة السلام.

وفي موضع آخر من رواية «رحلة في أغسطس» يبرر الكاتب امتلاك إسرائيل لهذه الأسلحة الفتاكة بدعوى أنها دولة صغيرة محاصرة بين دول كبرى (عربية) معادية.

فتأتي الضرورة لامتلاك مثل هذه القوة.

ونلمس ذلك من خلال الفقرة التالية:

نعم....معبر للأفق، الخوف، دائماً، دائماً، ولا مفر من هذا أو ذاك...

من أين، ومن أين لشعب صغير ومحاصر مكشوف للعيان، في برج، وهناك (يقصد أيام الشتات) كان نصيبه (الشعب اليهودي) الاضطهاد...

لم ير النور أيضاً على تلك الأرض (فلسطين) [1].

وبالتبعية يأتي التأكيد على مقولة الشعب الصغير المحاصر كنوع من التغطية والتمويه على القوة الرادعة بل والقوة النووية بعد ذلك.

التستر وراء قوة عسكرية هائلة كافية لتدمير المنطقة كلها والهرب من الكشف عنها بدعوى أن إسرائيل شعب صغير ومحاصر.

وبتلك المقولة تحظى إسرائيل بتأييد من طرفين أحدهما داخلي متمثلاً في الغالبية الشابة، والقوى الرادعة البشرية، والآخر خارجي من خلال التأييد الأمريكي، والتمويل الخارجي، المتمثل في اللوبي اليهودي خارج إسرائيل، والمعونات الأمريكية.

وتكتمل صورة الدولة (إسرائيل) في امتلاكها لأقوى وأحدث الأسلحة الفتاكة، و عمليات التمويه، والإخفاء، وعدم الكشف عنها، إلى العمل على تدمير أية قوة تماثلها، أو تنازعها في هذا الشأن، وذلك عن طريق تشكيل جماعة تمثل العقل اليهودي في كل أنحاء العالم، هدفها ضرب أية قوة من هذا النوع، تشكل خطراً على إسرائيل، وبالتالي يكون واجبها «الدفاع» عن إسرائيل، وفي نفس الوقت، يكون لها

(١) المصدر نفسه، ص ٤٥.

دوراً إيجابي، يتمثل في إحلال وتطوير وسائل حرب سرية للدفاع عن إسرائيل.

وتلك الصورة مرسومة بشكل مباشر في رواية «فويجلمان» لأهارون ميجد حيث كتب بطل الرواية (فويجلمان) هذه السطور:

- «دولية العقل اليهودي» .

«وتحت هذا العنوان تفصيل أهدافه، وكيفية مزاولة نشاطه الدولي مثل :

- إعداد ميثاق الأسرار ويكون له قيادة تفرض طابعها على كل أعضائها حيث يتواجدون هناك.

- يسيطر عليه مغزى خطير.

تستطيع دولية العقل اليهودي أن تعوق، أو تفشل تطوير وصنع وسائل الحرب، التي تشكل خطراً على سلامة إسرائيل، تستطيع أن تفرض عقوبات على دول معادية بواسطة تخريب وشل معاهد العلم. وفي مقابل هذا تستطيع إحلال ، وتطوير وسائل حرب سرية تستخدم للدفاع عن إسرائيل دفاعاً عنها فحسب[1].

في هذه الفقرة يطالب بطل الرواية (فويجلمان) بتسخير العقول اليهودية في كل أنحاء العالم للعمل على حماية إسرائيل بواسطة أسلوبين أحدهما بالسلب والآخر بالإيجاب.

يتمثل أسلوب السلب في تخريب المعاهد والمعامل التي تعمل على تصنيع، وتطوير وسائل حربية متطورة يمكن أن تهدد أمن وسلامة دولة إسرائيل «كما حدث بالفعل عندما قامت إسرائيل بتدمير المفاعل النووي العراقي».

أما أسلوب الإيجاب، فيتمثل في العمل على إحلال وتطوير وصنع وسائل حربية

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٣، ٢٥٤.

جديدة تستخدم للدفاع عن إسرائيل فحسب.

ويتصور الكاتب (وهذه هي الحقيقة في الواقع) تشكيل جماعة تمثل العقل اليهودي في شتى أنحاء العالم تلتزم بتنفيذ هذا المخطط ويكون لها سيطرتها على أعضائها.

ويستمر الكاتب في المطالبة بأن تمتلك إسرائيل أقوى الأسلحة الفتاكة التي تفوق القنبلة الذرية وهي «أشعة الموت».

حيث يبدو أن الكاتب يشير إلى القنبلة الذرية إشارة ساخرة لكونها موجودة في الغرب والشرق وربما ستكون في يوم من الأيام ليس ببعيد في حوزة الدول العربية. وبذلك يركز على استخدام ما هو أقوى وأكثر فتكاً وتدميراً وهو «أشعة الموت».

وفي هذا الشأن، يقول:

والسلاح السري الذي يفوق كل سلاح آخر في العالم سيكون «أشعة الموت»، ليس قنبلة ذرية إذ أن قنبلة من هذا الصنف، موجودة بالغرب والشرق، وليس بيوم بعيد ستكون أيضاً، في يد دول عربية وتكفي واحدة من إحداهن أن تدمر إسرائيل وتهلك سكانها.

«أشعة الموت »خلال ثوان معدودة.

بقوتها أن تدمر جيوش كبيرة وعظيمة.

فعندما تتجمع جيوش الأعداء على حدود البلاد (إسرائيل) لشن حرب تسقط جميعاً أمام أشعة الموت وتنقذ إسرائيل[1].

اختار الكاتب بطل الرواية «فويجلمان» ليكون هو المقترح والمتخيل والراغب في كل هذه الأمور المتعلقة في أساسها بإحلال الطمأنينة لمواطني دولة إسرائيل، وتوفير

(١) المصدر نفسه.

الأمن لهم على الأرض التي يعيشون عليها بالاحتلال.

ويأتي الاختيار موفقاً لأن «فويجلمان» واحد من الذين كتب لهم النجاة من أحداث النازية، وقضى عمره في الشتات (حسب أحداث الرواية) وعندما عاد لإسرائيل، شعر بالغربة وافتقد الأمان النفسي ورأى القتل والدماء والحروب واستشعر الخوف والقلق أكثر مما كان يشعر به في غربته وشتاته.

ومن هنا أخرج كل ما في فكره من خيال وواقع ليتحقق له ولبني جلدته الأمان المطلوب في إسرائيل، فذهب بفكره إلى أبعد حد لدرجة أن القنبلة الذرية لم تعد كافية بالنسبة له لردع أعدائهم وبالتالي كانت «أشعة الموت» القاتلة.

و«فويجلمان» كواحد من الناجين من أحداث النازية، لابد وأن يكون له ولأمثله فكر يختلف عن الآخرين حيث إن الأحداث التي مر بها منذ طفولته–حسب الرواية– وحتى نجاته، كانت كافية بأن تجعل منه شخصاً يتمسك بالحياة بكل الأساليب « لقد كان اليهود الذين أرسلوا إلى أوروبا عند انتهاء الحرب لإنقاذ الناجين، كانوا يدركون إدراكاً، مباشراً، أن هؤلاء الناس قد مروا بتغيرات عميقة». وكان هناك نوع من التغير واضح كل الوضوح بين الأطفال «أطفال المعسكرات» كما يطلق عليهم. لقد نجوا من سجون الاعتقال النازية، لكي يجدوا أنفسهم في معسكرات للأشخاص المرحلين ثم في معسكرات الاحتجاز البريطانية في قبرص أو في فلسطين ذاتها. إن هؤلاء الأطفال إذن قضوا أعوام طفولتهم الحيوية في معسكرات الموت النازية، وقد عرفوا أن السبيل الوحيد لتجنب المصير الذي حل بآبائهم وعائلاتهم هو النضال من أجل الحياة بالأسنان والأظافر إذا لزم الأمر»[1].

(١) جون لافيين، العقلية الإسرائيلية، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة، رقم ٧٥٠، القاهرة، ١٩٧٩، ص٥٢، ٥٣.

فقد وجب علينا أن نتأمل القيادات الإسرائيلية الحالية والمستقبلية ونبحث في جذورها وبالتالي نتوقع تصرفاتها حيال الآخر وحيال العرب وحل قضايانا الشائكة المتمثلة في تحرير الأرض المحتلة، وقيام دولة فلسطين واسترجاع المقدسات وبالتالي نضع صورة واضحة المعالم أمام من يهمه الأمر من متخذي القرار العربي.

◆◆◆

المبحث الرابع

المكان كسمة من سمات واقعية الرصد التاريخي سيناء ومعاهدة السلام

تأتي دائماً الصور التي يرسمها الأديب «أهارون ميجد»، بأسلوبه الواقعي صادقة، ومعبرة لأقصى حد، لأنه يلتزم في بنائه الروائي على العناصر الأساسية لذلك الأسلوب وهنا تبرز الصورة صادقة من خلال الوصف الملتزم بعنصري المكان والزمان ونحن بصدد وصفه للمواقع العسكرية الإسرائيلية في سيناء من خلال رواية (رحلة في أغسطس).

نجده ينهل من البيئة بواقعها وطبيعتها وأسمائها الحقيقية، مع التحديد الزمني من خلال الحوار ومن خلال تاريخ إنشاء تلك المواقع وتطورها حتى صارت على الوضع الموصوفة به في أحداث الرواية، التي تدور حول حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وما تلاها من أحداث تتعلق بمعاهدات السلام والتخلي عن سيناء وغيرها من الأراضي المحتلة.

وتتكون عناصر الواقعية ومصداقيتها من خلال الرصد التاريخي للأحداث بطريقة غير مباشرة فمرة يأتي التاريخ من خلال تاريخ عودة سيناء لمصر وهو تاريخ لاحق لحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣أو من خلال ذكريات الخدمة العسكرية في تلك المواقع بسيناء وتذكر أيام الخدمة في تلك المناطق بإيراد التاريخ بالسلب « لم أكن هنا منذ عدة سنوات» والتاريخ اللاحق بالإيجاب، عندما ورد في الحوار «هل بيرتمادة ستسترد قريباً (تعود لمصر). أم لا؟

«نصف عام».

من خلال ذلك يستنبط التاريخ وزمن الأحداث مقروناً بالبيئة والأماكن

الواقعية مجال الوصف للأحداث، مع الوصف الواقعي للطبيعة الصحراوية، والرملية ووعورتها.

مع استمرار رحلة (دانيال) والد الجندي المفقود في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ورفاقه بالسيارة، عبر سيناء، ومواقعها العسكرية وطرقها ومعابرها المختلفة تدور أحداث وتقع مناقشات وحوارات تفجر قضايا مختلفة وفي هذه المرة وعند مفترق إحدى الطرق ينضم إلى الرحلة أحد الجنود، ومن خلال الحوار معه نتعرف على المواقع العسكرية في سيناء وكيفية التكيف والمعيشة داخل هذه المواقع مع وصف دقيق للطرق والمعسكرات.

ويبدو ذلك واضحاً في فقرات الحوار التالية، في رواية «رحلة في أغسطس»، على النحو التالي:

-«توقف عند مفترق الطرق المؤدي للقرية، فتح الباب، والتقط إلى داخل السيارة الجندي المنتظر هناك مع سلاحه.

-أخيراً.. وضع الجندي البندقية تحت أقدامه، ولبس حزامه، وقال:

-أنا منتظر هنا لأكثر من ساعة.

-إلى إيلات...

-نعم.

-من هناك، من الضروري، أيضا، الذهاب إلى بير تمادة.

-هل يوجد من إيلات طريق إلى بير تمادة؟

-اندهش عندما تذكر تلك الأيام، عندما سافر من اللد إلى رفيديم، ومن هناك طار إلى بير تمادة ولمعسكرات أخرى في شتى أنحاء سيناء لإلقاء محاضرات

للمجندين في خدمة الاحتياط.

-عن طريق الجو....

-ابتسم الجندي (وهو شاب مشرق، طويل القامة، له شارب دقيق ذهبي).

-نعم، توجد طائرة إلى رفيديم، في الرابعة والنصف.

بيرتمادة: صفوف من الأكواخ الصغيرة، مستطيلة الشكل ومجمعات استهلاكية، مكاتب للقيادة، ونادي، مدينة صغيرة على السهل الأصفر اللانهائي، الذي ليس به ظل...

-النادي الذي حاضر فيه في الأعوام ١٩٧١، ١٩٧٢، عن التواجد الذي نعيش فيه.

-طريق العريش ليس قريباً جداً، حاول تذكر خريطة الطرق لسيناء.

-نعم ولكن بالنسبة لي أحتاج ليوم كامل، من أجل الوصول إلى العريش....

بيرتمادة.... ومن هناك بواسطة السيارة الجيب للمعسكرات الصغيرة المحيطة بها، الخاصة بسلاح المدرعات، والمدفعية، إلى ممر متلا، وإلى مواقع القناة إلى بالوظة، وطاسة إنه موقع الإعاشة الذي نعيش فيه....[١].

تتضمن الفقرة السابقة الأماكن والطرق الحقيقية بسيناء والشكل الحقيقي للمواقع وكيفية الوصول إليها سواء عن طريق البر أو عن طريق الجو. والأسماء الحقيقية للمواقع والمدن في عمق سيناء هي بيرتمادة والعريش وممر متلا وبالوظة وطاسة.

ويمكن التعرف على شكل الحياة في تلك المواقع، وخاصة مع الوصف الكامل

(١) ميجد، رواية رحلة ...، مصدر سبق ذكره، ص٥٥، ٥٦.

لمنطقة بير تمادة، الذي يتضمن أماكن الإعاشة، وهي صفوف من الأكواخ الصغيرة المستطيلة الشكل ، والمجمعات الاستهلاكية، مع وجود نادي للترفيه وتوجد هناك المعسكرات متناثرة حولها، حسب طبيعتها العسكرية سواء المدرعات أو المدفعية وغيرها.

ومع استمرار الرحلة يستمر الحوار حول سيناء والمواقع والطرق وطبيعة الحياة فيها ومدى توفر إمكانيات المعيشة والإقامة بها:

- «يوجد طريق من إيلات لبير تمادة».

- قالها الجندي، كما لو كان قد قدر الإمكانات المختلفة في نفس الوقت.

- طريق عبر وادي، لكن أوفر من طريق الخوربان.

- في الواقع ليس أقل من مائتي كيلو متر.

- هل أنت من تلك الموشاف (المستوطنة) التي هناك؟

- نعم. نعم ....

- هذا كثير.......خلق انطباعًا كهذا عن الطريق.

- نعم، أكثر من ثمانين أسرة.

- هل المياه متوفرة عندكم هناك؟

- من الأبيار، توجد مياه كافية في باطن الصحراء، تحتاج للحفر والتنقيب، فحسب.

- ما هو المتوفر من المزروعات....

- كل شيء... خضراوات ، زهور.

- مأكولات جيدة؟

ـ ليست رديئة، كل شيء يتم إعداده هنا، ويسوى مسبقاً..

ـ ولكن الأسعار معقولة.

ـ للتصدير، أيضاً...

ـ هل أنت هنا للمرة الأولى؟

ـ كلا، ضحك، كلا، ولكن جئت هنا من ثمان أو تسع سنوات...

ـ هل بير تمادة ستسترد قريباً (تعود لمصر) أم لا؟

ـ بعد نصف عام.

ـ إذن؟ وبعد ذلك؟ [1].

على الرغم من البيئة الصحراوية وقلة المياه بسيناء فإن الكاتب أراد أن يبرز صورة قهر هذه الصعاب وإقامة حياة كاملة من خلال إقامة مستوطنة زراعية، وإعاشة لأكثر من ثمانين أسرة معتمدين على مياه الآبار التي يحفرونها لأن المياه هي عصب الحياة.

وبالتالي، فإن كل شيء متوفر في تلك البيئة.

وبما إن هناك صعوبات، فإن الكاتب أورد صورة من التفاؤل والإشراق، وذلك بتوفر المياه في باطن الصحراء، ولا يبقى سوى التنقيب والحفر وهذه صورة إيجابية أوردها الكاتب لإبراز إمكانيات التعمير في سيناء ومدى أهميتها وفي نفس الوقت أورد الصورة المقابلة لذلك وهي عودة سيناء إلى مصر طبقاً لاتفاقيات السلام بين مصر وإسرائيل.

ويستمر الحوار مع استمرار الرحلة، وتتفجر من خلال هذا الحوار أكثر من

(١) المصدر نفسه، ص٥٦.

قضية واقعية تتعلق بسيناء وعودتها وذكريات الخدمة والمعيشة في مواقعها العسكرية، وكذلك الوصف الصادق للبيئة التي أفردها أمامنا الكاتب بكل تفاصيلها، ومحتواها.

كما هو في الحوارات التالية في رواية «رحلة في أغسطس»:

- ضحك الجندي، ووضع راحتيه على صدره، وقال:
- انتهى... شكرا لله، ثلاث سنوات كافية بالنسبة لي في الصحراء القاحلة...
- هل في سلاح المشاه؟ أم في المدرعات؟
- في المدفعية، ثلاث سنوات فوق الرمال...
- من بير تمادة، مساء اليوم التالي لطاسة...
- اللقاء المدهش مع نوني منذ نصف عام الموقع الذي نعيش فيه...
- وكان المكان بسيطاً بالجبهة والآن تطور وتوسع..

من بير تمادة لطاسة، مدينة جبلية عسكرية ممتدة على الهضاب تغص بالحياة وأدوات حرب وورش ومكاتب وموظفات بزيهن العسكري وضباط صف وسائقين ولافتات....

(لافتات مدون عليها)

- لا تقل أريد لكن أعمل...
- الاقتصاد هو موضوع الساعة...
- الراغب في السلام يستعد للحرب...
- لافتات وحدات بالحروف الأولى «الاختصارات».
- إلى مكان الأدشاس........

- إلى المجمع الاستهلاكي....

- إلى البريد....

- إلى السكرتارية العسكرية...

- إلى ضابط التعليم المساعد...

- إلى مكان الاحتفالات...

- لافتات تساعدك في الوصول إلى حجرة الطعام تقدم الوجبة وجبة مضاعفة خليط من شوربة الخضار الحمراء وحساء خفيف يقترح عليك قضاء راحة الظهيرة في كوخ الضيوف.

- سأل في الطريق إلى هناك عن إمكانيات الدراسة بالجامعة.

- وأنت بعد أن تضع الحقيبة الصغيرة على السرير تطلب التحرك إلى وحدة الابن كتيبة ١٢ السرية الأولى..

- نعم هذا يشبع رغبتك الضابط المساعد كل شيء في خدمتك.

- تتجول بالمعسكر وعند جلوسك على السرير في هذا الكوخ يتطاير التراب الناعم على شكل موجات على أرضيته، ويغطى الصندوق بلون أصفر الكرسي المصباح المتدلي من السقف .

- يخصص لك سيارة جيب تسافر بها بالطريق الذي تحول ليصبح طريقًا دائريًا على مداه إلى موجات هضاب الرمال المترامية، وتصل إلى مجموعة دبابات مغطاة بشباك خضراء على جانب المضبة كما لو كان منحوتاً بداخلها وهي غرفة عسكرية تحت الأرض من الخرسانة المسلحة الرمادية المحصنة[1].

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٧.

الحوار في الفقرة السابقة أفرد أمامنا بانوراما واسعة للنهج الواقعي للكاتب، فقد تطور الوصف من وصف للطريق والمسارات والمواقع والمدن العسكرية والطقس والبيئة. إلى الدخول في أغوار هذه المواقع العسكرية أو المدن العسكرية كما يسميها في الفقرة السابقة فقد وصف لنا تلك المدن العسكرية من الداخل من حيث الشكل وحتى أسلوب المعيشة بداخلها.

وتفرز الفقرة السابقة عدة عناصر حول أسلوب المحتل في التعامل مع أرض سيناء المحتلة، والاستفادة منها والتوجيه لأفراده بدعوتهم بالعمل الجاد على هذه الأرض، والتركيز على الجانب الاقتصادي باعتبار أن الاقتصاد هو موضوع الساعة، وسمة العصر.

وهذا يعطي صورة لنوع الثقافة التي كان العسكريون يركزون عليها في مثل هذه المواقع البعيدة عن الدولة، وفي المواجهة وفي تلك البيئة القاسية بسيناء.

وبالتالي، وجب علينا أن نأخذ العبرة والدرس لنحافظ على سيناء ونعمرها بقلب صاحب الأرض وليس بشهوة المحتل، ولو في الحد الأدنى المشابه لأسلوبهم.

ولا ينسى الكاتب الإسرائيلي أن ينبه إلى القوة من خلال قوله «الراغب في السلام يستعد للحرب» وهي دعوة للقوة بجانب الرغبة في السلام أي أنها دعوة لأن يكون السلام من خلال القوة المتمثلة في الاستعداد الدائم للحرب.

أثيرت في الفقرة السابقة قضية عودة سيناء لمصر، من خلال اتفاقيات السلام، وذلك وارد ضمناً من عودة الجزء (بير تمادة) إلى عودة الكل (سيناء) وكان رد الفعل من قبل المتحدث في الحوار أن قال:

«انتهى، وشكرا لله» ، وكان رد الفعل من قبل الجندي متوائماً مع ما سمع فقد قال: « ثلاث سنوات كافية بالنسبة لي في الصحراء القاحلة، وهذه السنوات الثلاث

قضاها في سلاح المدفعية أي أنه يريد القول بأن عودة سيناء جاءت في وقتها فقد خدم بها ثلاث سنوات، وهذا كافٍ له بما تحمل من مشاق وتكبد من متاعب في تلك البيئة القاسية.

فلتذهب سيناء لمصر وليستريح هو وأمثاله من صعوبة الخدمة بها. ومع استمرار الرحلة يؤكد الكاتب على الرؤية السابقة تجاه عودة سيناء فنجد أن الجندي يفكر في مستقبله بعد نهاية خدمته في سيناء التي ستعود لمصر، ويسأل عن إمكانيات الدراسة بالجامعة وهذا هو الأسلوب المتبع في إسرائيل لإتمام الدراسة الجامعية وذلك بعد نهاية الخدمة العسكرية.

وتكتمل الصورة التي رسمها الكاتب للحياة داخل هذه المواقع العسكرية فقد أوضح أن مدينة طاسة مدينة جبلية عسكرية ممتدة على الهضاب وتفتقر لسبل الحياة. ورسم لنا اللافتات المختلفة، التي تعد وسائل تعليمية، وتوجيهية علاوة على ذلك هناك اللافتات التي تفصح عن أماكن الإعاشة، والترفيه لجنود من أماكن للاستحمام والطعام والنواحي الإدارية مثل البريد والسكرتارية العسكرية وغيرها.

◆◆◆

المبحث الخامس

حرب لبنان ١٩٨٢

«إن المجتمع الإسرائيلي يعيش منذ وجوده، تناقضاً حاداً بين فرضيات الأيديولوجية الصهيونية، التي تدعو إلى جعل اليهود شعباً مثل سائر الشعوب، وبين إفرازات الوجود الإسرائيلي القائمة على حتمية التوسع في الأراضي سواء لأسباب أيديولوجية صهيونية أو أمنية وهذا التناقض الحاد الذي يعيشه الإسرائيليون، هو تناقض لا يملكون له حسمًا وهو الذي يفسر سقوطهم في هوة الجبرية، حيث أصبح الوجدان الإسرائيلي يتعامل مع الحرب، كما لو كانت حالة لا نهائية، ودائرة مغلقة لا فكاك منها»[١].

ومن هنا كانت حرب لبنان الأولى إشباعاً لنزعة الاتجاه بحتمية التوسع في الأرض لأسباب أمنية، فقد أطلق على هذه الحرب عند اندلاعها « عملية سلامة الجليل »، حيث تزرع العسكريون الإسرائيليون بأن هناك تهديدًا على شمال إسرائيل، مصدره جنوب لبنان، وهو مصدر العمليات العدائية ضد إسرائيل، ومن هنا كانت حرب لبنان ١٩٨٢.

وبدراسة أحداث التاريخ المعاصر لدولة إسرائيل من خلال محطات الحروب، التي لم تتوقف إسرائيل عن خوضها نجد أن الكاتب قد تطرق إلى تلك الحرب، وملابساتها وذلك في رواية «فويجلمان» وذلك من خلال وجهة النظر الرافضة لتلك الحرب ولنهج الدولة الإسرائيلية في التدخل في شؤون جيرانها والعدوان عليهم، ويأتي هذا النقد على لسان شخصية (أروينج)، نجل «فويجلمان» حيث يقيم في أوروبا ولا يرغب في الهجرة لإسرائيل الذي ينتقد هجرة والده إليها ويوجه انتقاده

(١) الشامي، عجز النصر... ، مصدر سبق ذكره، ص٧٠.

لدولة إسرائيل، وسياساتها، ونهجها في لعدوان على جيرانها، وانتقادها خوض حرب ١٩٨٢ ضد لبنان.

حيث جاء على لسانه منتقداً ما يدور في إسرائيل بقوله:

- ماذا يوجد عندكم هنا؟ (إسرائيل)؟

- حروب، حروب ....

- العسكريون عندكم بالطبع عندما عبروا نهر الليطاني، اعتبروا أنفسهم وكأنهم قيصر عندما عبر «روبيكون».

- قلت: إن اجتياح لبنان بالتأكيد، كان خطأ.

- هذا هو رأيي ولكن حيث إن الجيش يعبر نهر الليطاني عائداً، فإن هذا بمثابة «تراجع».

- وكانت نظرته مثبتة بي، كمن يريد إجابة أخرى.

- إنه خطأكم القديم ...

- ربما هو الدولة نفسها.... وكل الذي حل في أعقاب قيامها...

- وبعد برهة من الصمت.

- قال مبتسماً:

- أنتم في الواقع تعيشون بمفاهيم القرن التاسع عشر.

- كل قضايا الإغارات خلف الحدود.... التدخل في شؤون الدول المجاورة، إنها المفارقة[1] التاريخية[2].

(١) ميجد، فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص١٥، ١٦.

(٢) المفارقة التاريخية، يقصد بها حدوث الشيء في غبر زمانه، ومكانه.

لقد وظف الكاتب الحوار في الفقرة السابقة، كما هو المعتاد عند تناوله للأحداث، لتوجيه النقد اللاذع تجاه نهج إسرائيل وأسلوب الجيش الإسرائيلي في العدوان، والتدخل في شؤون الدول المجاورة.

لقد انتقد بشدة، وبسخرية في نفس الوقت خوض حرب لبنان ١٩٨٢، وسخر من اجتياح الجيش الإسرائيلي للبنان، واحتلال أجزاء منها بدعوى الأمن والتأمين، وذلك على لسان «أروينج» الشاب اليهودي الذي يعيش في أوروبا، ولا يرضى عنها بديلاً وينتقد هجرة والده إلى إسرائيل لأنها دولة تفتقد الأمن والأمان، وتعيش في جو الحروب والدماء على الدوام.

يركز الكاتب في هذه الفقرة بأسلوبه الساخر على عنصر المكان، «ماذا يوجد عندكم هنا».

فكلمة هنا تشير إلى دولة إسرائيل وتضع في مخيلة القارئ الاتجاه صوب المكان المقابل وهو مكان إقامة «أروينج» بأوروبا حيث لا يرغب في مغادرتها على غرار ما فعله والده بهجرته لإسرائيل، وتتكرر كلمة الحرب أكثر من مرة حروب، حروب، مما يوحي بالرفض والنفور من هذه الحروب، وما تتمخض عنه.

وكذلك كلمة «عندكم» تشير إلى العسكريين في إسرائيل، ونهجهم المرفوض من جهته، وإلى كلمة «أيضاً» هذه الكلمة تشير إلى المكان، وما يتم فيه من أعمال، وتوجهات عسكرية غير مقبولة عند الشاب «أروينج».

وعلاوة على ذلك، فإن النقد الساخر، واللاذع يتجه إلى أبعد من نقد تصرفات، ونهج القادة والعسكريين الإسرائيليين في التدخل في شؤون الدول المجاورة وشن الحروب إلى عدم الاعتراف بالدولة (إسرائيل) في حد ذاتها حيث يعتبر قيامها خطأ كبيراً وأن كل ما حدث في أعقاب قيامها يعد من باب الخطأ أيضاً.

ويستمر الكاتب في عرض النقد الساخر، واللاذع لتوجهات القادة في إسرائيل، من خلال الحوار الوارد على لسان الشاب اليهودي «أروينج» حيث يقول: «أنتم في الواقع تعيشون بمفاهيم القرن التاسع عشر».

وهنا يدلل على قصور ثقافي واجتماعي وسياسي في المجتمع الإسرائيلي من وجهة نظره لأن كل ما يحدث في إسرائيل والمشار إليها بالضمير« أنتم: أساليب القرن التاسع عشر مما يشير إلى تدني تلك الأساليب في مقابل التقدم المزدهر بأوروبا وما يشعر به من أمن وأمان، مقابل افتقاده بإسرائيل».

ويتشعب النقد من العام وهو انتقاد قيام الدولة نفسها، «دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ » إلى الخاص وهو ما عبر عنه «المفارقة التاريخية» مشيراً إلى شن الغارات على الحدود المجاورة والتدخل في شؤون الدول المجاورة وأن هذه الأمور لا تتناسب مع روح هذا العصر ولن تجلب الأمن لإسرائيل.

وقد عبر الكاتب عن عبور نهر الليطاني، بأنه الفشل بعينه، لأنه يعد بمثابة تراجع وتقهقر للجيش الإسرائيلي الذي تكبد خسائر فادحة من جراء ذلك.

◆◆◆

الباب الثاني

رؤية جديدة لصورة الفلسطيني في الأدب الإسرائيلي

◆◆◆

الفصل الأول

الواقعية في تناول الشخصية والقضية الفلسطينية في روايات ميجد

المبحث الأول: الشخصية الفلسطينية في روايات ميجد

يعتبر تناول أهارون ميجد للقضية والشخصية الفلسطينيتين من الملامح الرئيسية التي اهتم بها في رواياته التي كتبها بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحرص على إبرازها باعتبارها جزءًا أساسيًا لا يمكن إغفاله من الصراع العربي ـ الإسرائيلي عامة ومن صورة الواقع الإسرائيلي بشكل خاص وخاصة وأن الفلسطينيين في الأراضي المحتلة يعيشون حالة من المعايشة عن طريق الاحتكاك من ناحية، والمقاومة للاحتلال من ناحية أخرى نظرا لأن قطاعات كبيرة من أبناء قطاع غزة والضفة الغربية يعملون في قطاعات كبيرة من الاقتصاد الإسرائيلي [١]؛ وعن طريق المقاومة، نظرا لأن روح المقاومة الفلسطينية لم تتوقف منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي عام

(١) تقدر نسبة العاملين في إسرائيل (من المناطق المحتلة)، بنحو ٤٠٪ من العمالة في الضفة الغربية وغزة، وقد ظلت مستقرة نسبياً قبل الانتفاضة الفلسطينية الأولى، واشتملت على ١٠٩ ألف عامل فلسطيني، تقريباً، في عام ١٩٨٧. إن العمالة الفلسطينية في إسرائيل أصبحت شيئًا لابد منه، بالنسبة إلى الطرفين، ولم تكن أقل ضرورة لإسرائيل مما هي للفلسطينيين، وبالنسبة إلى إسرائيل، فإن العمال الفلسطينيين يقبلون الأعمال التي يأنف الإسرائيليون بصورة متزايدة عن القيام بها، بالإضافة إلى أنهم عموماً عمال يعتمد عليهم، وجدّيون، فإنهم يتلقون أجوراً أقل من تلك، التي يحصل عليها العمال الإسرائيليون.

(للمزيد راجع محمود المرسي شريف، **السلطة والتجارة... البروتوكول الاقتصادي الإسرائيلي الفلسطيني**، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٢١، شتاء ١٩٩٥.

١٩٦٧، وازدادت اشتعالاً بعد الانتفاضة الفلسطينية الأولى في ٩/ ١٢/ ١٩٨٧.

وبطبيعة الحال فإن هذين البعدين :القضية، والشخصية الفلسطينيتين، يعتبران أحد ملامح الواقعية في روايات ميجد.

من المعروف أن الأعمال الأدبية العبرية، منذ بداية العشرينيات، وحتى منتصف السبعينيات حرصت على التركيز لدى تناولها للشخصية الفلسصينية على شخصية البدوي الفلسطيني وعلى شخصية ابن الريف الفلسطيني باعتبارهما الممثلين الرئيسيين لهذه الشخصية ثم تناولت بعد ذلك وعلى استحياء نماذج أبناء الحضر الفلسطيني الذين نالوا قسطا من التعليم وقد ألصقت بهذه الشخصية السمات السلبية مثل الأوصاف الخارجية التي تجعل شكله وملبسه أقرب إلى الحيوانات المفترسة وأن الصورة التي يرسمها الأدب العبري للشخصية الفلسطينية العربية صورة سلبية تضع العربي في مرتبة متدنية تصل إلى حد نزع صفاته الإنسانية وتجريده من صورته البشرية ليس من قبيل السب والتجريح، بل في إطار عملية فكرية معروفة لدى علماء النفس بمصطلح DEHUMANIZATION وهي عملية تستهدف تسهيل العدوان على الطرف الآخر باعتباره كائنا أدني في المرتبة لا يتمتع بها الكائن الإنساني من حقوق وحرمات(١).

ولم يقف الأدباء الإسرائيليون عند حد تشويه الشخصية العربية الفلسطينية من حيث المظهر الخارجي ولكن إلى حد تشويه الأخلاق حيث وصف العربي في أعمالهم الأدبية بالكذب والنفاق والخداع والجهل والتمسك بالتقاليد البالية ورفض مظاهر

(١) د. إبراهيم البحراوي، نزع الصفات الإنسانية عن العرب في الفكر الصهيوني...لماذا؟ (المقدمة) د/ محمود صميدة: استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب. (نحن وهم)(٢)، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٨، ص٧.

التقدم الحضاري والرغبة الجامحة في الانتقام والسلب والنهب والنهم الحيواني للنساء ....

«وتظهر الشخصية العربية الفلسطينية في الأدب العبري استنادا إلى مقولات ثلاث : العربي المتخلف، والعربي الغائب والعربي كممثل للأغيار، وتمثل مقولة العربي المتخلف ركيزة أساسية ضمن الرؤية الصهيونية للإنسان العربي، وهي رؤية يغيم الفكر الصهيوني بموجبها حقا لليهود في فلسطين. فالصهاينة الذين يمثلون التفوق العرقي الحضاري الغربي يرون في الشعب العربي الفلسطيني شعبًا متخلفًا يعتبر أفراده بالمقارنة بالصهاينة كسالى وجبناء وخونة ومستوى ذكائهم منخفض »[1].

وهكذا تعمد الأدب العبري الحديث والمعاصر رسم صورة للعربي الفلسطيني، هي أقرب ما تكون إلى الحيوان في الشراسة وسفك الدماء حتى يعطي المبرر لليهودي الإسرائيلي، أن يقتل ما شاء من هؤلاء العرب تنفيذًا لمبدأ « اقتله قبل أن يقتلك ». وعند نهوض الفلسطيني المقاتل من أجل حقوقه المشروعة وأراضيه السليبة وصف بالإرهابي وألصقوا به كل صفات الوحشية والعدوان والغدر.

وقد انعكست هذه الصورة في الأدب العبري المعاصر بشكل مغاير للواقع والحقيقة حيث كانت صورة موجهة ومحددة لخدمة أغراض الصهيونية وتكريس أهداف إسرائيل في احتلال أرض فلسطين وخاصة الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ .

ويصور ساميخ يزهار في قصته «خربة خزعة» العرب بصورة منفرة حتى أنهم لا

(١) د. رشاد الشامي، الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، دراسة في أدب حرب ٤٨ عند ساميخ يزهار مع ترجمة قصة «خربة خزعة»، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٦.

يستحقون الصفح وخاصة أنه قد وصف قراهم بنفس الصورة المنفرة « كل أولئك العرب القذرون المتسللون لإحياء نفوسهم القاحلة في قراهم المهجورة مقيتين إلى حد الغضب فما الذي نريده منهم، ومن قراهم المقملة والمبقة والمقفرة الخانقة ».

الرموز هنا واضحة وتشير إلى عدم وجود أبرار خالصين يستحقون الصفح : « فقال الرب إن وجدت في سدوم[1] خمسين بارًا في المدينة، فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم (سفر التكوين ١٨ :٢٦). وينتقل الرمز بعد ذلك إلى مرحلة الإفصاح : « أو قرى اللصوص التي بنهاية سدوم بكثيرة عليها»[2].

وحول صورة الشخصية العربية في لفكر الصهيوني، قام « لسيد يس»، بإجراء دراسة حول هذا الموضوع تحت عنوان «الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلي والمفهوم العربي» وقد تعرضت الدراسة إلى رؤية الصفوة الإسرائيلية للشخصية العربية، وكذا رؤية العلماء ومفهوم الرأي العام الإسرائيلي عن تلك الشخصية.

وقد خلص الباحث من خلال تلك الرؤى الإسرائيلية إلى « أن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة»، ولذلك فاتباع سياسة الروع والعنف معهم هي الأسلوب الأمثل . وهم قوم فرديون مفككون يميلون إلى الكذب والمبالغة وخداع الذات .

(١) سدوم: حادثة سدوم واردة في العهد القديم، عندما تفشت الخطيئة بقرية سدوم، وزاد صراخ أهلها أمام الرب، فكان تدمير القرية «لأننا مهلكون هذا المكان، إذ قد عظم صراخهم أمام الرب، فأرسلنا الرب لنهلكهم» (سفر التكوين: ١٩ : ١٣)، والمقارنة هنا بين عملية خزعة (العربية)، وعملية سدوم، مغالطة لطمس الواقع، ففي قصة العهد القديم عند سدوم، التمييز واضح بين الأخيار والأشرار، أما في (خربة خزعة)، فقد حكم الكاتب الإسرائيلي على أهلها بأنهم جميعاً أشرار يستحقون الإبادة.

(٢) الشامي، الفلسطينيون.. ،مصدر سبق ذكره، ص١٣٦ .

وهم بالمقارنة بالإسرائيليين كسالى وجبناء وخونة ومستوى ذكاؤهم منخفض وعلى الجملة هم أدنى من الإسرائيليين [(١)].

«وفي حقيقة الأمر فإن صورة الشخصية العربية من خلال المفاهيم الإسرائيلية المختلفة، لم تختلف عن صورة الشخصية الفلسطينية، من حيث التشويه والتحقير» ولم تكن الشخصية العربية حتى عام ١٩٤٨ تميز في الفكر الصهيوني على أنها شخصية عربية فلسطينية، وإنما كانت تميز على أنها شخصية عربية فحسب، وذلك على أساس أن السكان الأصليين الفلسطينيين، كانوا يسمون عرباً سواء في المؤلفات ذات الطابع النظري أو في اليوميات الاستيطانية أو الروايات أو المراسلات الدبلوماسية وذلك يرجع لسببين:

إما لكون العرب كانوا كتلة بشرية واحدة، تتوزع عبر تقسيمات إدارية وليس عبر تقسيمات سياسية إقليمية يشكل كل منها دولة كما هو الآن أو أن ذلك فكر صهيوني مخطط يهدف إلى نزع اسم الشعب العربي صاحب الحق في هذه البلاد وهو الشعب الفلسطيني [(٢)].

«ولكن يهود عمدوا إلى نزع الهوية الفلسطينية عن عرب فلسطين حتى يمهدوا لفكرتهم« أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». وكانت صورة العربي الفلسطيني في الفكر الصهيوني، هي صورة البدوي الهمجي الجاهل، وقد كتب أحاد هاعام (١٨٥٦ – ١٩٢٧) [(٣)] يقول: « العرب رجال صحراء، أناس جهلة لا يرون ولا

(١) السيد يس: الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلي والمفهوم العربي، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٣، ص٤٣.

(٢) هاني الراهب، الشخصية الفلسطينية في الفكر الصهيوني العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد ٢٩١، فبراير ١٩٨٣، ص٣٦.

(٣) (أحاد هاعام ١٨٥٦ – ١٩٢٧)، الاسم الأدبي لأشير جينزبرج، وهو أحد الكتاب والمفكرين في الأدب العبري الحديث، ويعتبر فيلسوف الصهيونية الثقافية.

يفهمون ما يجري حولهم ثم تطورت صورة العربي الفلسطيني من بدوي إلى فلاح وذلك نتيجة للاصطدام الصهيوني بالواقع في فلسطين، وحيث اعتقد الصهاينة أنهم في موقع أخلاقي وحضاري لا يقاس بالعربي الفلسطيني ولذلك فقد صورته على أنه أقرب إلى المتسول من أي شيء آخر وأنه متخلف ومنحط وتلتصق به كل صفة سيئة وكل عادة ذميمة كما أنه لص وقذر وبالتالي فإنه ليس جديراً بأن يمتلك الأرض»[(١)].

«وقد تعرض الأدباء اليهود للتفاصيل الدقيقة للسمات الخارجية للشخصية الفلسطينية بالوصف والتشويه المتعمد فنجدهم يصفون الوجه بالشحوب والصفرة والبلاهة ويصفون العينين بأنهما محملقتان وشاردتان ترتعدان من الخوف والأسنان سوداء مثل أسنان الحيوانات»[(٢)].

ولكن بعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ بشكل عام وبعد نشوب الانتفاضة الفلسطينية بشكل خاص، فصاعدا بدأ الأدب العبري المعاصر، وخاصة لدى قطاع من الأدباء الإسرائيليين ذوي الاتجاهات اليسارية، من الذين أيدوا حقوق الشعب الفلسطيني العادلة، في استعادة أراضيه المحتلة، وفي حق تقرير المصير وإقامة دولة فلسطينية (أمثال: أ.ب. يهو شواع (رواية العاشق) ودافيد جروسمان (رواية ابتسامة الجدي) وعاموس عوز (رواية الموقف الثالث) في تقديم صورة جديدة لهذه

---

(١) البحراوي، نزع الصفات الإنسانية.. مصدر سبق ذكره، ص٨٧ .

- وللمزيد راجع غانم مزعل: الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث ، منشورات الأسواق، القدس، ١٩٨٥ .

ودومب. ريزا، صورة العربي في الأدب اليهودي ١٩١١ - ١٩٤٨ ، ترجمة: عارف توفيق عطاري، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص٨٧.

الشخصية الفلسطينية، وقد كان الأديب الإسرائيلي «أهارون ميجد» بلا شك أحد هؤلاء الأدباء الإسرائيليين الذين ساهموا في تقديم هذه الصورة الجديدة فقد قدم لنا أنماطاً جديدة من هذه الشخصية لم يتناولها أحد من قبله وربما تناولها من بعده آخرون ومن ذلك على سبيل المثال فإن «ميجد» يقدم نموذجاً للشخصية الفلسطينية المثقفة والتي إما تعيش في خارج فلسطين أو تعيش لتمارس دورها الفكري و لنضالي داخل الأراضي المحتلة.

أولاً: شخصية الفلسطيني المثقف:

قدم لنا ميجد في رواية «رحلة في أغسطس» صورة لشخصية الفلسطيني المثقف ثقافة أجنبية أي الذي تلقى تعليماً في الجامعات الأوربية من خلال شخصية الدكتور خليل بدران:

حيث جاء في النص التالي:

ـ «تذكر الدكتور خليل بدران: إنه فلسطيني من الكويت من مواليد يافا، رجل ذو قامة طويلة لطيف جداً دمث الأخلاق وذكي»[1].

لخص «ميجد» في هذه الفقرة القصيرة الصورة الإيجابية للشخصية الفلسطينية المثقفة من حيث المظهر الخارجي «ذو قامة طويلة».

وهذا يعطي دلالة من الهيبة، والإجلال، وكذلك من حيث الأخلاق، والسلوكيات الحضارية، فهو لطيف جداً، دمث الأخلاق، وذكي.

وفي رواية «فوجلمان»، وأثناء قيام «أروينج» (الذي يعيش في أوروبا) بزيارة للقدس، حيث يقوم بزيارتها لأول مرة، يحكي عن انطباعاته عنها، وعن لقائه

(١) ميجد، رواية رحلة ... ، مصدر سبق ذكره، ص٦٨.

بصديقه العربي في مدينة رام الله: حيث ورد ما يلي:

- «لكن المدينة (القدس) جميلة بشكلٍ عام.

- يوجد بها إجلال «مملكة قديمة»، وخليط كبير مثير من الأنماط الإنسانية المختلفة، والغريبة، وفي الطريق من كنيسة المهد إلى باب يافا، لحق به فتى عربي جميل، تحدث إليه، ولم يفهم ماذا يريد، وظل يسير بجواره، حتى خرج من باب العمود.

- إنها مدينة جميلة «القدس»، ومثيرة للأعصاب.

- ضحك، لم يستطع النوم بالليل، وابتلع حبوباً مهدئة.

- وفي اليوم الأخير لإقامته هناك، قضى عدداً من الساعات في رام الله.

- أصابتني الدهشة في رام الله.

- وحكى أنه عند وصوله للقدس، اتصل تليفونياً بصديق له قد درس معه في «أكسفورد»، منذ عدة سنوات، وهو الآن يقوم بالتدريس بجامعة «بير زيت»، وهو رجل يتميز بسلوكيات عريقة.

- جاء إليه في الفندق، واصطحبه في سيارته إلى بيته، وهو بيت واسع يحيط به بستان كبير، ذكره بأشعار الشاعر لفارسي، حافظ شيرازي (حدائق الورود).

- وفي قاعة الاستقبال- حكى بابتسام- أن فيه ثمة طابعًا رومانسيًا، وكانت هناك سجاجيد حائط صغيرة معلقة، مطرز عليها منظومات شعرية، وحكم بالعربية، وبلغات أخرى[1].

- إن هذا اليهودي الذي يقيم خارج إسرائيل، يزور القدس لأول مرة، ويصف

---

(١) سيجد، رواية فويجلهاد، مصدر سبق ذكره، ص٩١-٩٢.

انطباعه عنها، وهو انطباع يتداخل فيه ما هو سلبي، وإيجابي:

- جميلة بشكل عام، بها خليط كبير من الأنماط البشرية المختلفة، والغريبة، مدينة جميلة، ومثيرة للأعصاب.

- ولكنه عندما يقابل فتى عربياً، فإنه يصفه بأنه «جميل».

- وعندما يصل إلى رام الله، تصيبه الدهشة، دون أن يحدد .... لماذا؟

- ولكن هذه الدهشة، ربما يفسرها ما بعدها، عندما قام بوصف صديقه العربي، خريج جامعة اكسفورد.

«وميجد» يقدم لنا مرة أخرى، أنموذجاً لشخصية فلسطينية مثقفة، درست في جامعة أجنبية لها علاقة صداقة مع يهودي، أي أنه شخصية متفتحة، غير متعصبة، لا يعادي اليهود في العالم لمجرد أن بعضاً منهم استولوا على بلاده، وشردوا أهله، حولوه إلى لاجئ. إنها وجهة نظر الكاتب، حيث يرى أنها شيء من دماثة الخلق، التسامح للشخصية الفلسطينية، في قطاع عاش بالخارج، وتلقى تعليمه هناك، ثم عاد إلى وطنه يناضل بطريقته.

إن ميجد يضفى على هذه الشخصية الفلسطينية، هالات من الأصالة، والنبل، يستخدم لوصفها كلمات، مثل: تتميز «بسلوكيات عريقة»، وقد استخدم هنا في لنص العبري للإشارة إلى العراقة كلمة «فكتورية»، إشارة منه إلى العصر لفيكتوري في التاريخ البريطاني، وربما لأنه عاش في إنجلترا، ودرس هناك، وتأثر السلوكيات الإنجليزية الأرستقراطية.

ولكن العراقة، والأصالة تنبع في واقع الأمر من الجذور، وهي الجذور لفلسطينية العربية، ولم ينكرها الكاتب، بل أشاد بها.

«وعلاوة على هذا، فإنه يقدم وصفاً للمنزل الفلسطيني، في رام الله، يتسم بنفس أصالة، وعراقة صاحبه، الذي ذهب إليه واصطحبه من الفندق، إلى منزله ذي الطابع العربي الأصلي، بيت واسع يحيط به بستان كبير، ذكره بأشعار الشاعر الفارسي، حافظ شيرازي «حدائق الورد»، وفي قاعة الاستقبال، حكى بابتسام، أن فيه ثمة طابعًا رومانسيًا، وكانت هناك سجاجيد حائط صغيرة معلقة مطرزة، عليها منظومات شعرية، وحكم بالعربية، وبلعات أخرى».

وهذه الأمور الإيجابية الواقعية من أديب يهودي، تشهد في طياتها، وبشكل ضمني عن أصالة الأرض الفلسطينية، وعروبتها، وجذورها على مدى التاريخ، وهذا في حد ذاته يناقض الأيديولوجية الصهيونية.

وإذا عدنا للوراء لنتعرف على الصورة، التي كان يرسمها الأدباء اليهود للمنزل الفلسطيني، وخاصة في الفترة ما قبل حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، نجدها صورة مخالفة، تماماً، للواقع، وغاية في السوء، والسلبية، متمشية مع ما كانت توصف به الشخصية الفلسطينية من سلبيات، آنذاك.

حيث يصف «س. يزهار»، القرى في قصة «خربة خزعة» ١٩٤٩، عندما كان موجودًا في السهل يستعد مع زملائه للهجوم على القرية، فيقول:

«أولئك العرب القذرون المتسللون لإحياء نفوسهم القاحلة في قراهم المهجورة.... أي دخل لنا، ولشببنا، وأيامنا العابرة بقراهم المقملة، والمبقة، والخانقة.... هذه القرى الخاوية سيأتي اليوم الذي تبدأ فيه في لصراخ.... وفي عز الظهيرة، أو قبل الغروب، تبدأ القرية التي كانت قبل لحظة فقط، مجرد نسيج أكواخ مقفرة، يلفها صمت اليتيم، صمت قاس، ونحيب جنائزي يقطر القلب، تبدأ هذه

القرية الكبيرة البائسة، وتغني نشيد الأشياء، التي فارقتها روحها»[1].

وهنا، يبدو الاختلاف واضحاً بين الصورة السابقة، التي رسمها الأدباء الإسرائيليون للشخصية الفلسطينية من قبل، مقرونة بكل ما يشوهها، ويجعلها سلبية، مع وصف القرى، والمنازل بصفات سلبية، تتناسب مع أوصاف ساكنها من هؤلاء الفلسطينيين، وبين الصورة المعاصرة، والواقعية التي رسمها الكاتب «ميجد» للشخصية الفلسطينية المثقفة، والذكية، مع الوصف الإيجابي للمنزل الفلسطيني، بما يحمله من علامات للحضارة الإسلامية، والعربية، والرقي، بما يتناسب مع الشخصية الفلسطينية، ذات الأصالة، والجذور العريقة.

وعندما زار اليهودي الأوروبي «أروينج»، جامعة بير زيت مع صديقه العربي، الذي يقوم بالتدريس في تلك الجامعة، ورأى الطلاب، وأساتذتهم الشباب، أصدر حكمه على الفلسطينيين هناك، بأنهم يمثلون جذوراً، وأصولاً قوية، تميزهم من حيث الشكل والمضمون:

قال أروينج:

- إن في هؤلاء العرب أصالة عريقة، رآها عندما تمشى بين الطلاب بجامعة بير زيت، وعندما جلس مع هيئة التدريس الجامعية، من الشباب وجد أصالة د خلية، تشع من وجوههم، وأجسامهم[2].

جاءت الصورة التي رسمها ميجد لمجموعة المثقفين، والأكاديميين الفلسطينيين، صورة جديدة صادقة، وواقعية، لأنها تعبر عن المجموع، والغالبية وليست وقفاً على شخص فلسطيني بعينه، كان يدرس في الخارج، ونشأت بينه وبين

(١) صميدة، إستراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب..... مصدر سبق ذكره، ص١٣٥.

(٢) ميجد، «رواية فوجلمان» مصدر سبق ذكره، ص٩٣.

اليهودي «أروينج»، تلك العلاقة، ولكنه مجتمع كامل من الطلاب، وأساتذتهم من الشباب، وقد وصفهم جميعاً، بالأصالة العريقة، والأصالة الداخلية، التي تشع من وجوههم، وأجسامهم. ما يؤكد على الوصف الإيجابي للشخصية الفلسطينية، سواء من حيث المظهر الخارجي، أو من حيث الأخلاق، والسلوكيات.

ثانياً: الشخصية الفلسطينية البدوية:

تناول ميجد الشخصية الفلسطينية، بشقيها الحضري، والبدوي، وهما النمطان السائدان في المجتمع الفلسطيني.

وقد تناولنا النمط الحضري لتلك الشخصية في روايات ميجد، حيث أفرزت الملامح الإيجابية لها من الأخلاق، والثقافة، والذكاء، والتسلح بالعلم، وبالقدرة على الحوار، والمجابهة.

وقد تناول ميجد هذه الشخصية الحضرية في مواقعها، سواء بالداخل، أو الخارج.

أما بالنسبة للشخصية البدوية، فقد تناولها «ميجد»، في رواياته، من خلال التلاحم بين العرب واليهود، وخاصة بعد حرب ١٩٦٧، وذلك من خلال اللقاء بين العرب واليهود بعد احتلال أكبر رقعة من الأرض العربية، فأصبح هناك متسع من الأرض، ومتسع من التداخل بين العرب، أصحاب الأرض، والإسرائيليين المحتلين، «فتحت حرب ١٩٦٧، عالماً من المفاهيم، وهذا الإدراك، اللقاء في المناطق المحتلة، ومع سكانها. وكان من المفروض أن يحدث انقلابًا، الأرض واسعة، والعرب أبناء تلك الأرض يكتشفون الإسرائيلي الحقيقي، بعكس الصورة التي سمعوا عنها»[1].

---

(١) أمنون روبنشتين، «لهيوت عم حفشي»، دار نشر تشوكن، القدس - تل أبيب، ١٩٧٧، ص١٢٩.

وإذا كان التلاحم بين الطرفين «العرب واليهود»، في الأراضي المحتلة، قد أفرز صداماً، فقد أفرز كذلك نوعاً من العلاقات.

وفي رواية «عسائيل»، يتعرض «ميجد»، لهذا النوع من العلاقات، حيث يرصد التعاون بين بطل الرواية «عسائيل»، وبين «يوسف»، وهو شخصية بدوية، من خلال إقامته معهم في «الموشافاة»[1] ، والمساعدة في الزراعة بكل مهارة، وأمانة، وصدق، وإخلاص.

كما جاء على لسان والدة «عسائيل»:

لست بمفردي، معي يوسف يساعدني- رفعت والدتي رأسها، قائلة:

«يوسف» شخص غالي، هو عربي من القبيلة البدوية المجاورة لنا، ولكنه تهود، أن هوَّدته، وهو بمثابة ابن لي، إنه مخلص، وأمين، وماهر في العمل.

أليس العمل في الزراعة، هو من الأمور التي تحط من قدر المهاجرين الذين جاؤوا إلى «الموشافاه»، أليست هذه وصمة عار، قولي أنت [2].

أضفى الأديب القاص هنا على الفلسطيني البدوي، صفات إيجابية هي بالفعل

---

(١) الموشافاة: عبارة عن قرية زراعية تقوم على الملكية الخاصة للأرض، والجهد الفردي في زراعتها (قرية المزارعين الأفراد)، وهي أقدم أنواع المستعمرات الزراعية في فلسطين، ولازمت بداية الهجرة المنظمة إليها، فقد أقيمت في السهل الساحلي بجوار المدن الكبرى، والموانئ الرئيسية، وتخصصت في زراعة الكروم، والموالح، وساهمت في توفير العمل لعدد لا بأس به من المهاجرين اليهود، كعمال يعملون لصالح كبار الملاك، وتحولت «الموشافوت» القريبة من المدن الرئيسية، إلى مدن صغيرة، مثل هرتزيليا، وبتاح تكفا، وريشون لتسيون، ورحوبوت، ونتانيا. وهناك المستعمرات الزراعية الجماعية لصغار الملاك (موشاف شيتوفي)، و المستعمرات الزراعية الخاصة بالملاك الصغار من المهاجرين (موشاف عوليم)، أيضاً.

(٢) أهارون ميجد، رواية «عسائيل»، دار نشر شوكن، القدس- تل أبيب ١٩٧٨، ص٢٥.

من صفاته في واقع الحياة، مثل النشاط، والإخلاص، والأمانة. وذلك على لسان والدة بطل الرواية، التي تحتضن «يوسف» الفلسطيني البدوي، اجتماعيًا، وتعتز به لكونه أصبح «متهوداً»، من وجهة نظرها.

ويمكننا القول هنا، بأن هذا «التهود» ليس دينياً، لأن التهود الديني له طقوسه، وشروطه، ومراسمه الخاصة، ولكن في هذه الحالة المقصود «بالتهود»، هو أنه أخذ أنماط سلوكهم، وعاداتهم، مما جعله، وكأنه واحد منهم، واحد من جيل المهاجرين المؤسسين، الذين يتمسكون بما يسمونه بمثل «الريادة»، أو «الطبيعة» في مجال العمل، مما جعله أفضل، وأحسن من المهاجرين الجدد، الذين ينبذون العمل في الزراعة، ويعتبرونه وصمة عار.

ويستمر «ميجد» في رواية «عسئيل»، في إبراز الشخصية الفلسطينية البدوية في صورة إيجابية، وذلك من خلال ما حدث في أعقاب حرب ١٩٦٧، من لقاء بين العرب أصحاب الأرض، وبين اليهود.

ولكن الصورة هنا مختلفة، تماماً، عن الصور السابقة، فهي عبارة عن حب متبادل بين بطلة الرواية «آية»، والشاب البدوي «مصطفى»، على الرغم من كونها متزوجة من «دوبيك» اليهودي.

ولابد لنا من وقفة هنا، للتعرف على خطوط هذه الصورة. لأنها صورة واقعية ممزوجة بشيء من الخيال والرمز، وهي في مجملها تعبر عن العلاقة بين الأرض وأصحابها، مرسومة بأسلوب الواقعية، عند «أهارون ميجد».

تتمثل عناصر تلك الصورة الواقعية في «آية»، التي أجمع النقاد على أنها ترمز «لأرض إسرائيل» (فلسطين)، وكذلك الشاب البدوي «مصطفى»، الذي يمثل الفلسطيني صاحب الأرض، حيث تتبلور الأحداث مشيرة إلى ضرورة الالتقاء بين

الأرض وأصحابها، كحب طبيعي على الرغم من السيطرة على الأرض، من طرف ثـان يمثلـه الاحـتلال الإسرائـيلي، وتمثلـه في الحبكـة القصصـية، الـزوج اليهـودي «دوبيك».

وتمثـل بطلـة الروايـة رمزيًـا، المفارقـة التاريخيـة، التـي تنـادي بإسرائيـل الكاملـة، المتمثلة في «أرض فلسطين»، وهنا أشار النقاد إلى أن حروفها الثلاثة بالعبرية، تشير إلى ذلك، فحرف الألف بداية كلمة (آرتس بمعنى أرض)، وحرف الياء(يسرائيل/ إسرائيل/ والهاء هشليماه/ الكاملة)، أي أن كلمة آية، وهي بطلة الرواية، تشير رمزياً إلى فلسطين، فعندما يشير الكاتب إلى ارتباط العربي بها، فهو ارتباط طبيعي، ويشير إلى الحق الطبيعي في الأرض الفلسطينية المحتلة، وهذا اعتراف من الكاتب بهذا الحق.

ومن خلال هذه العناصر، يريد الكاتب أن يبرز واقع الأمور، والأحداث المترتبة على الاحتلال بعد حرب ١٩٦٧، ووجود حالة من عدم الاستقرار في هذه المناطق، ويرمز إليها الكاتب بالحالة السيئة التي تعيشها «آية» (فلسطين).

وتتبلور هذه الأحداث جميعها في هذه الفقرة:-

- آية تخاطب زوجها اليهودي، وتقول:
- عزيزي «دوبيك»:
- لا تسامحني. لا تسامحني، أبداً.
- لقد سافرت لأني شعرت أنه من واجبي إنقاذ «مصطفى»، وربما هذا إنقاذ لنفسي».
- لا أعرف، أنا مشوشة، تماماً.
- سافرت بعد سفره بأسبوع، كنت كالمجنونة، لم أفكر، أنا أعلم أن هذا فظيع،

محظور، محظور، ولكن لم أكن أملك السيطرة على نفسي، وهنا كل شيء غريب، كما هو في الحلم.

- حلم سيئ...

- أتمشى في الشوارع، ولا أعرف أين أنا، استأجرت حجرة في فندق ما، صغير، قذر، ولا أستطيع أن أمكث به، حتى ولو ساعة واحدة، ولم أستطع حتى النوم. خرجت أتجول، وجلست في إحدى المقاهي، وانتقلت منها للثانية، أتحدث ولا أعرف ماذا.

- وبصعوبة أسمع المتحدثين معي.

- و «مصطفى»، أيضاً، لم أره، تقريباً..

- كن قوياً يا «دوبيك»...

- تذكر يا دوبيك أنك أقوى مني....

- وتذكر ما قلته لك في المساء الأخير، حافظ على نفسك...

- وفي غضون ذلك أنا ضائعة، وأنا ألقى عليك بالهموم...

- وتساقطت دموعي، وأنا أكتب لك هذه الكلمات ....

حبيبتك آية[1].

تزدحم هذه الفقرة بالدلالات، والرموز، التي تنطوي على خطوط واقعية ورمزية، أراد الكاتب أن يناقش من خلالها عدة قضايا، تتعلق بالأرض، والاحتلال، والعلاقة بين الأرض والمحتل، وكذا العلاقة بين أصحابها

(١) المصدر نفسه، ص٢٢٧.

الفلسطينيين، وإذا كانت «آية» تشير إلى تلك الأرض كما هو الرأي عند غالبية النقاد، فإننا نجد الكاتب يؤكد في النهاية على حالة عدم الاستقرار لها بين الطرفين، وفي غضون ذلك أنا ضائعة».

ولكننا في هذه الفقرة، من الواجب علينا، ونحن بصدد الشخصية الفلسطينية، النمط البدوي أن نتوقف عند شخصية «مصطفى»، فنجد أن الكاتب أضفى عليها لاهتمام، والإيجابية، مما جعل بطلة الرواية «آية»، تقول: إن إنقاذها لمصطفى، هو نقاذ لها شخصياً، وهذا يوضح مدى العلاقة بين الاثنين، وإلى أي حد يؤثر «مصطفى» على «آية»، التي تخطت كل المحظورات الاجتماعية، لكونها زوجة، المحظورات السياسية، وهو كونها تبحث عن فلسطيني، ولكنها لم تتمكن من لسيطرة على نفسها، وخاصة هذه التجربة الشائكة في البحث عن «مصطفى» لفلسطيني، وهجر زوجها اليهودي.

ويصور «ميجد» في رواية «فويجلمان»، الشخصية الفلسطينية في صورة إيجابية، تسم بالمعرفة، والفهم لطبيعة الأرض، وتاريخها.

وهنا يأتي الصدق، والواقعية متلازمين مع هذه الصورة، لكون هذا الفلسطيني هو ابن هذه الأرض، وصاحبها، ومن هنا جاء اعتراف الكاتب بهذه الإمكانيات، وذلك على لسان الشاب «يو آب»، نجل «تسفى أربيل»، أستاذ التاريخ، وذلك أثناء رحلاتها البحثية عن الآثار القديمة في فلسطين.

فيروي، قائلاً:

ـ بعد ذلك دق بعصاه على الحجارة، كما لو كان يبحث عن نفط في تكساس بالعصا النحاسية، التي في يده، وصرخ، قائلاً:

ـ يوجد هنا شيء ما.

- وعندما وقع بصره على فلاح يحرث في حقل لأسفل الطريق. فأسرع في النزول إليه، وشدني خلفه، وبدأ يستجوبه – وهو يجيد العربية- عن اسم المكان، تاريخه، والأساطير المرتبطة به[1].

في هذه الفقرة يشير الكاتب، رمزًا، إلى أن العربي لكونه صاحب هذه الأرض، فهو المنوط بها، فهماً، وعلماً، ومن هنا اتجه إليه أستاذ التاريخ بالاستفسار عن أساطير، وأصل، ومسميات هذه المنطقة، وخاصة أن المحتل اليهودي تعمد في معظم الأراضي الفلسطينية طمس المعالم القديمة، وأسمائها العربية.

ثالثاً: عادات وتقاليد العرب البدو في سيناء:

يصور «ميجد» في رواية «رحلة في أغسطس»، البيئة التي تمثل المكان لرحلة «دانيال»، وهي سيناء، بكل ما فيها من طرق، ومواقع عسكرية، ولا يغفل «ميجد» هنا، رصد العلاقات بين البدو واليهود، وتشابك العلاقات، من خلال الالتحام بين الطرفين، ومن خلال ذلك يتم رصد العادات والتقاليد لبدو سيناء، وكذا التعرف على وصف السيدة البدوية، وملابسها.

يصف «ميجد» الشاب البدوي، وكذلك البدوي العجوز، بصفات واقعية مناسبة، الشاب منتصب القامة، نحيف، عيناه بها حمرة، ويضع على رأسه كوفية.

والعجوز يجلس على بطانية، ومتجعد الوجه. والمرأة ترتدي ملابس سوداء، وتضع على وجهها برقعاً، تتدلى منه قطع النقود المعدنية الثقيلة.

وتأتي هذه الصفات من خلال الحوار التالي بين البدو على الطريق، وسيارة الرحلة، و «أندى» و «دانيال»:

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨.

- أبطئ السرعة يا «دانيال»، هذا بدوي يرتدي كوفيه...

- توقفوا بجواره...

- قال له «أندى»: نعم....

- قال: امرأة مريضة..

– يبدو البدوي الشاب منتصب القامة، نحيف، عيناه بها حمرة– سكون جاثم بالظل الضئيل، بجانب رجل عجوز، متجعد الوجه، يجلس على بطانية.

- نريد طبيبًا...

- بماذا تشكو؟

- تنتظر مولودًا... تتوجع كثيراً، حاول التوضيح، المرأة ترتدي ملابس سوداء، وتضع على وجهها برقعاً مثقل بقطع النقود المعدنية، تركن إلى شجرة، ويداها على بطنها المنتفخة جداً...وتخرج التنهدات من فمها، فسمات وجه العجوز المجعدة، موجهة إليهم.

- يتطلع لما سيتم...

- توجه «أندى» إلى «دانيال»، وسأله:

- هل هناك طبيب في بير تمادة؟

- توجد عيادة.

- تردد قليلاً، وبعد ذلك، قال:

- حسناً. فليدخلوا السيارة[1]..

(١) ميجد، رواية رحلة ...، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٢، ١٧٣.

في هـذه الفقـرة يصـف الكاتـب تعـاون الطـرفين (البـدو، ومعهـم السـيدة المريضـة الحامل، والرجل العجوز، والبدوي الشاب، ورموز الاحـتلال الإسرائيلي، أصـحاب السيارة، وهم في رحلتهم بسيناء، وهم (دانيال وأنـدى)، وقـد تعـاون الطرفـان في حمـل السيدة البدوية، ووضعاها في السيارة، وتحركا إلى العيادة في بير تمادة.

وخلال هذه الأحـداث، يصـف «ميجـد» البيئـة، التـي جـرت عليهـا الأحـداث، فيذكر هنا الشجرة التي يجلس تحتها البدوي، وزوجته الحامل، والعجـوز، والأرض الرملية يفترشون عليها البطانية.

ولا يغيب عنا في هذا السياق، سياسة المحتل باستيعاب أصـحاب الأرض بمثـل هذه التصرفات، التي تبدو غاية الإنسانية، والتعاون، لخلق نوع من الود بين المحتل، وأصحاب الأرض، وهذه دوماً سياسة المستعمر.

وفي هذه الفقرة، يستمر الكاتب في وصـف أحـداث الرحلـة، والبيئـة السـيناوية، من شجر، ورمال، وحيوانات، تتمثل في إضافة الحمار، وملازمته للبدو في سيناء.

وتروي هذه الفقرة أحداث الرحلة:

خرج أندي من السيارة، اقترب البدوي من الشجرة، رفع المرأة من رقدتها، رفـع البطانية من فوق الرمال، قال شيئًا ما للعجـوز، وقـال بعـض كلـمات الشـكر لأنـدى وتوجه لفك الحمار.

أشار «أندى» للشاب البدوي بحركة من يديه لتحريك المرأة للأمام.

حرك الشاب البطانية، وعنـدما فـتح «أنـدى» بـاب السـيارة، أراحهـا عـلى المقعـد الخلفي، وبعد ذلك ساعدها الاثنـان عـلى الـدخول إلى الـداخل، وجلسـت بصـعوبة على جزء من المقعد، وهي تئن أنات قصيرة، مثل موسيقى الصلاة، وحلف اليمين،

وجلس زوجها بجوارها.

ـ قال أندى: وهو داخل السيارة، حتى لا تلد في السيارة[1].

ـ وتستمر الرحلة إلى «بير تمادة»، ويستمر الحوار الذي أصبح الشاب البدوي طرفاً فيه، على النحو التالي:

ـ وبعد ذلك، وأثناء السير، نظر «أندى» للخلف، وقال:

ـ من أين أنتم؟

ـ أجاب الشاب البدوي: نحن من عرب الصانع، وكان نور عينيه خافتاً، كما لو كان ضوء الشمس جعله مظلماً، وأسنانه مغطاة بجير لونه أصفر.

ـ قال «أندى»: لماذا لم تولدوها في الخيمة؟

ـ وعندكم النساء يلدن بمفردهن.

ـ قال: منذ عام مات لنا مولود، وهي مريضة جداً، ونخشى من تكرار حدوث ذلك، الآن[2].

ـ ويستمر الحوار مع الشاب البدوي:

ـ ألم تذهبوا إلى قبر النبي للتوسل؟

ـ نعم..نعم.....إن شاء الله. وربنا يساعدها....

ـ هل قدمتم ذبيحة؟

ـ نعم......إن شاء الله...

ـ تطلع «أندى» للمرأة المنكمشة في نفسها، تنصهر بأنفاس قصيرة، مثل الغلاية.

(١) المصدر نفسه، ص١٧٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ـ وتطلع إلى مجموعة العملات، التي تزين حجابها، وتتدلى بثقلها من أنفها لأسفل.

ـ تطلع إلى عملات كثيرة، قلادة خضراء، وقلادة حمراء، كانتا مربوطتين على جبينها.

ـ وقال: هل هذا حجاب؟

ـ قال البدوي: إن شاء الله، إن شاء الله، يكون خيرًا، يكون خيرًا...

ـ شجعه أندى، وقال: يكون ولدًا.

ـ وتوجه «أندى» بحديثه إلى رفيقه «دايال».

ـ وقال: هؤلاء لا يلدن بمفردهن، توجد سيدات مسنات تساعدهن، حيث إن الواحدة من الصعب عليها أن تلد بمفردها.

ـ (يربطون رجليها بالشجرة متباعدتين، وترقد والرأس لأسفل، والعجوز تضغط على بطنها).

ـ هل رأيت ذلك؟

ـ أنا لم أر ذلك؟ لكن البدو الذين يأتون إلينا يحكون............

ـ (والمولود يغسلونه ببول الجمال ضد عين الحسود، من يدري ربما هذا يساعد على ذلك، ويضعون رأس هدهد ميت على رأس الولد لطرد الشياطين).

ـ ابتسم[1]..

تنطوي الفقرات السابقة على عدة محاور، أراد الكاتب إبرازها من خلال الحوارات الطويلة بين أعضاء الرحلة (دانيال- أندى)، وبين البدو من عرب سيناء (الزوج الشاب- الزوجة الحامل- البدوي العجوز).

(١) المصدر نفسه، ص١٧٣- ١٧٤.

١ - العلاقة بين الطرفين:

حيث تقدم البدوي الشاب للسيارة، ولراكبيها اليهود بالطبع، طالباً المساعدة دون خوف، أو تردد، وفي المقابل نجد الاستجابة لذلك.

٢- الصورة الواقعية للشخصية البدوية:

البدوي الشاب، وهو الزوج (منتصب القامة- نحيف- عيناه بهما حمرة).

(العجوز يجلس على البطانية، وتبدو التجاعيد على وجهه).

(الزوجة الشابة ترتدي الملابس البدوية السوداء، وتتزين بالقلائد، والحلي، وقطع العملات الذهبية، التي تتدلى على الوجه).

٣- العادات والتقاليد البدوية:

نحر الذبائح، والتقرب لأولياء الله الصالحين...

الأحجبة والتمائم...

غسل المولود ببول الجمال لمنع الحسد..

وضع رأس هدهد ميت على جبين المولود لطرد الشياطين.

وحرص الكاتب على إبراز عادات البدو في الولادة، بمساعدة سيدة عجوز لها خبرة في ذلك، وتطور هذه العادات حيث التوجه للطبيب لغرض الولادة، خوفاً من تعرض الجنين للموت.

٤- إلمام اليهود بنوعية عادات وتقاليد البدو:

حرص الكاتب على إبراز إلمام (دانيال وأندى) بعادات وتقاليد البدو، من خلال ما سمعوه منهم، وذلك من خلال الحوارات، التي جاءت في الفقرات السابقة على

لسان «أندى»، و «دانيال».

وإذا كانت الحوارات بين «أندى»، و«د نيال» الإسرائيليين، وبين البدو حول العادات والتقاليد البدوية، قد أفرزت دراية اليهود بهذه العادات، ومنها نحر الذبائح والتبرك بقبور أولياء الله الصالحين، فإن هذه العادات لها ما يماثلها عند اليهود، فمنهم طبقات شعبية تحرص عى زيارة قبور ما يسمى بالصديق [1] للتبرك، ولنفس الغرض الذي يزور من أجله البدو اضرحة أولياء الله الصالحين.

وتتجلى أصداء السيرة الذاتية للكاتب «أهارون ميجد»، في رواية «رحلة في أغسطس»، ففي الفقرات السابقة التي تنول فيها الشخصية البدوية، والبيئة في سيناء، وقام برصد العادات، والتقاليد البدوية، بصورة صادقة، ومعبرة عن الواقع، وقد استخدم بعض الكلمات، والتعبيرات العربية، مثل: كوفية، ذبيحة، قبر النبي، إن شاء الله.

وهذا بالطبع نابع من قربه الشديد من العرب، وتلاحمه معهم أثناء عمله في ميناء

(١) الصديق عند اليهود: كان أبناء الطبقات الشعبية في المجتمع اليهودي، يؤمنون بأنه بمقدور الأولياء الإتيان بالمعجزات، بل وأنه بمقدورهم الإتيان بامعجزات بعد موتهم، أيضاً، وكانت زيارات القبور تعد بمنزلة فرصة للالتقاء بأفراد العائلة، وكان زوار القبور يضعون بجوار قبور الصديق، في أحيان كثيرة، زجاجات تحتوي على مياه، أو زيت، بغرض أن تحل عليهم بركة الصديق، وكان من بين عادات يهود المغرب، قص شعر الطفل للمرة الأولى بجوار قبره، إيماناً، بأن ذلك سيكتب للطفل النجاح في المستقبل، وكان من بين عاداتهم بيع الشموع بأسعار باهظة بجوار هذه القبور، وكان اليهود عادة ينشدون القصائد، ويرقصون عند إشعال الشموع بجوار قبر الصديق، أما في مصر، فقد أصبح قبر الحاخام، يعقوب أبو حصيرة، الذي دفن في دمنهور، عام ١٨٨٠، مزاراً ليهود مصر.
للمزيد راجع: صموئيل اتنجر، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠- ١٩٥٠) (ترجمة جمال الرفاعي)، عالم المعرفة (١٩٧) الكويت، مايو ١٩٩٥.

حيفا، في فترة شبابه، والتحاقه بمستوطنة «سيدوت يم»[١]، حيث يقول :«كان العمل شاقاً، ولكن بالنسبة لي كانت هذه الفترة، فترة اكتمال القوة، والخبرات التي حفرت في نفوسنا بعمق، وأثرت في تكويني. كانت تلك هي أول مقابلة مع العالم الإنساني المليء بالألوان، وبمختلف الأنواع من المجموعات الاجتماعية، التي تختلف عما عرفته في طفولتي: مع عرب، ويهود من الطبقة الكادحة، مع الكتبة الإنجليز، والبوليس الذي يحكم المرفأ البحري، عمليات الإشراف من كبرى الشركات، بحارة من الدانمارك، وفنلندا، واليابان، ومصر، وروسيا»[٢].

وبعد أن شغل «ميجد» منصب الملحق الثقافي في سفارة إسرائيل بلندن، لمدة ثلاث سنوات، عاد لإسرائيل عام ١٩٧١ ، وعمل صحفياً في جريدة «دافار»، ومن خلال هذا العمل قام بجولات واسعة في جميع البلاد، أتاحت له التعرف على جميع الأنماط البشرية، وبالطبع البدو، والعرب بمختلف أنماطهم الاجتماعية.

وعن هذا، يقول:

«عندما عدت لإسرائيل بعد ثلاث سنوات، كانت صحيفة «لامرحاف»، قد توقفت، فعملت في صحيفة «دافار»، حيث كانت صحيفة يومية للأخبار، «لاتحاد

(١) التحق «أهارون ميجد» بمستوطنة «سيدوت يم»، وأصبح عضواً نشطاً فيها خلال الأعوام ١٩٣٩-١٩٥٠، وعمل خلال تلك الفترة بميناء حيفا، ومستوطنة «سيدوت يم»، كانت في بدايتها صغيرة، وفقيرة، تضم حوالي سبعين عضواً، وكانت الإعاشة في خيام، وأكواخ على رمال خليج حيفا، وكان الهدف من إنشائها، هو تحويلها إلى حقول، أو مزارع سمكية. وكان الإبحار يتم من هناك للعمل في أحواض السفن بميناء حيفا، وقد تطورت فيها بعد من حيث المساحة، والنشاط، وعدد الأعضاء.

(2) Eden. Vivian (Translated from Hebrew) : AHARON MEGGED (1920) CONTEMPORARY AUTHORS AUTOBIG RAPHY SERELS VOLUME 3 1989 P. 149.

العمال»، ككاتب عمود، وكان عمودي يظهر مرتين في الأسبوع، يومي الثلاثاء والجمعة، وكنت حراً في الكتابة حول أي موضوع أرغب فيه، سياسة، موضوعات اجتماعية، الفنون، وأجريت سلسلة من اللقاءات مع أشخاص عاديين، سافرت في شتى أنحاء الدولة، وأجريت لقاءات مع الفلاحين، وفي الاستيطان البعيد، مع عمال الصناعة، ومع الفلاحين من العرب، والدروز، وربات البيوت، وأصحاب متاجر، وسائقي عربات كارو، ومع مهاجرين جدد، وكنت أعتقد أن لديهم ما يقولونه أكثر إثارة مما يقوله المشهورون، والمثقفون الدين كانت تستضيفهم وسائل الإعلام، يومياً، وكان قراء الصحافة يعتقدون نفس الاعتقاد، أيضًا، ولذلك فإنه في أعقاب كل مقابلة كنت أتلقى عشرات من الرسائل المؤثرة، وقد واصلت الكتابة في هذا العمود لمدة اثنى عشر عاماً، وجمعت هذه الأعمدة في كتاب «منطقة الضوضاء» [1].

وبهذا تعمقت الخبرة والحنكة لدى «ميجد» بكل الأنماط البشرية، وبالطبع الفلسطينية، والعربية، والبدوية، وظهر ذلك واضحاً تعكسه أعماله الأدبية من خلال ما رسمه من صور واقعية عن الشخصية، والبيئة، ومن خلال ذلك كله، وما يهمنا هو انحيازه للإنسان الفلسطيني في قضيته، وحقه في أرضه المحتلة، وهذا ما ستفصح عنه باقي أعماله فيما بعد.

رابعًا: القضية الفلسطينية في روايات «ميجد»:

إذا كان «ميجد» قد تناول الشخصية الفلسطينية كملمح من ملامح الواقعية الواضحة في إنتاجه الروائي، باعتبارها كما أشرنا من قبل جزءاً من البيئة، التي يعايشها كإسرائيلي يرصد الواقع، والأحداث، والشخصيات، والبيئة، فإن «ميجد» لم يفته أن يتعرض، وبإسهاب، وبصراحة إلى القضية الفلسطينية، باعتبارها محوراً

(1) EDEN- VIVIAN OP.CIT P 126

رئيسياً من المحاور، التي تؤثر تأثيراً فعالاً على المجتمع الإسرائيلي، وعلى حاضره، وعلى مستقبله، وذلك على اعتبار أن هذه القضية هي لب الصراع العربي - الإسرائيلي، منذ بداياته، وحتى الآن.

إن «ميجد» في بدايات تناوله لهذه القضية يصك اصطلاحًا، ربما كان الأول من نوعه في الأدب الإسرائيلي المعاصر، له مدلول سياسي واضح، وهو مصطلح «فلسطيني»، اعترافاً، وإقراراً بالهوية الفلسطينية، والأرض الفلسطينية المحتلة، وهذا يعطي بعداً سياسياً للاعتراف بالحقوق الفلسطينية في الأرض المسلوبة.

ويجسد «ميجد» هذا المصطلح الجديد «فلسطيني»، في روايته «رحلة في أغسطس»، في الفقرة التالية:

«تذكر الدكتور خليل بدران: إنه فلسطيني من الكويت، من مواليد يافا، رجل ذو قامة طويلة، لطيف جداً، دمث الأخلاق، وذكي.

كيف حالك اليوم دكتور ليفين؟ هل كل شيء على ما يرام؟

في الممر الواسع، الذي يلمع كالمرآة في معهد هيوز، مع انحناءة خفيفة، وبابتسامة جذابة، تقول:

هنا مقاطعة أكاديمية، ولا يتحدثون في السياسة، بالرغم من أن كل واحد منا يعرف ما يضمره الآخر في قلبه، ومع كأس «السكوتشى» في اليد، بجوار البار في نادي هيئة التدريس، من الأجدر التحدث بلطف «تنطوي على الكثير جداً من أساليب تغطية، وتمويه المدرسة البريطانية في أكسيريدج، أكثر من الانفتاح الشائع في الكلية الأمريكية الجنوبية، »حول أي موضوع في العالم، ولاسيما الدين –مثل تحريم الشراب، والذي يتجاوزه، وهو كمسلم، وتحريم أكل غير المحلل، الذي يتجاوزه محدثه اليهودي– ولكن ليس عن السياسة: وغداة حفل التوقيع على اتفاقيات كامب

ديفيد، في حديقة البيت الأبيض، وبينما كل أمريكا تتطلع إلى الابتسامات المدهشة، وإلى تشابك الأيدي الثلاثة. تتكرر الانحناءة المهذبة بالمعهد، ولكن هذه المرة دون توقف للسؤال عن حالي» [١].

وإذا تأملنا الفقرة السابقة لنحلل ما ورد فيها، لتوصلنا إلى أن الأديب القاص، حدد الانتماء الأصلي للدكتور، خليل ـدر'ن، وذلك بالإشارة إلى أنه «فلسطيني»، ومن (مواليد يافا)، وهنا نجد اعترافًا واضحًا، لأول مرة في الأدب الإسرائيلي بالهوية الفلسطينية، للدكتور خليل بدران، أولا، ثم بالهوية الفلسطينية ليافا.

والجدير بالذكر أننا إذا عدنا إلى السيرة الذاتية «لأهارون ميجد»، لوجدنا أن مدينة يافا مترسبة في ذاكرته، وفي وحدانه، فهي أول مدينة وطأتها قدماه عندما وصل إلى فلسطين، وهو في الخامسة والنصف من عمره (١٩٢٦)، وعلاوة على ذلك، فإن أول يد حملته من السفينة التي كان يقلها مع أسرته إلى فلسطين، كانت يد بحار فلسطيني، وصفه بأنه «قوى البنية».

وهنا، تتجلى أصداء السيرة الذاتية لكاتب، معبرة عن المكان، وهو «يافا»، وعن الإنسان، وهو الفلسطيني الذي كان أول ما شاهدته عيناه قبل أن تحط قدماه أرض فلسطين.

وعن ذلك، يقول:

«في أبريل ١٩٢٦، وصلت إلى يافا على ظهر باخرة، وكان البحر هائجاً، ورست الباخرة بعيداً عن الرصيف، وحملني بحار عربي قوي البنية، بساعديه من فوق سطح الباخرة، ووضعني داخل قارب صغير، حيث نزلنا على رصيف الميناء» [٢].

---

(١) ميجد، رواية رحلة...، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨، ٦٩.

(٢) EDEN. VIVIAN. OPCIT .P 143.

ومن المعروف أن يافا مدينة عربية فلسطينية ساحلية قديمة، بجوار تل أبيب، وهي الآن، جزء من دولة إسرائيل، ومن حدودها منذ عام ١٩٤٨.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو:

هل أراد «ميجد» أن يذهب بذلك إلى الإقرار بحق الفلسطينيين في يافا؟ وخاصة أن معظم سكانها من العرب، ولا زالت بيوتها محتفظة بطابعها العربي القديم، وتقطنها الأسر والعائلات الفلسطينية، حتى اليوم، ربما كانت الإجابة على هذا التساؤل، هي بالإيجاب، استناداً إلى ما يمكن أن نفهمه من مظاهر النص، الذي يوحي بالاعتراف بعروبة يافا، وبأنها مدينة فلسطينية، وليست إسرائيلية، ولكن «ميجد» هو أولاً، وقبل كل شيء صهيوني، وإذا كانت صهيونيته ذات التوجه اليساري تتسم في بعض معالجاتها للقضية الفلسطينية بالنزعة الأخلاقية والإنسانية، وتدعو إلى ضرورة حل هذه القضية عن طريق إعادة الضفة الغربية وغزة للفلسطينيين، ومنحهم حق تقرير المصير...إلخ.

إلا أن هذه الصهيونية اليسارية لا تسقط أبداً من حساباتها المصلحة القومية لإسرائيل، وضرورة الحفاظ على الحد الأدنى من المشروع الصهيوني، بما يكفل وجود واستمرار الدولة الإسرائيلية، كما أنهم، أيضاً، يرون من ناحية أخرى أن الاحتفاظ بهذه المناطق مع سكانها العرب، إنما يحول إسرائيل إلى دولة مزدوجة القومية، وهو أمر غير مرغوب، وعلى ضوء هذا فربما كان الأصح هو أن نبحث عن التفسير الصحيح لهذه العبارة، ليس في ظاهر النص، وإنما في تصريح لميجد عبر فيه عن وجهة نظره السياسية تجاه هذه المشكلة:

حيث قال:

«في الواقع أنه من المهم أن نتحدث مع الفلسطينيين، ونتحدث مع من

يختارونهم، فإذا اختاروا أشخاصاً من منظمة التحرير الفلسطينية، يكون الحديث معهم. لا يجوز لنا (إسرائيل) أن نمنح أنفسنا حق الاختيار نيابة عنهم.

ستكون النتيجة في نهاية الأمر، أياً كانت هي تقسيم الأراضي، ومنها ما يخص السكان اليهود القدامى «اليشوف».

وإذا كان من حق اليهود العيش في شتى أنحاء العالم، فلماذا لا يعيش اليهود في الخليل، أيضاً، تحت سلطة فلسطينية، إن الحل الكونفدرالي يبدو لي واقعياً»[1].

وهنا يؤيد «ميجد» الحل على النحو التالي:

١- أن يتم التفاهم من جانب إسرائيل مع منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها الممثل الشرعي الذي اختاره الشعب الفلسطيني ممثلاً له.

٢- تقسيم البلاد بين الفلسطينيين والإسرائيليين، بما في ذلك مناطق من الاستيطان اليهودي القديم في فلسطين، وهو ما يسمى «باليشوف».

٣- إمكانية أن يعيش اليهود كما يعيشون في سائر أنحاء اعالم، في ظل دول كثيرة في أماكن تحت سيطرة الفلسطينيين.

٤- تبني الحل الكونفدرالي بين إسرائيل ودولة فلسطين.

وتبنى «ميجد» في رواية «رحلة في أغسطس»، اتجاهًا ينادي بأحقية الفلسطينيين في استعادة أراضيهم، والعيش في أمن، وسلام، والمناداة بالعدل تجاه قضيتهم، وذلك من خلال الحوار في الفقرة التالية:

حسن أنت صادق، وأنت صادقة... حسن جداً...

---

(١) هدرى رماج، مع أهارون ميجد (كلبود يوم هعصما وؤت)، يديعوت أحرونوت، ملحق السبت، ٢٣/ ٩/ ١٩٩١، ص ١٧.

وجاء الآن دور سونيا في الحديث، وقد احمرت وجنتاها البيضاوتان بغضب، فقالت:

«لكني لست أفهم لماذا يتحدثون هكذا كثيراً عن حقوق العرب؟

توجد معنا بالمكتب إحدى الشابات «موظفة بالبلدية»، اسمها «نيرة»، وكانت «بالكيبوتس» ، وهي بالطبع لطيفة جداً. إنها تتحدث طوال الوقت عن الظلم الواقع على العرب، وبحماس على هذا النحو، وبغضب مماثل عن أنهم يأخذون أراضيهم، ويزجون بهم في السجون، ويطلقون عليهم النيران، ولا يمنحونهم الاستقلال.

وقد قلت لها : يا «نيرة» لماذا أنت متحمسة إلى هذا الحد لهذه الأمور كما لو كانت هذه هي كل حياتك؟ أليس هناك من هو يحارب في سبيل هذه الحقوق الخاصة بهم؟

هناك ٥٠٠ مليون مسلم، وكل الدول الشيوعية، وكل اليسار، والليبراليين، والكاثوليك، والبروتستانت، دون استثناء.

ونحن (إسرائيل)، من يدافع عنا؟

نحن، فحسب....

وعندئذ، تقول: لكوني يهودية بالذات، فأنا أحارب في جانب العدل.

وقلت لها: فلتحاربي قليلاً، أيضاً، إلى جانب العدل الخاص بك.

لماذا لا تحاربين من أجل هذا؟

وعندما أرى أن هناك كثيرين على شاكلتها، وأنهم يثيرون ضوضاء كثيرة من هذا الصنف، ويكتبون في الصحف، ويتحدثون في الإذاعة والتليفزيون، ويقومون بالمظاهرات ضد الحكومة، وبالدعاية في الخارج، في أمريكا، وفي إنجلترا، وألمانيا.

«حسب رأيي هذا شيء لا أخلاقي»[1] .

يعرض الكاتب في هذه الفقرة، وجهتي نظر حول العدل:

الأولى : تتحدث عن العدل الخاص بأحقية العرب في استعادة أراضيهم، والعيش في دولة مستقلة.

والثانية : تتبنى العدل الخاص بالإسرائيليين، العدل الذي لا يعنيه العدل الخاص بالآخرين وهم الفلسطينيون.

وقد ورد هذا الحوار على لسان شخصيتين:

الأولى : هي «نيرة»، عضو المستوطنة «التي تتحلى بقيم، ومبادئ، وتدافع عن العدل بمفهومه المطلق، بما في ذلك العدل الخاص بالفلسطينيين».

والثانية: هي «سونيا»، الرافضة للاعتراف بكل تلك الحقوق، وترى أن مثل هذه الأمور، والتعبير عنها، والمناداة بها، شيء لا أخلاقي من وجهة نظرها.

وتلك الصورة التي رسمها «ميجد» في الفقرة السابقة، تعد صورة واقعية صادقة، تعبر عما يدور في المجتمع الإسرائيلي، من انقسام حول مفهوم العدل، والحقوق، ويرى القاص أن الذين ينحازون إلى رؤية العدل الخاص بالفلسطينيين هم كثرة، أو غالبية في المجتمع الإسرائيلي

حيث يقول: «هناك كثيرون على شاكلتها»، وهم «يدافعون عن العدل» بالمظاهرات، ومطالبة الحكومة بسياسة عادلة، ومن خلال الدعاية بالداخل، والخارج، والأحاديث الإذاعية، والتليفزيونية.......إلخ.

ويرى الناقد الإسرائيلي «حاييم شوهام»، بما يفسر مغزى لبعد العقائدي في

(١) ميجد، رواية رحلة..، مصدر سبق ذكره، ص٨٩.

الحوار السابق، من خلال الشخصيات التي دار بينها الحوار، على ضوء انتماءاتهم العقائدية، إن «ميجد» وضع خطاً فاصلاً واضحاً بين الرجال الذين يعيشون على ضوء قيم «حركة الشباب الطلائعي»، ويجسدون ذلك في الحياة الواقعية، وبين الرجال الذين يرون غرابة في تلك الأفكار، ويعايشون تلك الأفكار، كسكان مدينة. إن تلك المساحة موجودة بتوسع في أدب «أهارون ميجد»، وانعكست على فترة زمنية، وعلى الشباب الذين يعيشون «بالكيبوتس» هذا من ناحية، ومن الناحية الثانية المتخرجين من جيل الآباء الذين يعيشون بالمدينة، وتجد تلك المجموعتين أن الإنسانيات تحدد مسئوليتهما، وتميزهما»[(١)].

وهكذا، فإن شخصيات «ميجد» تعبر عن تلك القيم، والمبادئ، التي تدافع عن الحق العادل للعرب، وتسعى لإبراز البعد الإنساني في القضية الفلسطينية.

وإذا كان «ميجد» قد أورد القيم، والمبادئ العادلة، على لسان إحدى شخصياته، وهي بالتحديد عضو «كيبوتس»، فهذا أمر مقصود، وليس عفوياً، لأن «ميجد» سيبدي اهتمامًا خاصاً «بالكيبوتس»، وأعضاء «الكيبوتس»، لأنه هو شخصياً كان عضو كيبوتس، وعضوًا بارزاً في «منظمات الشباب»، التي شكلت وجدانه بتلك القيم والمبادئ، التي عبر عنها في رواياته.

ويرصد «ميجد» في روايته «رحلة في أغسطس»، أبعادا أخرى في هذه الفقرة.

«بعد ذلك بعدة أسابيع، وفي المساء، وفي منزل البروفيسور مونتوجمري، بينما توجهت إليه عنات، التي لديها موانع أقل مما لديك، قائلة:

(١) حاييم شوهام، الصراع والواقع في الدراما الإسرائيلية أبحاث في روايات، شامير، وناتان شاحام، وأهارون ميجد، وموسونيزون، وألوني، القسم الثالث الدراما عند أهارون ميجد، جامعة بار إيلان- تل أبيب، ١٩٧٥، ص١١٧ .

شكراً لك دكتور بدران، فهذا الأمر ينطوي على الأقل على خطوة واحدة نحو السلام المأمول.

قال: «وقد احتقنت عيناه، وبدت وكأنها منتفخة، وأصدرت نوعاً من الاحمرار في بؤبؤ عينيه البني، أنها خطوة واحدة للوراء يا سيدتي، فعندما يبرم قائد الجبهة اتفاقاً مع العدو من أجل إنقاذ لواء واحد، ويهمل بقية الجيش، فإن هذا يسمونه بشكل عام خيانة.....أليس كذلك؟

وقد نطق بالخاتمة «أليس كذلك؟ وهو يضحك من أجل أن يلطف من تأثير النبرة الحادة، التي خرجت عن حدود التقاليد المهذبة في مأدبة لطيفة- على السامعين، خيانة؟ لفظت عنات، وكبتت غضبها في داخلها.

لكن الدكتور بدران الجالس على كرسيه أشعل ولاعته- فأضفى لهيبها متلألئا، شبه غامض على جلد وجهه البني- وبعد أن نفخ سحابة دخان لأعلى، قال بابتسامة غلفها قدر ليس قليل من السحر: سمعت إنكم جددتم برج الساعة بشارع بوستروسر أمام الشرطة. فعلتم خيراً لأنه كان في حالة سيئة أقرب للانهيار- أصدقاؤنا الأمريكيون ليس لديهم مشاكل من هذا النوع، لأنه ليس لديهم آثار .

وضحك للمحيطين به ضحكة ساخرة، أسرت لبهم جميعاً، إنه السحر العربي...لأحد أبناء المنفى العربي» [1] .

هذه الفقرة هي جزء من المنظور الواقعي المرتبط بالتاريخ المعاصر، وتفسر على ضوء موقف بعض الرافضين من العرب، ومن بينهم بعض الفلسطينيين، لاتفاقية كامب ديفيد، التي حصلت مصر بمقتضاها على أرضها المحتلة «سيناء»، وكيف

(١) ميجد، رواية رحلة..، مصدر سبق ذكره، ص٦٩.

نهم اعتبروا أن هذا السلام بين مصر وإسرائيل، سلاماً منفرداً، حصلت مصر موجبه على ما يخصها، وتخلت عن سائر الأراضي المحتلة، بما في ذلك الضفة لغربية، وغزة، بالذات، لأن مصر كانت الطرف الرئيسي دوماً في الدفاع عن لحقوق الفلسطينية، واعتبروا ذلك بمثابة خيانة، ومن هنا، فقد استشهد الدكتور خليل بدران، بالمثال الخاص بقائد الجيش، الذي يضحي بسائر الجيش، من أجل إنقاذ لواء واحد، واعتبر أن ذلك هو الخيانة بعينها.

وميجد في هذا السياق يعرض ما حدث تاريخياً، عام ١٩٧٩، بعد زيارة السادات للقدس، وإبرام معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، ومقاطعة الدول العربية لمصر، واتهامها بالخيانة، والتفريط في حقوق العرب، وفي التخلي عن تبني الدفاع عن استرجاع باقي الأراضي المحتلة، وذلك على لسان خليل بدران الفلسطيني، دون أن يسرد الوقائع كما حدثت بتفاصيلها، ولكن الأديب لم يشر من قريب، أو بعيد، إلى أن اتفاقية كامب دافيد، كانت تتضمن ضمن نصوصها جزءاً خاصاً بالمفاوضات حول الضفة الغربية وغزة، كانت ستؤدي لقيام دولة فلسطينية خلال خمس سنوات، لولا أن الفلسطينيين تحت الضغوط من الدول العربية المتشددة، مثل العراق، وسوريا، وغيرهما، رفضوا هذا، مما أضاع عليهم فرصة تاريخية لم يحصلوا إلا على أقل منها بكثير، في مؤتمر مدريد، ثم في اتفاقية غزة وأريحا أولاً، ثم في اتفاقيات «أوسلو أ»، و «أوسلو ب»، في الأعوام ١٩٩٣ - ١٩٩٥.

وفي الجزء الأخير من هذه الفقرة «ضحك للمحيطين به ضحكة ساحرة أسرت لبهم، جميعاً، إنه السحر العربي... لأحد أبناء المنفى العرب».

نلاحظ أسلوباً جديداً على الأدب العبري المعاصر في هذه الفترة، في وصف العربي، يذكرنا بكلمات كان يوصف بها العربي، في فترة الرومانسية الأولى للأدب

العبري الفلسطيني، حين كان يوصف العربي الفلسطيني بأنه يمثل سحر الشرق.

إن «ميجد» يصف ضحكة خليل بدران الفلسطيني، بأنها «ضحكة ساحرة»، ويرى أن هذا الفلسطيني ليس ممثلاً لسحر الشرق على الإطلاق، بل إنه ممثل «للسحر العربي، تحديداً، وهذه الأوصاف هي أوصاف إيجابية.

أما الأكثر إثارة في هذه الفقرة الصغيرة المليئة بالدلالات، فهو ذلك الوصف الذي يسبغه «ميجد»، على خليل بدران الفلسطيني، وهو أنه «أحد أبناء المنفى العرب».

فمن المعروف، أن كلمة «المنفى» تستخدم من قبل الأيديولوجية الصهيونية للدلالة على الوجود الاضطراري لليهود خارج فلسطين، كما يزعمون، وبالتالي فإن مدلول الكلمة ينطوي على حتمية العودة إلى المكان، والأرض، التي يرون من منظورهم الديني، والتاريخي، أنها وطنهم.

وقد كانت الهجرة اليهودية لفلسطين بموجاتها المختلفة، هي الشق العملي، والتنفيذي لمقولة العودة، وفقاً للأيديولوجية الصهيونية.

وهكذا، فإنه عندما تطلق هذه الكلمة لوصف الفلسطيني، فإنها تشكل اعترافًا بحق الفلسطيني في العودة لوطنه في فلسطين، وهو ما يعد بمثابة محاولة لإسباغ نوع من «الصهيونية الفلسطينية»، على الواقع الفلسطيني، وخاصة بالنسبة لأولئك الذين طردتهم، وشردتهم الصهيونية من أراضيهم، ومن وطنهم، وأجبرتهم على الحياة في الغربة، وفي الشتات «المنفى»، وفقاً للمصطلح الصهيوني الدارج، والذي لم يكونوا يستعملونه من قبل، إلا لتوصيف حالة اليهود، فحسب.

وفي فقرة أخرى، من نفس الرواية «رحلة في أغسطس»، يؤكد الأديب القاص على جرأة الفلسطيني، دكتور خليل بدران، على توجيه النقد لسياسة إسرائيل،

كدولة محتلة، من خلال ما تقوم به من مصادرة الأراضي العربية، وأساليب البطش، والتنكيل بالعرب، أصحاب الأرض، وذلك من خلال ابتسامة تأخذ بقلوب جميع الحاضرين:

فقد جاء في هذه الفقرة:

ورويت له عن الدكتور خليل بدران، الفلسطيني، المهذب، دمث الأخلاق، الذي قال لها ذات مرة أثناء حفلة عند (ملتون لورانس، ذلك اليهودي الذي أصبح حمائمياً، في ثنايا مناقشة، وهو يضحك، وعيونه البنية، محتقنة بالدم:

«نعم أنا أعرف أنكم (الإسرائيليون) منذ ثلاثين عاماً، وأنتم تريدون الفوز بالدنيا والآخرة، اليد تسلب، وتطرد، وتسفك الدماء، والفم يستنكر هذه الأعمال، باسم أخلاق الأنبياء».

وبعد ذلك، ومن أجل تلطيف الجو، وبابتسامته الساحرة، التي أخذت بقلوب الحاضرين، أضاف، قائلاً: «أنا لا أقصدك بالحديث يا سيد لفيان، فأنت حمامة، حسبما يطلقون على هذا عندكم (في إسرائيل)، ولكن مع الأسف الحمائم عندكم لهم أجنحة، وليست لهم أرجل»[1].

في هذه الفقرة، يؤكد «ميجد» على فطنة، وذكاء، وجرأة الفلسطيني، حيث كرر وصفه بأنه مهذب، ودمث الخلق، وأن ابتسامته الساحرة تأخذ بقلوب جميع الحاضرين. ومن هنا، فقد قام بتوجيه النقد اللاذع، والساخر للسياسة الإسرائيلية، وتوجهاتها الإجرامية.

جاء النقد اللاذع الموجه من الفلسطيني، الدكتور خليل بدران، في صميم السياسة الإسرائيلية المتناقضة، حيث القتل، والتشريد، والطرد للفلسطينيين، من

(١) المصدر نفسه، ص١٠٣.

جانب السلطات الإسرائيلية، وفي نفس الوقت هناك من يستنكر هذه الأعمال، ويشجبها، مدعياً بأنها لا تتناسب مع أخلاق الأنبياء.

وإزاء ذلك يعرب خليل بدران، عن دهشته، وسخريته، من هذه التوجهات الشاذة، حيث الرغبة في الفوز بالدنيا، «متمثلة في الاستيلاء على الأرض»، والفوز بالآخرة، بالتمتع بأخلاق الأنبياء، واستنكار أعمال العنف، والقسوة.

وعلى الرغم من أن سياسة الحمائم تنطوي على أبعاد، وخطوط أقرب ما تكون منصفة، ومؤازرة للحقوق اليهودية، والإنسان اليهودي، بمناصرة الأفكار الرامية للسلام، والتفاوض مع الفلسطينيين. فإنه انتقدها لكونها سياسة غير مستقرة، وغير راسخة، كما عبر عنها في الرواية، بقوله :« لكن مع الأسف الحمائم عندكم لهم أجنحة، وليست لهم أرجل».

وتبرز حنكة الأديب في الوصف، والتدقيق، حيث أبرز أن الرفض، والتأييد يصدر من جسم واحد (اليد تسلب، وتطرد، وتسفك الدماء، والفم يستنكر هذه الأعمال، باسم أخلاق لأنبياء)، أي أن الشر، وادعاء الخير صادران من الكيان الإسرائيلي المحتل.

وقد أصابته الدهشة لما سمعه من الأساتذة في جامعة بير زيت، عما يجري هناك ضد السكان العرب في الضفة الغربية، وأنهم مع أصالتهم هذه يتحملون قسوة معاملة جنود الجيش الإسرائيلي، والتصييق عليهم، علاوة على الاعتقال، والأسر، والحصار.

وفي هذه الفقرة، يذهب الكاتب إلى الصراحة، والتصريح، عما يقوم به الجيش الإسرائيلي، وقد نعته بأنه «جيش الاحتلال»، حيال تصرفاته في الضفة الغربية، مع مؤسسات تعليمية أكاديمية، من المفروض لها جلالها، وقدسيتها، ولكنها لم تسلم

من تنكيل الجيش الإسرائيلي.

فقد جاء في رواية «فويجلمان»:

سافر الاثنان لجامعة بير زيت (جامعة فلسطينية في الضفة الغربية)، وهناك استمعا من أعضاء هيئة التدريس، عن مكائد جيش الاحتلال للمؤسسة ، وعن أوامر الإغلاق، والاعتقالات، وعمليات السجن، (سأل، وقد شبك أصابعه الطويلة، والدقيقة على صدره):

ماذا يقول عن الأكاديميين في إسرائيل؟ [1] .

إن هذه الفقرة تنطوي على اعتراف من الأديب، بوجود مؤسسات أكاديمية فسطينية :«جامعة بيرزيت، وأن هذه الجامعة تضم أعضاء هيئة تدريس من الشباب، كما أنها تؤكد الحقيقة المريرة، التي يعيشونها، والتي يعترف بها «ميجد»، حيثما نعت بصراحة الجيش الإسرائيلي، بأنه «جيش الاحتلال»، والذي ينحصر دوره في التنكيل بأعضاء هيئة التدريس، واعتقالهم، وسجنهم، وكيف أن مثل هذه السلوكيات اللا إنسانية، لابد أن يكون لها صدى لدى نظرائهم من الأكاديميين الإسرائيليين.

وإذا كان «ميجد» قد عبر بصراحة في نعته للجيش الإسرائيلي، بأنه «جيش الاحتلال»، وذلك من خلال ما ورد في الفقرة السابقة من رواية «فويجلمان»، فهذا يتفق مع ما قاله في إحدى المقابلات الصحفية، حيث يقول:

«بواقع التاريخ، ودلالاته نحن (الإسرائيليون) نسيطر على شعب، وهذا الشعب غير راض بالعيش تحت الاحتلال، وهو، دائماً، يحاربنا، وفي تلك الحروب نحن الذين ننتصر» [2] .

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص٩٢.

(٢) رماج، مصدر سبق ذكره.

ومن هنا، نجد علاقة واضحة فيما صرح به «ميجد»، في رواية «فويجلمان»، بوصفه الجيش الإسرائيلي، بأنه جيش الاحتلال، وبين ما جاء على لسانه في المقابلة الصحفية، حيث تحدث عن الاحتلال الإسرائيلي، والسيطرة على الشعب الفلسطيني، الذي يقاوم هذا الاحتلال الغاصب، ويرفضه.

وقد كرر «ميجد» كلمة «الشعب» مرتين، اعترافًا منه بأحقية الشعب الفلسطيني في الاستقلال، بعيداً، عن سيطرة «الاحتلال»، والجيش الإسرائيلي، ولكونهم شعباً له كيانه، وله أيضاً، مؤسساته الأكاديمية، كما هو وارد في الفقرة السابقة.

وفي جانب آخر من رواية «فويجلمان»، يروى «تسفى أربيل» (وهو أستاذ للتاريخ اليهودي بجامعة تل أبيب، وزوجته «نورا»، وهي عالمة بيولوجيا في المعهد البيولوجي بالقدس، عن التجاوزات الإسرائيلية ضد السكان العرب، وعن ما قدمه أستاذ لعلم الأوبئة من جامعة بيرزيت، من أدلة علمية، تؤكد تورط الجيش الإسرائيلي، في الإضرار المتعمد بصحة سكان الضفة الغربية:

وهذا يبدو واضحاً في هذه الفقرة:

سموم.....

قلت، وحكيت أنه في مؤتمر البيولوجيين الذي أقيم بالقدس، وشاركت فيه زوجتي، لأنها تعمل بيولوجية.

إنه وقف على المسرح، أستاذ لعلم الأوبئة من جامعة بير زيت، واتهم الجيش الإسرائيلي بنشر مواد سامة في مواد الطعام، ومنابع المياه، بمناطق الضفة الغربية، من أجل نشر الميكروبات الوبائية بين السكان العرب.

وقد أحضر أدلة علمية، تؤكد اتهامه.

قالت (أربيل) : إن هذا نوع من الافتراءات، كان المسيحيون في العصور

اوسطى، ينشرونها عن اليهود[1].

يؤكد الكاتب في الفقرة السابقة على الشكل العام الثقافي، والعلمي للشعب افلسطيني، من خلال مؤسساته التعليمية العالية «جامعة بير زيت».

بإضافة توجهات جديدة من خلال شخصية أخرى، يمثلها أستاذ لعلم الأوبئة، حيث يقدم الأدلة العلمية، والمعملية لتورط الجيش الإسرائيلي باستخدام السموم في تلويث مصادر المياه، ومواد الطعام للفلسطينيين، من أجل نشر الميكروبات الوبائية بين السكان العرب.

ويأتي ادعاء «تسفى أربيل»، أستاذ التاريخ اليهودي، بأن هذا محض افتراء ضد الجيش الإسرائيلي، ولكن هذا الادعاء يبدو باهتاً أمام ما أورده الكاتب في الفقرة السابقة، ويؤكد بلا شك الاتهام الذي قدمه الأكاديمي العربي، «أحضر أدلة علمية تؤكد اتهامه»، فالأدلة العلمية المذكورة، هي أدلة علمية مادية بعيدة عن الشك، وتؤكد حسب نتائجها هذا الاتهام.

وهذه الواقعة لها ما يؤكد واقعيتها، فقد تناولها ميجد على لسان شخصيات فلسطينية، إنها أراد بها أن يعطي مصداقية للحدث، تدخل في إطار الالتزام الواقعي بصحة الأحداث، التي يتناولها الأديب الواقعي في رواياته، وجاء تأكيد الواقعة بأدلة علمية على لسان يهودية متخصصة في تلك الأدلة البيولوجية، حيث إنه من السهل عليها أن تبرهن العكس، ولكنها أقرت بهذه الأدلة العلمية، التي تؤكد واقعة قيام الجيش الإسرائيلي بتلويث منابع المياه، والطعام لسكان الضفة الغربية.

«في عام ١٩٨٣، انفجرت مظاهرات طلابية خرجت من المدارس الفلسطينية

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص٩٢، ٩٣.

الثانوية، في الضفة الغربية. كان الطلاب الفلسطينيون يتظاهرون احتجاجًا على قيام الإسرائيليين بدس أنواع من السموم العازية، في مدارس الفتيات العربيات، بهدف إصابتهن بالعقم، والعجز عن الإنجاب. واتصل أحد قادة الاحتلال الإسرائيلي المتمركزين في الضفة الغربية، برئيس الأركان الإسرائيلي، في ذلك الوقت، «الجنرال رفائيل إيتان»، ليسأله- كما ذكرت الصحف العبرية-: «ماذا أفعل يا سيدي رئيس الأركان؟ إن الطلاب يلقون علينا بالحجارة؟

وجاءت إجابة رئيس الأركان بالحرف الواحد، تقول:

«انزعوا لهم خصياتهم. لا ضرورة لأن يكونوا رجالاً»[1].

وما ورد على لسان الجنرال رفائيل أيتان، رئيس أركان جيش الاحتلال الإسرائيلي من إجابة، تعد أمراً فورياً، إنما يعبر عن قلق، وهلع يدور في الأوساط الإسرائيلية، من كثرة، وتنامي العرب، وزيادة المواليد، بالمقارنة باليهود في إسرائيل، وهذا يشكل رعباً حقيقياً، يمثل في المستقبل قوة للفلسطينيين تزحف على الأرض، ومن هنا كانت هذه التصرفات الشيطانية المبرمجة، علاوة على الأسوار الفاصلة بين العرب واليهود.

◆◆◆

(١) البحراوي، نزع الصفات ... المقدمة، مصدر سبق ذكره، ص٩.

الفصل الثاني
الواقعية في تناول العلاقة بين يهود الشتات وإسرائيل في روايات ميجد

يولي «ميجد» اهتمامًا كبيرًا بالشتات اليهودي، سواء على المستوى الشخصي، حيث يصرح على الدوام بانتمائه للشتات، بكل فخر، واعتزاز، حيث يقول: «إنني شخصياً، أولاً، وقبل كل شيء لست من مواليد فلسطين، وكنت لفترة قريبة، أصنف بالطبع ضمن الأشخاص القادمين من الشتات»[١].

وفي أعماله الأدبية، التي تبرز إيجابيات الشتات، ولغته، وثقافته، وتاريخه، وأهميته بالنسبة للوضع الإسرائيلي الراهن، من حيث الاستفادة من الماضي، من أجل تغيير وجه الحاضر، والمستقبل، واستلهام الدروس المستفادة من ذلك.

«يجب أن نتعلم من الماضي من أجل تغيير وجه الحاضر والمستقبل، ولا فائدة في الهرب من ثقافة الماضي وتراث «الشعب» ولكن التفتيش، والبحث في الماضي مطلوبين فحسب، إذا تعلمنا منها الدروس المفيدة. وعلى واحد من هذه الدروس الكبيرة، يكتب اليوم الأديب «أهارون ميجد»، ومعه جمهور قرائه في دولة إسرائيل»[٢].

ويتناول «ميجد» الشتات في العديد من رواياته الأدبية، التي تصف بيئة الشتات، وثقافتهن ولغته «البيديش»، والأحوال الاقتصادية، والسياسية، آنذاك، وذلك من

(١) ياسر يعقوب، سيحوت هشافوع عم أهارون ميجد، هجل هحدش بسبورت منوتاق من هرتصاف هقودم، عل همشمار، ٣/ ١١/ ١٩٩٤، ص١٩.
(٢) فسرمان يحيائيل، سفت هييدي كمشال، معاريف، ٢٥/ ١١/ ١٩٨٧، ص٨.

خلال حوارات شخصياته، وخاصة في رواية «فويجلمان»، التي يقول عنها: «عندما انتهيت من كتابة رواية «فويجلمان»، قست لنفسي«: هذا هو المطلوب، قلت هذا يعنيني، تلك هي وصيتي، هذا الذي أرغب في بقائه» [(١)] .

ويقول عنها، أيضاً، توجد في هذه الرواية «فويجلمان»، رواسب عاطفية عميقة جداً عن ارتباطي «بالشعب اليهودي» (في الشتات)، حيث إنه الارتباط المهم جداً بالنسبة لي [(٢)] .

وبناء على هذه الرؤية يتناول «ميجد» الشتات في أعماله الواقعية، بانحياز تام للشتات، ومن خلال التناول الواقعي، يبرز «ميجد» الاختلاف الواقع في ثنايا المجتمع الإسرائيلي حول الشتات، وأهميته، واستلهام العبر منه، في مقابل الرافضين، رفضاً تاماً، للشتات، وتاريخه، لما يرون من سلبيات، وأحزان يجب التغاضي عنها، وعدم الاهتمام بها في مقابل الاهتمام بالمستقبل، والحاضر الراهن، بعيداً، عن الماضي، وأحزانه. وبين هذا وذاك، بين الرفض والتأييد، يناقش «ميجد» الشتات، ودوره بالنسبة للوقت الراهن. وللمجتمع الإسرائيلي، حالياً، وذلك من خلال أعماله الروائية، وتناوله الواقعي لتلك العناصر. وسوف نتناول ذلك من خلال الصراع بين ثقافة الشتات، والثقافة العبرية، وكذلك الصراع بين اللغتين اليديش والعبرية. والمقابلة بين الثقافتين في الماضي والحاضر.

«وإذا وجدنا أن دعاة لغة اليديش يعبرون عن موقف متطرف، فيكفي أن نوجه الاهتمام إلى صور من التفكير الحديث الأكثر اعتدالاً، وهي صور موجودة بقوة في

(١) إيال ميجد، مع أهارون ميجد وإيال ميجد، حايم أحريم، معاريف هشافوع ٢٣-٨-٢٩/٨/١٩٩١، ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

إسرائيل، أيضاً. ومن الأمور المعتادة، الحديث عن «التأصيل اليهودي» العظيم، لدى يهود أوروبا الشرقية، وعن كونهم «يهود حقيقيين»، بالمقارنة باليهودية الأضعف لدى يهود الغرب، الذين يفتقرون لـ«الرابطة القوية مع الشعب اليهودي». في أي شيء تبدو يهوديتهم ضعيفة. ليس القصد هنا بالذات «ورعهم الديني»، بل من الواضح أن ما يكمن داخل هذه الادعاءات، هو الإدراك بأن يهود الغرب «ليسوا يهودا حقيقيين»، انطلاقاً من عدم انتمائهم إلى القومية اليهودية الخاصة بشرق أوروبا»(١).

وهناك الاتجاهات التي تعمل على رفض الشتات، ولغته، وذلك بتبني الدفاع عن العبرية، وجذورها القديمة «فقد ضمت الحركة الصهيونية، منذ البداية، اتجاهات رومانسية عاطفية قوية، سواء من أجل «العودة إلى لغة الآباء»، أو «العودة إلى صهيون»، سعياً وراء الهرب من الشتات. وقد تضمنت هذه الاتجاهات، تبني أسطورة «العصر الذهبي»، ومنذ بداية الاستيطان اليهودي الجديد في (أرض إسرائيل)، اعتبر المستوطنون أنفسهم عائدين إلى أيام يهوشع، والقضاة، أولى أيام داود، وسليمان، أولى أيام الحشمونيم، ولصوص الصحراء»(٢).

ويمثل الشتات ركيزة مهمة بالنسبة للصهيونية، من حيث توجهاتها في بداية تبلورها كحركة: «ينبغي التأكد بداية على أن الصهيونية، قد بدأت، في نهاية القرن التاسع عشر، ليس من أجل أشواق جديدة إلى فلسطين، ولا بسبب كراهية مفاجئة لأماكن إقامتهم فيها، رغم أن أبواب فلسطين كانت على الدوام مفتوحة أمامهم،

(١) بوعز عفرون، الحساب القومي (ترجمة وتعليق دكتور/ محمد محمود أبو غدير - مركز الدراسات الشرقية - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي)، ١٩٩٥، ص ٢٠٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٢.

وكذلك، أيضاً، لا بسبب الأشواق الدينية إلى فلسطين، لأن هذه الأشواق لم تحرك اليهود عبر التاريخ من أماكن إقامتهم، ولا خارجها للذهب إليها، رغم عدم وجود صعوبات في هذا السبيل. ولكن الصهيونية بدأت بسبب الإحساس بالخوف من «الشتات»، بتأثير عاملين أثرا على وجود هذا الشتات في أوروبا، خلال هذه الفترة، وهي ازدياد موجات الاندماج اليهودي في المجتمعات الأوربية، وموجة الاضطهاد»[1].

وقبل أن نتناول الشتات من جميع هذه الخطوط، في روايات «ميجد»، نقف مع الكاتب مرة أخرى، عند رؤيته الشخصية للشتات، وما كتبه خصيصاً للشتات، مثل رواية «فويجلمان»، وذلك من خلال حوار بين «ميجد»، ونجله «إيال»، الشاب الصحفي، وتبادل الأفكار والرؤى بينهما، بما يؤكد أن «ميجد» كتب رواية «فويجلمان»، إجلالاً، وحباً للشتات. ولغة الشتات «البيديش»، التي يفضلها عن العبرية، على الرغم من أنه يكتب أدبه بالعبرية، وهي اللغة الرسمية لإسرائيل.

يقول «ميجد» في حواره مع نجله الأديب والصحفي «إيال»، في مقابلة صحفية على صفحات جريدة «معاريف»:

-« قلت، إنك ترى، أن لغة البيديش. هي إبقاء لروح الشعب اليهودي، التي دمرت؟

- هذا وصف طيب، ففي أعقاب «أحداث النازية»، كان تعاطفي مع اليهود الذين هلكوا، حيث عبرت عن تعاطفي بمشاركة وجدانية قوية جداً، مع لغتهم، وبالإحساس بمأساة اندثار تلك اللغة، حدث هذا، ولو من باب الحنين، والشوق للغة الأم للشعب، اللغة التي تعرف العناق والقبلات. اللغة العبرية ليست كذلك،

(١) الشامي، الشخصية اليهودية ..، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣.

فهي ليست لغة ودودة»[1] .

ويواصل «ميجد» حديثه، قائلاً:

«في عام (١٩٥٢)، نشرت القصة «يد فاشيم»، التي كتبت في حب هذا العالم «عالم الشتات»، وهذا لم يحدث معي دفعة واحدة.

- على حد علمك كيف انتقل هذا الحب إليّ؟

- أظن أن لديك ارتدادا عن عناصر الوجود الإسرائيلي، فأنت تبحث عن أسس لثقافة ليست هنا «إسرائيل»، وربما كانت في «الشتات».

- عندما زرت «شرنسك»، مدينة جدتي «مسقط رأسها»، و «بولنسلفك» مدينة جدي، حيث ولدت أنت «أهارون ميجد» (١٩٢٠)، هناك، شعرت كثيراً بالعودة لطفولتي – أكثر مما شعرت بالعودة «للجذور»- تلك الأماكن ذكرتني «بالموشافاه»، التي تخصهم هنا، والتي محيت تقريبا، ونهائياً، من الخريطة، لقد أعادني «الشتات» إلى الماضي المفقود الذي يخصني، وذلك بشكل مغاير جداً ، على الرغم من عدم وجود حياة به، منذ زمن بعيد»[2] .

وعلى الرغم من تأكيد «ميجد» على حب الانتماء «للشتات اليهودي»، وللثقافة الخاصة بها، وتأكيد انتقال هذا الشعور، والحب إلى «نجله»، الذي يمثل جيل الشباب المولود في إسرائيل، والذي يبحث عن جذوره المفقودة، التي لا يجدها في إسرائيل، ولكن يجدها في الشتات، فإنه يبدو من الحوار، أن هذه الحالة حالة خاصة، تمثل الموروث العائلي بين الأديب «ميجد»، ونجله «إيال»، وهو صحفي وأديب، أيضاً، ولا يمكن الحكم بأنها حالة عامة، وشاملة تمثل جيل الشباب.

(١) ميحب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

ويستمر «ميجد» في تأكيده على الانتماء للشتات، ولغته «الييديش»:

« في يد فاشيم»، إحدى القصص التي حظيت بشعبية كبيرة، وفيها يقع صدام بين زوجين شابين من مواليد إسرائيل، مع جدهما القادم من روسيا، الصدام عاطفي، وأيضاً، فكري لأن «الجد» لا يستطيع التسليم بالرؤية المنتسبة «للكنعانية»، خاصتهم حيث بدأ الجميع هنا «إسرائيس»، وخلقت ثقافة جديدة دون الارتباط بالشتات، وهذا الشخص «الجد»، أنا أميزه كثيراً جداً. ذلك الشخص الذي أفرد أمامهم كل البانوراما الواسعة لثقافة عمرها ألفي عام خارج إسرائيل، حيث تربى، وكبر عليها حكماء جاؤونيم، ولأنهم قاموا بإلغاء ذلك، وبدؤوا بما هو جديد، على الإطلاق، حينئذ أصنف أنا «ميجد»، مع كثير من الناس مثله، وكما هو مفهوم «فويجلمان»، «بطل رواية فويجلمان»، أنه على وجه العموم، ليس إسرائيلياً، وعاش أيضاً خارج الدولة، وعندي تطابق وانسجام مع اليهودية التاريخية، وأيضاً، مع «الييديش»، ومع مأساة شعب قد دمر، وبقيت له لغته «الييديش» [1].

وتعد رواية «فويجلمان»، بمثابة سجل للشتات، وما يموج به من ثقافة، وحياة، ولغة «الييديش»، ومن عادات وتقاليد، أراد الكاتب أن يثني عليها، ويبرزها، وخاصة اللغة، التي تعد وسيلة التعبير عن هذا العالم، ويرغب الكاتب لها أن تأخذ دوراً في الثقافة المعاصرة بإسرائيل. وعن هذه الرواية يقول إبراهام هجوراني: «رواية فويجلمان»، «لأهارون ميجد»، تظهر في توقيت مناسب، وهي ليست الرواية الأولى، و«ميجد» ليس في حاجة إلى أن يسير عكس التيار، فالحدث الذي يحكي عنه من الممكن أن يتعلق بكل أسرة إسرائيلية. ولا توجد أية أسرة إسرائيلية جذورها غير مغروسة، في ذلك الواقع اليهودي. تلك الجذور، وذلك الواقع اليهودي

(١) يعقوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

يكادان أن يختفيا، أيضاً، إذ إن الأسر الحالية في تسلسلها، لا ترغب في التعرف على ذلك، أو في تذكر، واجترار تلك الذكريات، والجذور»[1].

وعلى الرغم من الانتماء للشتات، وجذوره، فإن الجيل الشاب يرفض هذه الجذور، ويأتي الرفض بالتجاهل، والنسيان، وعدم الرغبة في العودة لتلك الأحزان. وهنا في الرواية نجد أن «يوآب»، الذي يمثل جيل الشباب غير راض عن مهنة والده، كباحث في التاريخ اليهودي، وغير راض عن مسلك يهود الشتات، وقت أحداث النازية.

كما هو على سبيل المثال، في الرواية «فويجلمان»، « يوآب »، نجل «نورا»، والبروفيسور أربيل مدرس التاريخ اليهودي، الذي يخدم بالجيش بسلاح المدرعات، وفور انتهاء خدمته بالجيش، يأخذ على عاتقه مهمة السفر بعيداً، إلى خارج البلاد، إلى كولومبيا، وهو لا يفهم مغزى استمرار والده البروفيسور «أربيل»، في عنايته بدراسة التاريخ اليهودي، على غرار الذي تحدث عنه «هزاز»، في روايته «الموعظة»، حيث نجد أن بطل الرواية يصرخ قائلاً:« ليس لنا تاريخ ». وكذلك بطل رواية «فويجلمان»، شاعر اليديش، موجه له اتهام الشعور بالذنب، لأنه لم يكن هناك وقت أحداث النازية. وفي المقابل، فإن «يوآب»، ليس لديه أي شعور بالذنب، لأنه مولود بإسرائيل، ومتزوج من امرأة من بئر طوبيا، من رامات جان. «وفويجلمان» لا يثق بالقوة العسكرية الإسرائيلية، وفي آخر أيامه، كان عقله ينبض بالحماس، فهو واحد من الناجين من «منديك»، إحدى مدن شرق أوروبا، وذلك الحماس لتلك الخدعة، التي تزدهر في العقل اليهودي، وتخلص الدولة من خطر الدمار، وهنا يأس الموت، ورهبته هما الأساس.

(١) إبراهام هجوراني، ليديش بأهفاه، معاريف، ٤/ ١٢/ ١٩٨٧، ص ٤.

وفويجلمان شاعر ييديش، استبد به الخوف، والقلق، والهلع اليهودي المغروس في وجدانه، ولا يمكنه التخلص منه، ولم يستشعر هنا «إسرائيل»، أيضاً، مع هذا الخوف قوة ليستقر، ولو جزئياً، في أيامه الأخيرة»[1] .

ويشير الناقد إلى ما عبر عنه «ميجد»، في الرواية بشأن تبرير عدم اهتمام الشباب الإسرائيلي بالجذور الأولى في الشتات، لأن النشأة، والمولد، والحياة، والزواج، جميعها أمور تمت حديثاً، في عهد الدولة (إسرائيل)، علاوة على نظرة الشباب إلى جيل الشتات، الذي عاصر أحداث 'النازية، بشيء من التقصير، أثناء الأحداث، بسبب المواقف السلبية تجاه ما حل باليهود، آنذاك.

*** الييديش هي اللغة الأم للثقافة اليهودية:**

تعتبر الأم الركيزة الأساسية للأصول والقومية في العقيدة اليهودية، فاليهودي الخالص، هو المولود من أم يهودية، وهذا هو المهم، فإذا كان الأمر كذلك، نجد أن «ميجد» يشير في روايته «فويجلمان»، إلى أن «الييديش»، هي اللغة الأم للثقافة اليهودية. ويلقي اللوم على الدولة كلها لعدم اهتمامها بتلك الأم.

ويروي شاعر الييديش:

«وضمن تلك الأمور من الاهتمامات العامة، تتغلغل، أيضاً، المرارة الشخصية، لقد زار البلاد ثلاث مرات، عند شقيقه في الرملة «إسرائيل»، وسار كما لو كان متسولاً في حفل زواج. وباستثناء حفنة قليلة من أدباء الييديش، لم يسمع عنه أحد، ولم يقرأ شعره أحد، دخل ذات مرة- بدافع الفضول- إلى اجتماع كبير لرابطة الأدباء العبريين، ولم يرحب به أحد هناك. وعندما قدم نفسه للسكرتير. لم يدعه لفنجان شاي، وانصرف عنه، وتركه وحيداً. هل كان يتبع هذا الأسلوب مع أديب

(١) المصدر نفسه، ص ٤.

إنجليزي، أو أديب فرنسي، أو حتى مع أديب ألماني، سليل شعب القتلة، إذا ما جاء إليه كضيف؟ وإذا كانت ثقافة الشعب، هي بمثابة «أسرة»، لها أب وأم، وأبناء وبنات- فماذا يحدث لهذه الأسرة عندما تطرد الأم من البيت؟- فإذا كانت العبرية هي الأب للثقافة اليهودية، فاليديش هي الأم، التي ورثت، وأورثت، وجمعت واكتنزت الحكمة الشعبية، والأمثال، والأساطير، والفكاهة، وأغاني هدهدة الطفل، إنها هي التي أضفت الدفء على البيت، إنها لم تسمى «اللغة الأم» من فراغ، وها هي إسرائيل العصرية مملكة، ويوجد بها أعمال مجيدة، وأيضاً، سلوكيات المملكة، ولكن ليست بها الأم» [1].

وهكذا، وضع «ميجد» لغة الييديش، من خلال معاناة شاعر اللغة الأم، وإحساسه بالضآلة في إسرائيل، في أعلى قمة لها، بحيث أصبحت هي الركيزة الأساسية، والأم للثقافة اليهودية، وعلى الرغم من تجاهل أدباء العبرية للغة البيديش، وأدبائها، وشعرائها، ومعاملة أحدهم بصورة تقل عن معاملة أي ضيف أجنبي، وغريب، وحتى لو كان ضيفاً ألمانيا، «سليل قتلة اليهود»، حسب التعبير الوارد في الفقرة.

يقول الكاتب : إن البيديش، هي التي أبقت على الثقافة اليهودية، وحفظتها من ماضيها إلى حاضرها، حسب التعبيرات التالية:-

« ورثت، أورثت، أصَّلت، جمعت، اكتنزت»، وهي كلمات، تناسب التشبيه الذي نعته «ميجد» للبيديش بالأم لأسرة كاملة. ويستصرخ الكاتب من خلال معاناة بطل الرواية «شاعر البيديش»، الاهتمام بالأم، لأنها هي الأصل، وهي التي تحافظ على التوازن الثقافي، كتوازن الأسرة، التي يرعاها الأب والأم، معاً.

(١) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥-٣٦.

وحول مرونة البيديش، وإمكانية تطويعها، دار هذا الحوار برواية «فويجلمان»، بين أحد أبطال الرواية، و «تسفى أربيل»، «أستاذ التاريخ اليهودي»، على النحو التالي:

«انحني، فجأة، تجاهي، وهمس سائلاً: أريد أن أعرف إن كنت قد نشرت كتاب أشعار باليديش؟

إنها شائعة تداعت إلى سمعي، أليس هذا حقيقياً؟»

ضحكت، وقلت له : إنني لم أكتب شعراً، على الإطلاق، فما بالك باليديش.

وجه ابتسامة نحو عيوني، وفكر مليًا، وقال بعد ذلك: أنا، ربما كان كل ما أعرفه من اليديش، هو عشر كلمات، وهي كلمات فظة. ولكن اليديش لغة جيدة، مرنة، من الممكن تطويعها، لكن العبرية من الصعب تطويعها، سمعت في إحدى المرات شيئاً لطيفاً من صديق لنا، بولندي:

«إن العبرية لغة الزمان، أما اليديش فهي لغة المكان».

لم أفهم بالضبط، ولكن هذا الشيء بدا جيداً، لأنه يحوي شيئاً ما» (١) .

هنا يأتي الإعراب عن مرونة لغة البيديش، في مقابل صعوبة اللغة العبرية، من قبل متحدثي البيديشية، والمدافعين عنها، حيث تمثل لسانهم على مدى زمن طويل في الشتات، لأنهم تربوا عليها منذ نعومة أظافرهم، ولكن العبرية حديثة العهد بهم، حيث تعلموها بعد الهجرة، وخاصة لغة الحديث اليومية، إذا كان بعضهم قد تعلمها من خلال الدراسات الدينية، كلغة مقدسة في الشتات.

وفي نفس الرواية، توجه «نورا»، نقداً لاذعاً لزوجها «أربيل»، لاهتمامه بالتاريخ

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

اليهودي في الشتات، والتنقيب عن الماضي، وآثاره، فهي ترفض الشتات، ولغته، وما يستتبع ذلك من أحزان، مع اجترار تلك الأحداث، من خلال دراسة التاريخ، تقول نورا:

«عندما تزوجنا، قلت له : لماذا تشغل نفسك بأمور واقعة تحت الأرض؟ من الواجب أن تشغل نفسك بالأمور التي تعلو الأرض، وقلت له : الآثار هي الماضي، الحقول هي المستقبل»[1] .

يتبادر أمامنا، الآن، عند تحليل هذه الفقرة، سؤال لماذا ترفض «نورا» التاريخ اليهودي القديم، المتعلق بالشتات بصفة خاصة، على الرغم من أنها زوجة لأستاذ للتاريخ اليهودي، وباحث به في جامعة تل أبيب.؟».

وللإجابة على هذا السؤال، نقول: نورا تمثل الحاضر، في مقابل الماضي، المتمثل في زوجها «أربيل»، ومن جهة أخرى، تعمل باحثة في معمل بيولوجي، هدفها خدمة المستقبل، وفي نفس الوقت فهي ترفض، تماماً، اجترار أحزان الشتات، المتمثل في شخصية «فويجلمان»، الذي دمر حياتها، وحياة أسرتها بعد وصوله إلى إسرائيل، وتعاون زوجها «أربيل»، معه في إخراج كتاب أشعار «اليديش»، مترجمًا للعبرية، مما أحدث شرخاً اجتماعيًا بين «نورا» و «أربيل»، وانفصالهما، ثم انتحارها فيما بعد، وكان قد حدث بينهما شرخ اقتصادي، بسبب الأموال التي أنفقها زوجها على ترجمة، وطبع أشعار «فويجلمان».

وبالإضافة إلى ذلك، فإن «نورا» تعود جذورها إلى ألمانيا، ولها آراؤها الخاصة بالشتات، وأحداث النازية، وأن هناك إيجابيات قد وقعت مشكلة حوادث لصالح اليهود، من جانب المسيحيين هناك».

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

وحول ذلك جاء على لسان «تسفى أريل»، قوله:

«في بحث حول اضطرابات «بتلورة»- على سبيل المثال- استطعت أن أبرز في أول الصورة، أعمال الإنقاذ، التي قام بها المسيحيون، والتي حدثت، تقريباً، في كل مدينة. في «زاموشيتس»، حسب إحدى الوثائق، كان هناك صانع براميل بولندي، خاطر بنفسه، ودخل لبيت يهودي- بينما كان يصول، ويجول المشاغبون في الشوارع- وأخرج من داخل البيت، أربع فتيات صغيرات، واصطحبهن لمنزله، وخبأهن في الكور، في صحن بيته، وبعد ذلك في الحفرة، التي حفرها في بستانه. كان هناك في «دفوفا»، و«كريتويا أرزو»، و«ريتاسيا»، و«براتوفان»، مسيحيون تفاوضوا مع «القوزاق»، من كتائب «بتلورة»، وطلبوا منهم عدم الإضرار باليهود، الذين كانوا قد توصلوا إليهم، بوصفهم أعداء، ولكن أزاحوهم من طريقهم إلى الأحياء اليهودية، كانوا يدافعون عن جيرانهم بأجسامهم، وعن الذين منحوهم مخبأ في بيتهم».

ويمكن القول، بأن هذه الأعمال كانت بسيطة، بأغلب الآراء، وغير عادية، حيث إنها تنطبق على الجميع، ولكن هذه الأعمال لا تتعلق بالمؤرخ الباحث عن شرعية معينة، بمادة من الواقع. ولكن هنا تثار مسألة أساسية، إذ إنه كثيراً ما فكرت فيها خلال مسيرة عملي، إما كمدرس للتاريخ، أو كاتبه، لأني أدرس التاريخ، وأكتب، أيضاً، «حسب رأي بوركردت»، ليس فحسب، رؤية المستقبل على ضوء الماضين أو كالقول الروسي «تاريخ ويطة من أجسترا»، أعني «التاريخ هو معلم الحياة»، ويجب استخلاص العبر منه.

لماذا يجب على المؤرخ أن يكون خاضعاً للعلاقة الكمية للواقع؟ وربما العام الذي يجب أن يكون ممسكاً بيده. هو ذلك القول:

«إن شمعة واحدة صغيرة، من الممكن أن تضيء الظلام كله».

وليس كل الظلام قادرًا على إطفاء ضوء شمعة واحدة صغيرة، وبالطبع الأعمال الخيرة مهما كانت قليلة، فهي التي ينبغي إبرازها، لأن الأمل أياً كان، يكون شمعة تهتدي بها الإنسانية»[1].

الصورة المرسومة من واقع أحداث النازية، تزيح الستار عن جانب إيجابي في مساعدة اليهود للأخذ بوسائل الحياة، والنجاة من الإبادة، على الرغم من الإشارة إلى أنها كانت بحجم صغير، ولكن يجب الإشادة بها.

ومع استمرار «أهارون ميجد»، في تناوله لموضوع الشتات، ولغته «اليديش»، والآثار المترتبة على العلاقة بين هذا العالم ـ كما يسميه ـ وبين إسرائيل، فإنه يلتزم الخط، والنهج الواقعي في التناول الأدبي.

ومن هنا، تأتي الصورة كاملة، وصادقة، ومعبرة من جميع الاتجاهات، عندما تناول أحداث التاريخ، من خلال عمل «تسفي أربيل» أستاذ التاريخ، تناول الاتجاهات الرافضة لهذا التاريخ، كأحداث، وكمهنة، وذلك من خلال النقد الموجه لأربيل، من أقرب المقربين إليه، من ابنه «يوآب»، ومن زوجته «نورا».

ومن جهة أخرى، لم يغفل «ميجد» الأحداث الإيجابية، التي وقعت في الشتات مع أحداث النازية، فقد رصد بواسطة بحث قام به حول أحداث «بتلورة»، بعض الأعمال، التي قام بها المسيحيون في مساعدة اليهود، وإخفائهم، بعيداً، عن أيدي فصائل الإبادة، في تلك البلاد. وقد كانت الصورة صادقة من حيث الكم، فقد أعرب عن أنها حوادث فردية، ولكن يجب الإشادة بها، والإشارة إليها، لأنها مع

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

صغر حجمها، تمثل اتجاهًا مغايراً لما حدث، وتزيح الستار عن أعمال مهمة لصالح اليهود في الشتات.

«يجب أن نتعلم من الماضي، من أجل تغيير وجه الحاضر، والمستقبل، ولا فائدة للهروب من ثقافة الماضي، وتراث الشعب، لكن التفتيش، والبحث في الماضي مطلوبين فحسب، إذا تعلمنا منهما الدروس المفيدة.

وحول واحد من هذه الدروس الكبيرة يكتب اليوم الأديب أهارون ميجد، ومعه جمهور قرائه في (دولة إسرائيل)، والتي قامت في أعقاب أحداث النازية»[1].

وخير مثال على ذلك كله رواية «فريجلمان»، التي كتبها «ميجد»، إجلالاً للشتات، وثقافته، ولغته.

■ قضية «الزواج المختلط»، ومن هو اليهودي؟

يصور «ميجد» إشكالية الزواج المختلط، وجذورها الأولى في رواية «رحلة في أغسطس»، ويعود بنا إلى الوراء بعنصري الزمان، والمكان، لأحداث الرواية، حيث تقع حادثة زواج يهودي من إحدى البولنديات، إبان الحرب، حيث إن أسرة زوجته قدمت له مساعدة لإنقاذ حياته من الإبادة، بإخفائه في مزرعتهم، لمدة ثلاث سنوات، تزوج بعدها من سليلة هذه الأسرة التي أنجب منها «أنـي»، وهو أحد شخصيات الرواية، وتدور حوله قضية الزواج المختلط لكونه ليس يهودياً، لأن أمه ليست يهودية، وحتى الاسم ليس يهودياً.

من هنا صور «ميجد» جذور قضية «من هو اليهودي»، المتفجرة داخل المجتمع الإسرائيلي، حيث بدأت في «الشتات»، وامتدت آثارها لتظهر بعد الهجرة إلى

(١) بجيائيل، مصدر سبق ذكره، ص ٨.

إسرائيل.

تناقش الفقرة التالية قضية الزواج المختلط، والقضايا المترتبة على هذا الزواج، مثل: من هو اليهودي؟ والخدمة بالجيش، والانتماء القومي.

تشمل هذه الفقرة حوارات أبطال رواية «رحلة في أغسطس»، أثناء رحلة «دانيال»، «والد الجندي المفقود في حرب السادس من أكتوبر (١٩٧٣)»، ورفاقه في سيناء، حيث تتفجر القضية التي أشرنا إليها من قبل على النحو التالي:

- سأل دانيال بعد تجاوزهم للمطار، أي اسم هذا، أندى؟

- ضحك الجندي، وقال: اسم مختصر من أنديز؟

- صاح دانيال: أنديز، إنه اسم بولندي غير يهودي.

- ضحك أندى: إن أمي ليست يهودية.

- صاح دانيال: جميل...

- خيم الصمت...

- هو شخصيًا، لا يعرف لماذا خرجت كلمة «جميل» من فمه، ولكن الاتساع الكبير المحيط بهم، أصبح كما لو كان عنق زجاجة، يخرج منه بعد إنقاذه.

- عند وصولكم للبلاد (إسرائيل)، ألم يغيروا اسمك هذا ليصبح يهوديًا؟

- قال: لقد رفض والدي.

- ضحك «دانيال»، وقال: هل كان والدك، أيضاً، من الجوييم «غير يهودي»؟

- ضحك أندى: كلا إنه يهودي خالص، ولكن «أنديز»، هذا على اسم جدي لأمي، الذي أنقذ والدي أثناء الحرب، (الحرب العالمية).

- حينئذ، شعر والدي بأنه ملزم تجاهه بالإبقاء على هذا الاسم البولندي، فأنا

ولدت بعد موته بعدة شهور.

- بالطبع تهودت والدتك.

- كلا لم ترغب في ذلك، وضحك أندى، قائلاً: هذا غير ديني وحكى أندى عن عدم تلقيه أمراً بالتجنيد، بعد انتهاء دراسته، حيث توجه إلى مكتب التجنيد، في بئر السبع، وقدم نفسه. وهناك قاموا بفحص شهاداته، ووثائقه، ووجدوا أنه غير يهودي، ومعفى من الانخراط في صفوف الجيش، ولكنه أصر على ذلك. واستشعر والده بالإهانة الصارخة في شخصه، فأرسى عدة خطابات للسكرتارية العسكرية، ووزارة الداخلية، وإلى المجموعة المختصة بحقوق المواطن، حتى وافقوا في النهاية على قبوله، بشرط أن يتهود من جديد. وتم تأهيلي في الثامنة عشرة من عمري. همس دانيال، قائلاً: هذا محزن، هل أنت ابن وحيد؟

- قال « أندى»: لي أخت متزوجة، وشقيقان.

- هل اسمها بولندي، أيضاً؟

- ضحك أندى، وقال: اسمها «مارته» ضحك أندى وقال: مارته...

- وضحك الاثنان، معاً. كما لو كانت هذه نكتة جديدة. ولكنها متزوجة من يهودي. قال أندى: روماني صاحب جراح في بات يم. ضحك أندى كما لو كانت هذه نكتة.

- همس أندى، قائلاً: هل تهودت؟

- ضحك أندى، وقال: حسناً.

- والأولاد؟

- نعم، في اليوم الثامن كما هو مكتوب في التوراة»[1].

(١) ميجد، رواية رحلة ...، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤، ١٥٥.

من المتعارف عليه لدى نقاد الأدب، أن الأديب الواقعي يتفاعل مع مجتمعه، الذي يعبر عنه، وأن يلتزم الصدق، والموضوعية، فيما ينقل من واقع هذا المجتمع، ونجد هنا أن «ميجد» يتفاعل مع مجتمعه، بكل صدق، وواقعية في رسم الصورة كاملة، بكل تفاصيلها، وجذورها، وعناصرها الكاملة، شاملة الزمان والمكان، ومعبرة عن شخصية الكاتب، وسيرة حياته، وعلاقته بالزمان والمكان.

ففي الفقرة السابقة، رصد «ميجد» قضية الزواج المختلط، من بداية جذورها في الشتات ببولندا، وحتى شعَّبت ثمارها، وتشعبت فروعها، في الوقت الراهن، في المجتمع الإسرائيلي.

١ - زواج اليهودي في الشتات ببولندا، من بولندية، بعد أن قامت أسرتها بإنقاذه من الإبادة، إبان الحرب «بولندا»، هي مسقط رأس، واعتزاز «أهارون ميجد».

٢ - عدم تغيير اسم «أندى»، «اسم بولندي»، إلى اسم يهودي، عرفانًا بجميل الجد البولندي « أنديز»، ما يؤكد على الاعتراف بإيجابية الشتات.

٣- عدم الاكتراث بمسائل الدين اليهودي، والاتجاه صوب العلمانية، ما تمثل في زواج «مارتا» «غير متهودة»، وهي شقيقة «أندى»، من يهودي.

٤ - تأكيد الارتباط تاريخيًا بين الشتات، والوقع المعاصر لدولة إسرائيل، فالأحداث تعود إلى الحرب العالمية الثانية، حتى الوقت الحاضر.

وبالإضافة لقضية الزواج المختلط، وقضية من هو اليهودي؟ والهوية اليهودية، فجَّرت رواية «حادثة الأبله»، قضية حرمة يوم السبت، والاختلاف حول هذه الحرمة، بين جيل الآباء من الشتات، والجيل الشاب، الذي يسعى إلى الحفاظ على هذه التقاليد.

وفي هذه الفقرة من رواية «حادثة الأبله»، يبرز «ميجد»، قضية حرمة يوم

السبت:

- «سألت والدي: ماذا يوجد هناك على سطح المنزل؟

- أجاب، وهو يهز كتفه، لا شيء على الإطلاق، خال.

- ضحكت والدتي، وقالت بها فئران.

- لم أواصل الاستفسار، عرفت أنهم يريدون إخفاء الأمر عني، كما أخفوا عني من قبل عدم إيمانهم بالرب، عندما أرادت أمي أن توقد ناراً يوم السبت، فهمست لأبي بأن يأخذني خارج البيت، حتى لا أرى إشعال الموقد، تصرفت كما لو كنت غير فاهم، ولكن كتمت الأمر في داخلي. بعد ذلك بكيت، وأنا خلف الكشك الخشبي، عرفت أنهم سيلقون جزاءهم، كنت أتطلع إلى سطح المنزل المليء بالأسرار، عشرات المرات في اليوم، لا توجد فئران. كان السطح واضحاً أمام عيني، هناك خزانة سوداء، بها ملفوف، بداخلها أدوات الصلوات، ضمن مجمعات بالية[(١)].

تعد قضية حرمة يوم السبت[(٢)]، من القضايا المهمة، التي تهز كيان المجتمع الإسرائيلي، ولذلك نجد أن معظم الأدباء الإسرائيليين يتناولونها في كتاباتهم، وخاصة رموز الواقعية، وعلى رأسهم «ميجد»، حيث تناول القضية من خلال الحوار، بين جيل الآباء والأبناء، فقد اكتشف الابن الشاب، عدم التزام والديه بحرمة السبت، منذ صباه، وامتداداً، حتى شبابه، بحيث أصبح مدركاً لهذه الأمور،

(١) المصدر نفسه .

(٢) السبت: تعتبر عطلة السبت فرضًا من فرائض التوراة ، وهي من أهم الشعائر التي تميز اليهود عن غيرهم، حتى أنهم لقبوا بأصحاب السبت، ويعتبر الحفاظ على حرمة السبت من الوصايا العشر، فالوصية الرابعة تقول : اذكر يوم السبت ، ستة أياد تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمّتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك». سفر الخروج ٢٠/ ١-١٧.

وأصابه الحزن على انتهاك والديه لحرمة السبت، وأنهم سيلقون جزاءهم من قبل الرب.

وخلاصة القول: إن القضايا الدينية، مثل «قضية الزواج المختلط»، وقضية «من هو اليهودي؟»[1]، وحرمة يوم السبت، لها جذورها في الشتات، وامتدت حتى الوقت الراهن، وقد صور «ميجد» هذه القضايا في رواياته المتعددة، من خلال أبطال رواياته، ومعاناتهم من تلك القضايا، وتخبطهم داخل المجتمع الإسرائيلي.

وعلاوة على ذلك كله، فيما يتعلق بالشتات، وعلاقته بالواقع الراهن، في المجتمع الإسرائيلي، نجد أن «ميجد» قد قام برصد الواقع الثقافي للشتات، في مقابل الواقع الثقافي الراهن بإسرائيل، وذلك في رواية «فويجلمان».

■ الصراع بين ثقافة الشتات والثقافة العبرية:

يعاني المجتمع الإسرائيلي من مشكلة تعدد الأصول الحضارية، والمشارب الثقافية، واللغوية، المختلفة للسكان، لأن كل جماعة مهاجرة، تحمل معها ثقافتها، ولغتها، مما جعل التقارب والاندماج بين السكان، أمرًا صعبًا، وإشكالية تحمل المرارة على المجتمع الإسرائيلي. فقد خلقت هذه الإشكالية نوعًا من الغربة بين تلك الجماعات، ولذا بذلت جهود جبارة لتوحيد لسان الجميع على لغة واحدة، وهي

(١) من هو اليهودي: منذ أن طبق قانون العودة في أعقاب قيام الدولة، عرّف اليهودي طبقًا لهذا القانون، وتوالت محاولات مستمرة للمعسكر الديني للعودة على تعريف النص الشرعي بأن اليهودي هو المولود من أم يهودية أو الذي تهّود حسب الشريعة. تلك المحاولة أُجيزت بنجاح تام ولازالت حتى الآن الكلمة الأخيرة حسب الشريعة ناقصة من تعريف اليهودي في قانون العودة، لكن المؤكد تقريبًا أن المتدينين سيجدون اللحظة الائتلافية المناسبة لكي تولج تلك الكلمة ضمن قانون العودة، وعلى أية حال لم توجد تلك اللحظة وبعبارة أخرى فإن التعريف يجب أن يصاغ «اليهودي هو الإنسان الذي يري في قرارة نفسه أنه يهودي».

«العبرية».

ولكن على الرغم من تلك الجهود، فثمة صراعات بين لغتي «الييديش» و«العبرية»، وبين اللغة العبرية واللغات الأخرى، مما يجعل الهدف الصهيوني الرامي لصهر الجميع في بوتقة واحدة، وثقافة واحدة، أداتها العبرية، أمرًا يصعب تحقيقه، وبالتالي يظل الانتماء مفقوداً، والاغتراب مستشريًا في هذا المجتمع.

و«ميجد» في رواية «فويجلمان»، في استلهامه للواقع الاجتماعي في إسرائيل، يتعرض للصراع بين متحدثي لغة «الييديش»، القادمين من الشتات، وبين متحدثي اللغة العبرية، ونستعرض هذه الصورة من خلال حوار «تسفي أربيل»، مع ابنه عن «الشاعر الييديشي»، «فويجلمان»:

شعرت بمرارة في حلقي، وحتى نبتعد كلانا عن الموضوع السيئ، رويت لها ما قاله لي والدها «فويجلمان»، في إحدى المرات حول موضوع يدل على فكاهته المتفائلة.

قال : إن «للعبرية» وجهًا صارمًا، بينما «لييديش» ذات وجه بشوش، استشهد بمثال على ذلك ورد في «هَجاداه» الفصح، حيث كتب «بيد قوية أخرجنا الرب من مصر»، إنها فقرة كلها جدية، وصرامة، ولكن لغة «الييديش» أخذت كلمة حوزق، وتعني قوة، وجعلتها حويزق (تصغير).

وتفسيرها جعل الشخص الساذج، موضع ضحك وسخرية، ما هو صلب في العبرية، أصبح رقيقاً في الييديش.

وقال لي، أيضاً: «أنتم متحدثي العبرية فيكم صلابة شجرة السرو الصنوبرية، بينما نحن متحدثي الييديش فينا رقة البردي. وشجرة السرو هذه تكسرها الرياح القوية. ولكننا عندما نتعرض لتلك الرياح، تجعلنا ننحني، فحسب. لا تندهش،

فمع ذلك أنت ترى متحدثي اليديش، يعيشون بانحناء، ولكنهم يصمدون أكثر منكم[1].

تبرز هذه الفقرة العلاقة القوية بين العمل الأدبي الواقعي، والسيرة الذاتية للكاتب، فأهارون «ميجد» يؤكد على الدوام، بأنه ينتسب لأسرة يهودي بولندا «الشتات»، وبالتالي نجده هنا، يشيد بإيجابيات، وقوة القادمين من «الشتات»، ولغتهم، في مقابل متحدثي العبرية. ونتوقف عند بعض الكلمات الحوارية، التي أوردها «ميجد» على لسان «فويجلمان»، الذي يمثل الشتات، واليديش، وما ورد على لسان «تسفي أربيل»، ممثل الجيل المعاصر، والعبرية[2].

والكلمات تدل على وجود الحواجز بين الطرفين، مما يدل على اختلاف الانتماء بينهما.

- أنتم متحدثي العبرية.
- نحن متحدثي اليديش.
- شجرة السرو تكسرها الرياح .
- شجرة البردي تنحني.
- لكنهم متماسكون.

ضمائر الخطاب في الحوار، تشير إلى الهوة القوية بين الطرفين، مما يدل على الفرقة، والغربة، وفقدان الهدف المشترك.

ومع استمرار اللقاء بين «ابنه فيوجلمان »، و «تسفي أربيل»، تروى له محاولة

(١) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠.

تعلمها العبرية في «الشتات»، وتعرب عن عدم نجاحها في الاستمرار في التعلم، نظراً للرفض التام من داخلها للعبرية.

لمعت بعينيها دموع الضحك، وحكت لي أنها عندما كانت طفلة، وأراد والدها ـ على الرغم من كونه منتميا لجماعة البوند[1] في تلك الأيام ـ أن تتعلم العبرية، وأرسلها إلى مدرسة عبرية مسائية، ولكنها بعد أسبوعين، هربت منها، ولم ترجع إليها مرة أخرى: «كان بداخلي رفض على هذا النحو»، وضعت يدها على صدرها، لقد هيأ لي، وكأنني خائنة! عملية خيانة بالفعل»[2].

في هذه الفقرة، يؤكد «ميجد» على تمسك يهودي الشتات بلغتهم «الييديش»، فيقول : « ولكن فيسبرود لم يلمس كأسه، وتوجه إليّ، قائلاً: يوجد أدب عبري في إسرائيل، أنا أعلم، أيضًا، أتذكر قليلاً من القراءة. يوجد عندكم معاهد «دار الأديب»، ومقاهي يلتقي بها الأدباء، ولكن الذي كان في «وارسو» قبل الحرب، لا يوجد بإسرائيل، ولن يوجد، وحكي عن «تلومتسكا ١٣»، البيت الذي ضج بالحياة على مدى أكثر من عشرين عامًا، حيث كان الأدباء والصحفيون يلتقون فيه طوال اليوم، وحتى الساعات المتأخرة من الليل ».

ومن يأتي من خارج المدينة، وليس له مكان للإقامة، كان يقيم فيه، أيضًا، بشارع

(١) جماعة البوند: هي حاملو لواء التعصب ضد العبرية، وقد جرى في أعقابهم عددًا لا بأس به من أدباء العبرية، وبصفة خاصة أولئك الذين كانوا متحفظين ضد الصهيونية. وقد كان تمسك البوند بلغة الييديش طبيعيًا في حد ذاته، وأدى إلى خلق نظرية عن الييديش، باعتبارها ملازمة مخلصة للنضال من أجل تحسين حال اليهود في المنفى.

للمزيد راجع: دكتور رشاد الشامي، **تطور وخصائص اللغة العبرية القديمة والوسيطة والحديثة**، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨.

(٢) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ١١٤، ١١٥.

«نالبكي»، وعلى مدى بضع دقائق، سيرًا على الأقدام، من هناك، كانت توجد مؤسسة «مامعنط»، بشارع «حلودنة» المجاور، كانت هناك مؤسسة «هنيط» بشارع «ليشنا»، معهد الممثلين. وفي كل ساعة من الفراغ بين نوبة حراسة وأخرى، وبين مهمة وأخرى، كان الجميع يسعون إلى «تلومتسيكا ١٣»، يتناقشون، يتبادلون الآراء، يقرؤون، ويتنقلون بين دفتي الصحف، التي خرجت على التو من المطابع. كانت الصحف حارة، ثائرة، هناك بنبض قلب «الشعب اليهودي»، ولأسفل في الطابق الأرضي، كان هناك مطعم، أسعاره زهيدة، ودائمًا، ما تصدر منه ضوضاء الموسيقى الصاخبة، بمختلف الأصوات، وكانت هناك ساقيتان هما، «منيه»، و«فوليه»، وكانتا على صداقة مع الجميع».

« تعرفان كل ما يفضله كل واحد في مأكله، وما لا يفضله، تبذلان أقصى ما في وسعهما لإشباع الجوعى، كانوا كثيرين، الذين لا يملكون حتى فروتا في جيوبهم، يأخذون بالدين، ولم يحرصوا حتى على السداد».

« وكانت السيدة «جعبعر» المسؤولة عن الأمانات، تعرف قصص وحيوات كل مرتادي البيت، من تزوج ومن طلق، ومن طرده الناشر، ومن فُصل، ومن يزمُع استلام جائزة، ومن قُتل على أيدي النقاد، وكانت تنقل الأخبار من شخص لآخر، عندما تستلم المعاطف، أو عند إعادتها لأصحابها. من الساهرين من الأدباء، واستقبال الأدباء الضيوف القادمين من خارج البلاد، مهرجانات اليوبيل،ليس هناك شعب آخر، كانت له حياة أدب، وثقافة، وهكذا، متوقدة تملأها المشاعر الشعبية بكل الاهتمام، مثلما كان لنا بوارسو».

بارك «فويجلمان» أن كل ما قاله «فيسرود»، وهو يتذكر «تلومتسيكا١٣»، منذ طفولته، حيث كان والده يصطحبه إلى هناك، وكانت تلك أسرة كبيرة، لم تكن الحياة

بالبيت، لكنها كانت مع النساء والأولاد، مع الحب والبغض، مع الحبيبات والخليلات، مع الخيانة، والخصومات، و لنزاعات»[1].

تنطوي الفقرة السابقة على بانوراما واضحة للحياة الثقافية اليهودية في الشتات، وخاصة من الناحية المكانية في «وارسو»، والزمانية «قبل الحرب».

وتبرز هذه الفقرة الحياة الثقافية والأدبية في تلك الفترة، بشكل يعطيها، طابعاً قويًا، في مقابل الثقافة العبرية الحالية بدولة إسرائيل، فمع اعتراف الكاتب بازدهار الحياة الأدبية العبرية بأدبائها، ومعاهدها، ولقاءات الأدباء «بدار الأديب»[2]، في الوقت الراهن بإسرائيل، إلا أنه يضع ذلك كله في مرتبة أدنى، وأقل، مما كان في وارسو، قبل الحرب، حيث يقول: «الذي كان في وارسو قبل الحرب، لا يوجد بإسرائيل، ولن يوجد».

ويصور الكاتب الحياة الثقافية والأدبية والصحفية، في وارسو، قبل الحرب، على أنها حياة شاملة، وكاملة، وليست مجرد ثقافة نابعة من خلال مجموعة محددة من الأدباء بلغة معينة، ولكنها حياة كاملة من الترابط بين الكتاب، والفنانين، والجماهير العادية، في ملتقى دائم، هو محط أنظار الجميع هناك، في تلك الفترة، وهو «تلومتسيكا ١٣»، حيث يقول: « كان الأدباء والصحفيون يلتقون فيه طوال اليوم، وحتى ساعة متأخرة من الليل، ومن يأتي من خارج المدينة، وليس له مكان للإقامة، كان يقيم به أيضًا». وثمة حرص من الجميع للتوجه إلى ذلك المكان، حتى الذين لا يملكون وقتا كافياً، كانوا يتوجهون إليه في أوقات الفراغ الضئيلة، التي تعد بمثابة راحة، أو فاصل بين فترة عمل وأخرى، حيث كتب ميجد: « وفي كل ساعة فراغ بين نوبة حراسة وأخرى، وبين مهمة

(١) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٢.

أخرى كان الجميع يسعون إلى «تلومتسيكا١٣» يتناقشون، يتبادلون الآراء، يقرؤون يتنقلون بين دفتي الصحف، التي خرجت على التو من المطابع».

وتبرز الصورة كاملة عن الحياة في وارسو ليهود الشتات، فلم يغفل الكاتب لناحية الاقتصادية، آنذاك، وتأثيرها على الجوانب الثقافية، والأدبية، فقد أشار إلى وجود مطعم رخيص الأسعار، وعلى الرغم من ذلك، فمعظم المترددين كانوا لا يملكون ما يدفعونه مقابل تناولهم الوجبات الرخيصة، مما يدلل على حالة من الكساد والفقر، آنذاك، «كان الجوعى كثيرين، الذين لا يملكون حتى «فروتا» في جيوبهم، ويأخذون بالدين، ولم يحرصوا حتى على السداد، وكان «تلومتسيكا ١٣» بمثابة حلقة اتصال اجتماعية، وسياسية بين الجميع، من خلال الحرص الزائد على التواجد به في كل المناسبات، وقد كانت الأخبار العامة، والخاصة، تنقل الجميع من خلال اللقاءات، ومن خلال همزة الوصل، السيدة «جعْبعر»، وهي السيدة المسؤولة عن الأمانات في هذا الدار، التي اعتبرت بمثابة وكالة للأنباء بين مرتادي البيت، أو المطعم، أو الحانة، التي كانوا يجتمعون ويلتقون فيها.

وفي النهاية، يقرر الكاتب أن الحياة الثقافية والأدبية، التي كانت، آنذاك، قبل الحرب، في وارسو، لم تطاولها ثقافة أخرى. وهنا تبرز المقارنة واضحة بين تلك الثقافة، التي كانت بالشتات، وهو ما واقع بالفعل، حالياً، في إسرائيل، فمن وجهة نظر الكاتب الإسرائيلي، بأنه على الرغم من هذا الازدهار والنمو للأدب، الذي يكتب بالعبرية، فإنه لا يصل إلى المرتبة، التي كان عليها الأدب البيديشي، في وارسو، آنذاك، « ليس هناك شعب آخر كانت له أدب وثقافة على غرار ما كان ليهود الشتات ببولندا، ثقافة متوقدة تملأها المشاعر الشعبية، بكل الاهتمام، مثلما كان لنا بوارسو»، ما يعني بتفرد الثقافة، وازدهارها في «وارسو».

ولم تكن «تلومتسيك' ١٣»، المؤسسة 'لوحيدة للثقافة والأدب ليهود الشتات، في «وارسو»، ولكن كانت هناك مؤسسات أخرى تشارك في هذه الحياة الثقافية بشارع «نالبكي»، حيث ذكر ميجد أنه وعلى مدى بضع دقائق، سيرًا على الأقدام، من هناك، كانت توجد مؤسسة «ماعنط»، وبشارع «حلودنه» المجاور كانت هناك مؤسسة «هينط، بشارع «ليشنا» معهد الممثلين.

وقد حرص الكاتب أن يورد هذه الأسماء كما هي بلغة اليديش، وكما هي في الواقع، خلال تلك الفترة التاريخية من حياة يهود الشتات، وهذا يؤكد النهج الواقعي «لميجد»، حيث يلتزم بالزمان، والمكان، وتفاعله مع البيئة المحيطة له، حيث تبدو الملامح الشخصية للكاتب، وسيرته الذاتية، واضحة بشكل كبير من حيث انتماء «ميجد» ليهود وفترة الشتات، وتحديدًا، في بولندا.

■ تاريخ الشتات اليهودي:

يعرض «ميجد» في رواية «فويجلمان»، الصعاب التي تعترض طريق الباحث في الماضي والتاريخ اليهوديين في الشتات، حيث تصدمه الحقائق عندما يبحث فيما حدث من أعمال قتل، وإبادة لليهود، آنذاك، وفي المقابل، كانت هناك سلبية من جانب اليهود، أدت بهم إلى هذا المصير، الذي يثير فزع الباحث في هذا التاريخ، وجاء على لسان «تسفى أربيل»، حول هذا المعنى، قوله:

«الأمر الذي يجعل الباحث في التاريخ اليهودي في الشتات، يائسًا جداً، هو الفجوة النادرة، التي تقارب العدم، خاصة الخيار بين الأمور، وبتعبير آخر: المسائل التي يستعرضها أمامه من نوع: ماذا كان يحدث هناك؟ وليست لهم إجابات أخرى سوى التي تعرض له الواقع»[1].

(١) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣.

إذا كان «تسفى أربيل»، وهو أستاذ للتاريخ اليهودي، ومن الباحثين الذين يصدرون، وينشرون كتبًا وأبحاثًا حول هذا التاريخ اليهودي، معنيًا بتاريخ الشتات، ولغته «اليديش»، حيث ساعد «فويجلمان»، شاعر اليديش، في ترجمة أشعاره للعبرية، وقد كلفه هذا الغالي والنفيس، من تدمير لأسرته، وانتحار زوجته. لكنه في الوقت نفسه، يعتز بمهنته، ويستمر فيها، ويحاول إقناع ابنه «يوآب»، بأن يهتم بالتاريخ، وأن يمتهن التاريخ اليهودي، أيضًا، إلا أنه يستشعر اليأس عند البحث في تاريخ الشتات، فهو يبحث عن إيجابيات، وفضائل اليهود، لتكون بمثابة الفخر والاعتزاز، ولكنه يصطدم بالسلبيات، على الدوام.

وفي موضع آخر من الرواية، يقول:

«الحكمة المأثورة التي قالها «سنتيانه»: من ينسى الماضي محكوم عليه أن يعيشه مرة أخرى، ومن غير الممكن تطبيق ذلك على التاريخ اليهودي، لكن هنا، أيضًا، من يذكر الماضي محكوم عليه أن يعيشه مرة أخرى». يختلف تاريخ اليهود في الشتات من حيث دراسته، وعرضه من جديد على الأجيال المعاصرة، حول دراسة أي تاريخ آخر، ففي الوقت الذي ينظر فيه باحث التاريخ إلى أهمية الشتات اليهودي، فإن أحداث الإبادة تدين مجموعات اليهود، وتصرفهم حيال ذلك، كما تدين الذين نفذوا هذه المذابح ضدهم، وبالتالي، يأتي استرجاع هذه الأحداث مصحوبا بالآلام، والأحزان، التي تفرض عليهم أن يعيشوا تلك الأحداث المؤسفة من جديد، ومن ثم، كان الشتات من هذه الناحية التاريخية، مثارًا للأحزان واليأس[1].

وفي موضع آخر من رواية فويج

لمان يتحاور «أروينج»، مع «تسفى أربيل»، حول التاريخ، والانتماء اليهودي،

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠.

والقومية اليهودية، والانتماء لها على لإطلاق، حيث يروى «ميحد» على لسان أستاذ التاريخ اليهودي، من خلال توجه «أروينج»، بحديثه إليه، حيث دار هذا الحوار بينهما:

«حكى لي والدي بأنك تدرس التاريخ اليهودي، وأهتم بتلك الفترات التي تهمني، وهذه الموضوعات، ما هي طريقة البحث عندي؟

والجوابي «أربيل»، وجدت أذنًا صاغية، وحرك رأسه في أعقاب كل فقرة كموافق.

عندما أنهيت حديثي، احتضن أكتافه بذراعيه الطويلتين، كمن يخشى نزلة برد، وقال: من أجلي، ومن أجل الحقيقة، كل هذا لا يقال، كثيراً.

« من الصعب عليّ القول بأني أشعر في قرارة نفسي بأني يهودي، علاوة على الأصل، كما هو واضح، أمر لا يتعلق بي، وعندما التزمت الصمت، رأى إنه من الواجب أن يوضح النزعة القومية، وكأنها مستوحاة بشعور مشترك ». فهو يشعر بتعاون كبير – روحاني، وحتى لو نفسي – مع أستاذ ياباني، إذ إن نظرته الفلسفية قريبة لما عنده، ولا يشعر بمشاركة ما على الإطلاق، مع صاحب متجر يهودي من «فلعصيل»، بباريس.

وهناك نموج متطرف جدًا بينه، وبين دكتور ألماني شاب، انطوائي، رقيق النفس، إذ إنه يكثر من لقائه، حيث تعرف عليه في أكسفورد، اندلعت حرب نفسية كبيرة جدًا بينه، وبين أخته «مئورليان»، حيث لا توجد لغة مشتركة بينهما»[1].

تمتزج الفقرة السابقة في مضمونها بالسخرية اللاذعة، التي تعرض واقع فكر

(١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الشباب اليهودي في الشتات، حيث تربى على ثقافة الغرب، وفكره، وبالتالي امتلك فلسفة تعبر عن القومية بأنها الشعور المشترك، والنظرة الفلسفية المشتركة، ومن هنا، يجد نفسه مشاركاً بنزعته مع أستاذ ياباني، ويرفض، تمامًا، أن يكون يهوديًا، ويأتي الرفض، قاطعاً، والتدليل بأسلوب ساخر ولاذع، حيث يقرر عدم ارتباطه بأي شخص، لكونه يهودياً، دون أية رابطة مشتركة ويريد أن يقول: ما الذي يجعله يرتبط بصاحب متجر بباريس لكونه يهودياً؟

ويقرر بأنه لا يشعر في داخله بأنه يهودي، على الرغم مما أفرده أمامه والده «فويجلمان»، «شاعر البيديش» من تاريخ الشتات، وتاريخ اليهود، والفترات المهمة التي يقوم ببحثها «أربيل».

ويذهب الكاتب بتعبيره عن حالة هذا الشاب إلى أقصى ما يمكن من رفض لليهودية، والانتساب إليها، وذلك للعلاقة بينه وبين شاب ألماني، وقد وصف الكاتب هذه العلاقة بأنها نموذج للتطرف، ولكن هذه العلاقة تأتي متوائمة مع فكره، وفلسفته، ورفضه لليهودية.

وفي إحدى اللقاءات الصحفية مع «ميجد»، والتي تمت على صفحات مجلة «معاريف» الأسبوعية، مع نجله الصحفي «أيال»، يقول: « إن مجهود الناجين من [الشتات]، للأخذ بأسلوب الحياة، هنا [إسرائيل]، هو بمثابة مجهود ميؤوس منه، إنك تشاهدهم حولنا، وفي كل مكان ترتاده، تجد بهم جرحًا، جرحًا صارخًا، وعندما انتهيت من كتابة رواية فويجلمان، قلت لنفسي : هذا هو المطلوب، قلت : إن هذا يعنيني، تلك هي وصيتي. هذا هو الذي أرغب في بقائه، توجد في هذه الرواية رواسب عاطفية وعميقة جداً عن ارتباطي بالشعب اليهودي، لأنه هو الارتباط المهم جداً بالنسبة لي، فهو نابع من الإيمان بأننا جميعًا كيهود، لنا علامات مميزة

فرضت علينا «اتفاقا»، إن لم يكن العالم المسيحي، وملايين المسلمين، فمن هذه الناحية، لا يوجد أي تناسق بين العدل اليهودي، والعدل العربي»[١].

وبناء على هذه الصورة، التي رسمها «ميجد» لمعاناة الناجين من الشتات، فإنه يقدم رؤية أدبية جديدة، تمثل الحل لهذه القضية من جذورها الأولى. حيث يلجأ إلى الأدوات الفنية للأسلوب الواقعي، في المزج بين الخيال والواقع، وذلك باسترجاع عجلة التاريخ، والعودة إلى الزمن الحقيقي للأحداث، والتعامل مع الواقع، الذي كان سائداً، آنذاك، حول أحداث النازية، والعمل على وقف إبادة اليهود هناك.

وهنا نجد أن «ميجد» ملتزماً في رؤيته الأدبية بأركان الواقعية المتمثلة في الخيال، وهو الحل بالاتفاق مع «هتلر»، حتى يتوقف عن إبادة اليهود، وبالواقع المتمثل في الأماكن، والأزمنة الحقيقية لتلك الأحداث، ويتم المزج بين الخيال والواقع في رواية له لم تر النور بعد، وعنها، يقول: «إنه من الواجب عمل كل شيء لمنع خروج الاتفاق لحيز التنفيذ، ولو عن طريق الحل الوسط ».

- اتفاق مع المافيا؟
- لمنع الإبادة، اتفق حتى مع الشيطان.
- من المهم أن تقول هذا.

- الرواية التي أكتبها، الآن، هي بالتحديد عن هذا الموضوع، حول محاولة للوصول إلى عمق متوازن مع «هتلر»، من أجل الإبقاء على حياة اليهود، وذلك بإعادة عجلة التاريخ للوراء»[٢].

(١) الشامي، الشخصية اليهودية...، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) جرتس نوريت، (الجامعة المفتوحة لدراسة التاريخ وثقافته-الطائفة الكنعانية بين الأيدولوجيا والأدب)، تل أبيب، ١٩٨٣، ص ٣٨٩.

وفي الوقت الذي يقدم فيه «ميجد» حلا لمنع إبادة اليهود، من خلال رؤية أدبية، تتمثل في التفاهم والتوافق مع هتلر، من خلال استرجاع عجلة التاريخ، نرى أن هذه الرؤية تختفي عند الأدباء الآخرين. فعلى سبيل المثال، في رواية «حب متأخر»، «لعاموس عوز»، نجد أن الحل عدواني، وانتقامي. ولكنها رؤية أدبية تعبر عن جانب من جوانب الفكر الصهيوني، الرامي لتوسيع مصالح إسرائيل، في الدول المجاورة، وحتى أوربا.

«وقد عبر الأديب الإسرائيلي «عاموس عوز»، في روايته «حب متأخر»، عن نبوءة أدبية، تعكس الرغبة في الانتقام ممن اضطهدوا اليهود في أوروبا، «الروس والنازيين»، على حد سواء. إنه يرى بعينيه كيف يقتحم الجيش الإسرائيلي أرجاء أوروبا لينتقم للدم المسفوك، «بغضب عارم اندفعت، فجأة، طوابير المدرعات العبرية على طول الغابات البولونية المظلمة، وكل من اعترض طريقها كانوا يرشقونه بدفعات النيران، وطوابير نازية طويلة، وخطوط خنادق، وحصون كئيبة، وتحركت عاصفة الخراب في أرجاء بولونيا، دون أن تستطيع قوة في العالم أن توقفها، أي غضب يهودي يجتاح أرض السلافيين، ويكنس الحقول والغابات ويجرف، ويتقدم للأمام... ، وبغضب جارف أحرقوا كل الكتائب المشاغبة في الطريق، بولونيا، ولتوانيا، وأوكرانيا، وفي عدو لاهث، دون توقف، ودون النظر إلى ما يدمر، وإلى ما يحرق إلى الشرق، ورأيت «موشيه ديان»، وهو يرتدي ملابس القتال المعفرة على جسده، يقف هادئًا، ومنتصبًا، صامتًا، ومخيفًا، وهو يتلقى في هدوء متجهم وثيقة الاستسلام من الجنرال «جويرناتور»، قائد «كيشنيف»».

وعلى الرغم من توظيف الخيال في الرؤية الأدبية، التي عرضها «ميجد»، وكذلك عند «عاموس عوز»، فإن الصورة التي رسمها «ميجد» أكثر واقعية لتناسقها مع

الواقع الحالي للناجين من الشتات، ومعاناتهم داخل إسرائيل. وبالتالي فإن هذه الرؤية تقدم الحل الموضوعي لبقائهم في الشتات، وتمتعهم بحياة هادئة، بعيداً عن تعرضهم للإبادة، وتدهور الأوضاع الأمنية، وبالتالي وقف هجرتهم لإسرائيل، حيث المعاناة، التي أشار إليها «ميجد»، في معرض حديث عن حياتهم بإسرائيل.

ومع ارتفاع صوت المنادين بالدفاع عن «الشتات»، وثقافته، ولغته في المجتمع الإسرائيلي، نجد أن الطرف الثاني المناصر للكنعانية، وثقافتها، ولغتها، والرافض للشتات، يجابه ذلك التيار « فقد رفعت جماعة » بمأفق « والجماعة الكنعانية» راية عدم الاعتراف بما يسمى بالمصطلح انصهيوني «المنفى»، وبثقافته، والإعلان عن أن الثقافة العبرية الجديدة تنبع من فلسطين، من الشباب الذي تربى عليها، ومن خلال الارتباط بثقافة لها ماضيها، ولكن كان الاختلاف بين الجماعتين حول تعريف الأمة العبرية، وثقافتها. اعترفت جماعة « بمأفق » بتاريخ جميع الشعوب، التي سيطرت على المنطقة، كجزء من التاريخ العبري، ولكن الكنعانيين رأوا في الثقافة الكنعانية القديمة فحسب، الثقافة الحقيقية للأمة العبرية. كانت الاعترافات التاريخية المختلفة المرتبطة ببعضها، بمثابة اعترافات بهويات مختلفة، مما يخالف موقف الجماعة الكنعانية، حيث رأت جماعة بمأفق إمكانية خلط سياسي «فيدرابي» جماعي، وثقافي للأمم السامية».

وعلى الرغم من تبلور اتجاه الحركة الكنعانية، وخاصة بين صفوف الشباب الرافض للفكر الجالوتي، فإن الفكر الكنعاني قد أصيب في الصميم، من جراء تزايد عدد المهاجرين، والقادمين من الشتات، وخاصة في أعقاب أحداث النازية «فقد أدت أحداث النازية، والهجرة الكبيرة للبلاد، إلى تقوية، وانتشار الاتجاه التقليدي، واللقاء مع الناجين من أحداث النازية، حيث أُلزم الصبّار بأن يفحص من جديد

هويته، وعلاقته باليهودي المضطهد، فاعتباره كعبري كان من الواجب عليه أن يكون على العكس منه، تماماً، واللقاء مع يهودي أوربا، شد من أزر جيل الآباء والأبناء، كإحساس بالاتهام تجاه الماضي اليهودي، الذي أهمل، وسلب، وبهذا أسدل الستار على الفكر الكنعاني»[1].

ولا يزال المنادون بتمجيد الشتات، ولغته يبذلون قصارى جهدهم، وعلى رأسهم من الأدباء «أهارون ميجد»، لإحياء «اليديش»، لتأخذ مكانها كلغة أم للثقافة اليهودية.

◆◆◆

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣٩.

الفصل الثالث

الاغتراب الوجودي للشخصية الإسرائيلية

كسمة للواقعية في روايات ميجد

عندما تثار قضية «الاغتراب»، وتنسب لمجتمع ما، أو فئة ما من البشر، ربما يُرد على ذلك بأن «الاغتراب» قضية لها جذورها، ولها أصولها منذ القدم. فوجودها مرهون بوجود الإنسان على سطح الأرض، ملازمة له في صراعه مع الحياة، في خلق مجتمعات، وتكوينات إنسانية، لها مشاكلها البشرية، وعلاقاتها الإنسانية، التي تفرز فيها تفرز من سلوكيات معينة من بينها العربة، والاغتراب.

وإذا كانت ظاهرة الاغتراب قد أصبحت ظاهرة عالمية تعم الشعوب، والمجتمعات، والأفراد، فإن الاغتراب لضارب بجذوره في المجتمع الإسرائيلي، ليس مجرد حالة عادية، على غرار جميع المجتمعات الأخرى. ومن خلال دراستنا للإنتاج الأدبي الواقعي للملامح الواقعية في أدب «أهارون ميجد»، نكتشف أنه من الأدباء الذين نموا في أعماق المجتمع الإسرائيلي، وواقعه المعاصر، وركز على تصوير شرائح اجتماعية مختلفة، من شتى مستويات، وطبقات هذا المجتمع مبرزاً التناقضات الإنسانية، والاجتماعية، والطبقية، والفوارق الثقافية، والدينية، التي تميز واقع هذا المجتمع.

إن هناك تناقضًا بين أعضاء «الكيبوتس»، والآخرين، وبين الثقافة الغربية الإشنكازية، وبين الثقافة السفارادية واليهودية، وبين الماضي والحاضر، وبين العبرية واليديشية، وبين المتدينين، والعلمانيين، وبين القوى السياسية المختلفة... إلخ. من

خلال ذلك يمكننا القول، بأن مجمل هذه التناقضات، خلقت اغترابًا واضحاً في سلوك، ومواقف أبناء هذا المجتمع، يختلف في ماهيته، وأسبابه، ومسبباته، فهو من نوع الانفصال التام عن الجذور، والأرض، نتيجة الشعور بعدم الانتماء.

إننا نجد أن «اليهودي الشرقي يقول لليهودي الغربي: يا إلهي... إنك بالتأكيد تحب العرب أكثر مما تحبني، ويقول اليهودي المتدين للصهيوني العلماني، إن ثقافتك كلها مستوردة، وأنت تابع للغرب، وآخر ما يهمك هو أرض إسرائيل. ويقول اليهودي الغربي لليهودي في الدياسبورا «الشتات»، أتمنى أن تتعرض لمذبحة كبيرة، وأن تحاكم، وأن تطارد، وعندئذ، لن يكون أمامك إلا العودة لأرض إسرائيل، لأنك لا تملك خيارًا آخر. وهل أنت مجنون، هل تصدق أن العرب يريدون بناء دولة في يهودا والسامرة؟ إنهم يريدون أن يأكلونا أحياء! هذه شهادات يهودية عن مجتمع يقول عنه التاريخ: إنه نال بطولة الأمم في التدمير الذاتي... متى عجز عن تدمير الآخرين»[(١)] .

وحتى نقف على الاغتراب وماهيته في المجتمع الإسرائيلي، من خلال الإنتاج الروائي «لأهارون ميجد»، لابد لنا من وقفة للتعرف على أنواعه، وتعريفاته، بشكل عام.

■ تعريف الاغتراب: Alienation

يستخدم مصطلح «الاغتراب» بمعنى الغربة بين البشر، بمعنى التسبب في فتور علاقة ودية مع شخص آخر، أو حدوث انفصال، أو جعل شخص ما مكروهًا. ويشرح قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية(١٨٨٨)، فعْلي، يغرُب، ويغترب، بأنهما

(١) رافع شوقي، شهادات إسرائيلية – مجتمع يضج بالعنصرية والعنف، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، نوفمبر ١٩٩٣، ص ٥٥.

يعنيان التحويل إلى ما هو غريب، أو مفارق، أو التحول في المشعر، أو العواطف، أو جعل شخص ما، كارهاً، أو معادي[1].

أما في اللغة العربية فالمعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي واحد، الغربة والاغتراب كلها في اللغة بمعنى واحد، هو الذهاب والتنحي عن الناس، والكلمة العبرية «الغربة»، تستخدم استخداماً دينياً، واجتماعياً، وعاطفياً.

ويعرف الاغتراب بأنه فقدان الإحساس بالنفس، وأعراضه الشخصية تنحصر في القلق، فالشخص الذي يشعر بالاغتراب يعتبر نفسه سيئا، وأن الآخرين أسوأ منه، ويعاني من آلام عصابية، حسب درجة اغترابه، فالاغتراب يولد القلق، والشعور بالذنب، لإحساس الشخص بأنه مختلف عن الآخرين، وأنه لا يستطيع أن يتكيف معهم بدرجة ملائمة، بالإضافة إلى ابتعاده عن ضميره، فضمير الشخص الذي يشعر بالاغتراب يشعره بأنه يفقد قوته، كما يولد الاغتراب شعوراً بعدم السعادة[2].

والشخص المغترب هو غريب، ومعزول، وليس لديه تاريخ، كما أنه يرى المستقبل على أنه شيء غير محدد، ومليء بالاحتمالات المختلفة، لذا يمكن القول بأن الشخص الذي يغترب عن نفسه، كأنه يحطم نفسه، فهو لابد أن يعيد تذكر تاريخه، وتخزينه من جديد[3].

ويرى «فروم» أن الإنسان الذي تقطعت روابطه بالعالم الخارجي، ومع الطبيعة،

(١) شاخت ريتشارد، الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠، ص٦١.

(٢) د. أحمد سعد محمد جلال، الغربة والاغتراب، دراسة في تشويه الشخصية المصرية في ظل الهجرة إلى بلدان النفط العربية (رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٩٣، ص ١٨٨.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

يتحول إلى إنسان مغترب، خاصة إذا أصبح الإنسان المستهلك لا المنتج، وليست لطبقة العاملة وحدها هي التي تغترب، بل كل إنسان»[1].

ويتحدث «هيجل» عن الاغتراب، على أنه علاقة انفصال، أو تنافر، كتلك التي قد تنشأ بين الفرد، والبيئة الاجتماعية، أو كاغتراب للذات، ينشأ بين الوضع الفعلي لمرء، وبين طبيعته الجوهرية.

والاغتراب عند «ماركس»، هو ظاهرة اجتماعية تظهر من سياق العلاقات لاجتماعية في النسق الاجتماعي، وتكمن في العمل المغترب، هذا الاغتراب يترتب عليه اغتراب الفرد عن ذاته الإنسانية، وعن أقرانه، وزملائه في العمل، وعن الناس صفة عامة، إذن فالعمل المغترب هو الأرضية المشتركة لكل أشكال الاغتراب لأخرى الاجتماعية، والسياسية، والأيديولوجية[2].

■ الاغتراب الوجودي:

كانت نظرة «الوجوديين» إلى الاغتراب على أنه ضرب من ضروب الوجود لزائف، الذي يسقط فيه الإنسان سقوطاً يفقد معه حريته، وإنسانيته، وجوهر وجوده. ومن هنا، كانت الحرية عند الوجوديين مرتبطة بالاغتراب، ارتباطاً وثيقاً. فهي لا تكون، ولا تكشف عن معدنها الحقيقي، إلا من خلال عملية قهر الاغتراب لمستمرة[3].

---

(١) عبد المنعم مجاهد، الاغتراب في الفلسفة المعاصرة، سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٥، ص٦٢.

(٢) نبيل رمزي إسكندر، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ١٨٥.

(٣) د. أحمد خيري، سيكولوجية الاغتراب لدى طلبة الجامعة، دراسة ميدانية، رسالة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٩.

ويرى «بارسونز» أنه توجد في كل المجتمعات قيم متناقضة، وصراعات ثقافية، خصوصاً، تلك المجتمعات، التي ينطوي تركيبها السكاني على تباين ثقافي بين جماعات دينيه وسلالية مختلفة، وتلك التي ينطوي بناؤها الاجتماعي على تمايز طبقي، يتميز بفوضى، واضطراب معياري»[1].

وعندما يشعر الإنسان بأن دوره في المجتمع لا يشكل قيمة، أو أن ما يقوم به من عمل، أو مساهمة لا يشكل أهمية، أو له قيمة تحسب له، فإنه في هذه الحالة يشعر بالغربة، والاغتراب عن هذا العمل، والعاملين معه، وقد يؤدي ذلك إلى حالة من الهرب، أو الانسحاب من موقعه، وتقل عنده غريزة الانتماء، حتى أنه يتمنى من داخله لو دُمر مكان عمله، وكل ما حوله. فعندما ينعدم الباعث لدى الإنسان، يشعر بتلك الحالة من الاغتراب، التي يكون الإحباط، والاكتئاب من المظاهر الدالة على ذلك.

وسوف نتعرض لظاهرة الاغتراب لدى الشخصية الإسرائيلية، كسمة من السمات الواقعية في روايات «ميجد»، من خلال المحاور التالية:

١- الإحساس بعدم الأمان في إسرائيل.

٢- رفض التاريخ اليهودي.

أولاً: الإحساس بعدم الأمان في إسرائيل:

إذا كانت العزلة تُعد مظهراً من مظاهر الاغتراب، فإن اليهود مغتربون بطبيعتهم، وبخيارهم، منذ القدم، حيث يعتبرون أنفسهم، جنساً متمايزاً، ومختلفاً عن بقية مخلوقات الدنيا، بناء على فكرة نقاء الجنس اليهودي، وأنهم شعب الله المختار.

(١) إسكندر، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨.

وعلى هذا الأساس، فقد انعزل اليهود بيهوديتهم على مسار التاريخ، وحتى يومنا هذا، حيث امتدت عزلتهم في إقامتهم بين الشعوب المختلفة، في تجمعات خاصة بهم، متمثلة في «الجيتو»، وفي مناطق الاستيطان، إلى الإقامة في الجيتو الكبير، والمتمثل في دولة إسرائيل.

وقبل أن نتعرض للنماذج الأدبية في روايات «أهارون ميجد»، والتي تعبر عن الاغتراب بالمجتمع الإسرائيلي، نتوقف معه شخصياً، لكونه مغترباً على مدى مشوار حياته: حيث يقول : «في الحقيقة كنت أشعر في المدرسة، وبين الطلاب في المدرسة الثانوية [الجمينزيا]، وفي حركة الشباب، وفي [الكيبوتس]، بأني وحيد، قمت بما أمكنني عمله على أحسن ما يمكن، قدر استطاعتي، شغلت وظائف أكسبتني احترام الجميع، ولكن لم أكن، أبداً، واحدًا من جماعة، ووقفت في الداخل، ورصدت من الخارج[(١)].

وعدم حقيقة انتمائه لإسرائيل، وارتباطه «بالشتات»، على الرغم من وصوله إلى فلسطين، وهو في سن الطفولة «الخامسة والنصف من عمره». يقول: «أولاً، وقبل كل شيء، أنا لست شخصياً من مواليد إسرائيل، ولفترة قريبة، كنت مصنفاً بالطبع ضمن الأشخاص القادمين من الشتات»[(٢)].

ويحدد «ميجد» انتماءه الشخصي، والحقيقي، بعيداً، عن إسرائيل، التي يشعر بالاغتراب فيها، ويضع نفسه مع يهودي الشتات، وبالتحديد بين يهود بولندا وروسيا يقول: «لقد كنت أشعر، دائماً، بأني جزء من أسرة كبيرة، هي يهود بولندا

(1) EDEN.VIVIAN: AHARON. MEGGED 1920. CONTEM PORARY. AUTHOLS. OP. CIIP/24.

(٢) يعقوب، سيحوت هشافواع ، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

وروسيا. كانت الصهيونية قائمة على رفض كل شيء بالشتات»[١].

وقد أضفت شخصية «ميجد»، كأديب مغترب، بظلالها على شخصياته في العديد من رواياته، مما جعل شخصيات رواياته، تأخذ طابع الاغتراب، والانفصال عن الجماعة والمجتمع. وحول ذلك، يقول ميجد: « تأصلت حياتي بهذا الشكل في سماتي، وشخصياتي، فقد أصبح كل الأبطال في قصصي، ورواياتي الأبطال مضادين لهم صفات خارجة عن المجتمع، وكان الشكل السائد هو الساخر، أو الهجائي. تلك الحالة كانت في أولى رواياتي «حدفا وأنا»، وهي رواية هجائية تدور أحداثها حول زوجين يتركان «نصيب الأبله»، ورواية «الحي على حساب الميت»، فقد كانت السمات الأساسية لتلك الروايات، تشكل جانباً من سلبيات المسعى، نتيجة لتحويلات نشطة حدثت في المجتمع الإسرائيلي، وكانت تلك عبارة عن تغيرات وتحولات في مجتمع طلائعي فكري، يتشكل في إطار دولة، تشمل عناصر نجاحات، وإنجازات، وقوة عالية»[٢].

وفي رواية «هاينز، وابنه، والروح الشريرة»، نجد أن البطل عبارة عن مهاجر من ألمانيا، منعزل عن المجتمع الإسرائيلي، «مغترب»، يحارب حرباً ضروسًا ضد البيروقراطية. وفي رواية «الحياة قصيرة»، نجد البطل عبارة عن شخص متواضع، ورقيق القلب، يعمل وكيل تأمين، ويعيش أوقاتاً صعبة مع طموحات زوجته، ويفتقد الألفة الأسرية، ويعتريه الاغتراب. وكذلك فإن بطل رواية «نصيب الأبله»، يصارع الجميع، ويحارب ضد رؤسائه، وقادته، فهو لا يرغب في قتل الأسرى العرب العزل، ويجد نفسه معزولاً عن الجميع، يدافع وحده عن مبادئه العادلة،

(١) ميجد، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

(2) EDEN.VIVIAN: AHARON. MEGGED 1920. OP. CII. P/S4.

ويعيش في عزلة، وغربة، بعيداً، عن الجماعة. وبطل رواية «عسائيل»، هو نشأ نشأة ريفية في «الموشافاه»، ولم يتمكن من التأقلم مع حياة المدينة، لشعوره بأنه غريب عن هذا المجتمع الحضاري.

وعن الاغتراب في واحدة من أحدث روايات «ميجد»، وهي رواية «أشواق إلى أوجا»، يقول:

« في رواية [نصيب الأبله]، البطل فيها شخص أبله في نظر المجتمع، لأنه غير مؤهل للاندماج فيه، ويشعر في قرارة نفسه، أنه لا ينتمي إليه. إنه يبدو، وكأنه «ألبرت جيروت»، في الرواية الجديدة، وهما ليسا متشابهين، ولكن يوجد بينهما عدد من الصفات المشتركة، أنهما منبوذان، ووجودهما قائم خارج الجماعة. لا يندمجان فيها، ويشعران في قرارة نفسيهما، إلى حد ما أنهما غرباء عنها. ولكن على الرغم من هذا، فهما يحاولان التغيير، سواء تغيير حياتهما، أو تغيير الجماعة، وهما في الواقع لا ينجحان»(١).

وعلى الرغم من الجهود الجبارة، التي تبذلها الصهيونية خارج إسرائيل، بكل وسائلها، وأدواتها الإعلامية، في تصوير دولة إسرائيل، كحصن أمان، وملاذ لكل اليهود، في شتى أنحاء العالم، فإن الواقع يعكس صورة تخالف ذلك، تماماً، فشعور الاغتراب، والإحساس بعدم الأمان، يسيطر عليهم، وحتى هم داخل إسرائيل، وفي قلب تل أبيب، كما صور ذلك «ميجد» من خلال الحوار بين اثنين من يهودي الشتات، أحدهما «فويجلمان»، بطل رواية «فويجلمان»، وهو يحاور ضيفه اليهودي «يوسله»، محاولاً إقناعه بالأمان، لكونه سيكون بين اليهود، ولكن شعور الاغتراب يسيطر على الجميع، في نهاية الأمر:

(١) يعقوب، سيحوت هشافواع، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

- «رفع «يوسله هفط» كأسه لتحيتي، وارتشف رشفة صغيرة، ومسح فمه بظهر يده، وقال: أنا لم أعش في إسرائيل، إنني خائف، وأنا أفكر على النحو التالي: سآتي إلى تل أبيب، وأتمشى في شوارعها، وسأشعر وكأنني غريب، تماماً، كما هو شعوري بأنني غريب في لندن، وفي ستوكهولم، - هذا حسن بالذات، وربما كان ميزه! أنك تقول لنفسك: كل هؤلاء الذين من حولي، لا شيء جديد على الإطلاق بالنسبة لهم – وأنا يا يوسله، أرى ما لا يرونه! أتجول مثل أوزة بين ذكور البط! ولكن في إسرائيل، أنا غريب فيها ؟ »

ـ لن تشعر بأنك غريب في إسرائيل! وعده فويجلمان، «صدقني» – إنهم جميعاً مختونون»[1].

توضح هذه الفقرة بجلاء مشاعر الخوف، والقلق، والغربة عند اليهودي، كحتمية لتلك المشاعر، سواء في الشتت، كما عبر عنه في الفقرة «لندن– ستوكهولم»، أو في تل أبيب، وهي قلب دولة إسرائيل، على الرغم من أن جميع ما يحيطون به هم من اليهود المختونين. وهكذا نرى أن مشاعر الغربة، والإحساس بعدم الأمان، متأصلة داخل بؤرة الشعور لدى اليهودي، سواء في الشتات، أو كونه متواجدًا في قلب كيان خاص به، وهو دولة إسرائيل، وهو غاية الأمل لكل يهودي، فاليهودي «كلما وصل إلى مرحلة عليا من تحقيق الآمال العظيمة، تحل به مشاعر القلق على مصيره، بعد كل هذا الإنجاز خوفًا من أن يصبح مرة أخرى في مهب الريح، بالنسبة لإمكانية استمرار وجوده، في هذه البلاد، أو لإمكانية الحفاظ على ما حققه من ثروة، أو مكانة أدبية، أو علمية»[2].

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

(٢) د. رشاد الشامي، الشخصية اليهودية في أدب إحسان عبد القدوس، كتاب الهلال، (العدد ٤٩٦) دار الهلال، القاهرة، إبريل ١٩٩٢، ص ٢٥٩.

وفي هذه الفقرة، يبرز الكاتب تلك المشاعر الدفينة المعبرة عن اغتراب اليهودي في إسرائيل وذلك من خلال هذا الحوار المستمر بين «فويجلمان»، ويوسله:

أنت أيضاً تعتقد هذا؟ إنني لن أشعر بأنني غريب؟ ابتسم لي.

«لقد قلت : إن إسرائيل هي البلد الوحيد في العالم، التي إذا سار اليهودي في شوارعها، فإنه يشعر في قرارة نفسه بالغربة. إنه يعرف أن ذلك ليس بسبب الطريقة التي ينظر بها الآخرون إليه، ولكن بسبب الطريقة التي يرى بها هو نفسه»[1].

تفرز الفقرة السابقة مشاعر الاغتراب الحقيقية لدى يهودي الشتات، مع إقامتهم في إسرائيل، على وجه الخصوص. إن عبارة «إسرائيل هل البلد الوحيدة في العالم»، توضح أنه بإمكان اليهودي أن يشير إلى جذوره في أي بلد من العالم، حيث مولده، وإقامته، وموطن أجداده، ويشير إلى ذلك بكل أمان، واطمئنان، ولكن بالنسبة لإسرائيل، فإنه لا يملك التصريح بوجود جذور حقيقية فيها.

وهنا تبرز ملامح شخصية الكاتب «أهارون ميجد»، الذي يتجه، دائماً، صوب الشتات بإيجابية، في مقابل عرض سلبيات التواجد في إسرائيل.

ولقد كان لإحساس اليهودي بما هو في نفسه، وفي داخله، وما يمكن أن يميز توجهاته تجاه الآخرين، أثر كبير إلى إمكانية انصهاره في مجتمعات الشتات، وأيضًا، توجهه، وخوفه داخل إسرائيل، أيضًا، «فإن خوف اليهودي من الانصهار، أصبح بمثابة خوف من الذات اليهودية، التي في داخله، والتي قد تثير مشاعر العداء في نفوس الآخرين تجاهه، ورعبًا من الآخرين، لعلهم يراجعون أنفسهم تجاه اليهود، في ظل تجربة تاريخية جديدة. وعند هذه النقطة نجد أن اليهودي يلجأ بفعل غريزي

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص١١٦.

بحت، حماية لنفسه، ودرءاً لاستثارة المشاعر التقليدية للعداء لليهود من قبل الآخرين، وهذا الموقف يمكن اعتباره بمثابة موقف انصهاري كامل، من جانب اليهودي، ينطوي على رفض اليهودي لذاته اليهودية»[1].

وتؤكد الفقرات التالية على فقدان الأمن، والأمان بدولة إسرائيل، والإحساس الدائم بالخوف، والغربة، والافتقار لمشاعر الطمأنينة. وذلك من خلال الحوار بين «فويجلمان»، بطل رواية «فويجلمان»، و «تسفى أربيل»، أستاذ التاريخ اليهودي بجامعة تل أبيب:

قال «فويجلمان» : «كيف يعيش شعب دولتنا (إسرائيل) يا تسفي؟ تعجبت منه، وهو بعد أن عجب للحظة متواصلة، وفي يده كأس صغير، أداره بأصابعه على سطح المائدة، وجه نظرته إليّ، وقال:

ماذا يوجد هنا «إسرائيل»[2]؟

في هذه الفقرة يبرز الكاتب حدة الحوار بين «فويجلمان»، الذي يمثل «الشتات»، في مقابل «تسفى أربيل»، الذي يمثل جيل الدولة، وواقعها، وهنا يريد الكاتب أن يرسم لنا صورة الخوف، وعدم الرضا عن الأوضاع الأمنية، والمعيشية داخل إسرائيل، ويبرز ذلك واضحاً من حدة الحوار «ماذا يوجد هنا؟»، على الرغم من ورود كلمة «دولتنا» في البداية، ولكنها على ما يبدو جاءت على سبيل النقد الساخر، وذلك يبدو واضحاً في الفقرة التالية، عندما يصرح «فويجلمان»، بقوله: «عندنا»، «بزاموشتس»، مما يؤكد تمسكه بموطنه الأصلي في الشتات، في مقابل التواجد غير الآمن في دولة إسرائيل.

---

(١) الشامي، الشخصية اليهودية في أدب إحسان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٩، ٢٦٠.

(٢) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٥.

ويستمر الحوار على النحو التالي:

انتظر إجابتي للحظة، وحيث إنني لم أقل شيئاً، فقد رفع صوته، قائلاً: إنهم يقتلون اليهود في الخليل، وفي القدس، وفي الخليل، ليس هناك أمان، لا يوجد أمان! قلت له بعض الأشياء عن (الإرهاب العربي)، وعن محاربته.

وبنظرة جامدة، تعمقت تجاعيد وجهه، وقال بصوت مسحوق: عندنا في «زاموشتس»، قبل الحرب، كانت هناك شوارع في الحي القديم خارج نطاق التجول، كنا نعرف أن من الخطورة السير فيها، وبخاصة في أيام أعيادهم، وعندما يخرجون من الكنائس، أو عندما يكونون سكارى، كان ينقض عليك، دائماً، عدداً من البلطجية، بالضربات، بالعصي، والسكاكين، وبمعجزة فحسب، يمكنك أن تخرج حيا من بين أيديهم، كان هناك قتيل كل عدة شهور.

نفس الشيء... ، الآن، أيضًا، هنا «إسرائيل»، من غير الممكن أن تسير بحرية.. قد خطفوا جنديًا كان واقفًا بالطريق، وقتلوه في مكان مهجور بالجبال، وخطفوا طفلاً، وعاملوه بقسوة، مثل الحيوانات المفترسة، وأطلقوا الرصاص على المتنزهين في الحقول، ويلقون بقنبلة في السوق، إنني أشاهد الجنازات في التليفزيون، في كل يوم جنازة.

العدل يسير أمامه، الله المليء بالرحمة، إن القلب حزين، حزين جداً.. قلت: إنها إسرائيل- زاموشتس[1]..

وهذه الفقرة الطويلة، نسبياً، ذات دلالة قاطعة، فيما يتصل بتأكيد فشل الصهيونية في تحقيق أحد شعاراتها الأساسية، وهو الملجأ الآمن لليهود في الدولة اليهودية.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

فإذا كان يهود «زاموشيتس»، قد تعرضوا للاضطهاد، والقتل على يد الأوربيين، وإذا كان الحل الصهيوني قد طرح إقامة دولة يهودية، لكي تجنبهم هذا المصير، ولكي تكون بالنسبة لهم بمثابة «ملجأ آمن»، فإن ما كان يحدث لليهود في أوروبا الشرقية، مازال يحدث، ويتكرر في الدولة اليهودية، بصورة أخرى، ولأسباب مختلفة، ويتعرض يهود إسرائيل للقتل في الحروب المتوالية، ويتعرضون للقتل، حينما تحاول إسرائيل أن تفرض على الفلسطينيين سلاماً مهينًا، وغير عادل.

ومن هنا فإن مقولة «الملجأ الآمن»، أصبحت وهمًا يدركه كل من «يهود الشتات»، ويهود إسرائيل على حد سواء، بل ربما كان «الشتات»، الآن، أكثر أمنًا من إسرائيل، وهذا ما أراد «ميجد» أن يثبته، ويؤكده بتعاطفه مع «الشتات اليهودي»، بتاريخه، وتراثه، وثقافته، ولغته. ومع واقع «الشتات اليهودي»، الآن، في أوروبا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، الذي يعيش اليهودي فيها، وهو يشعر بيهوديته، أكثر مما يشعر بها في إسرائيل، والذي لا يتعرض فيه، الآن، للاضطهاد، أو القتل. وهكذا قام «ميجد» بتقييم ونقد للصهيونية، ولواقع الدولة، مما يشير إلى فشل الصهيونية في تحقيق ما هدفت إليه، على المستوى المعنوي، والمادي ليهود العالم.

وإذا كان العالم الأدبي، هو بمثابة وثيقة تاريخية، وخاصة إذا تضمن أية إشارات زمنية، ومكانية مأخوذة من الواقع، بشرط الإشارة إلى ما يتعلق بالإنسان، فإن «ميجد» في الفقرة السابقة، يشير إلى الفترة الزمنية، التي سبقت الحرب العالمية الثانية، ومدى ملاحقة اليهود، والتنكيل بهم في أوروبا، في الأماكن الحقيقية لتواجدهم، ويختار مكانًا محدداً، ومعروفاً، يشير إليه في الرواية هو «زاموشتس»، فقد استطاع «ميجد» من خلال الحوار في هذه الفقرة، أن يرسخ قواعد استلهام التاريخ، من حيث المكان، والزمان، وذلك من خلال ذكر الحرب، كزمان عابر،

وذكر الوقت الراهن المعاصر، عندما جاء على لسان بطل الرواية «الآن، أيضًا، هنا»، إنها ثلاث كلمات فقط، ولكنها تدلل على الزمان «الآن»، المعاصر، وعلى المكان «هنا»، «إسرائيل».

وكذلك، فإن كلمة «أيضاً»، تدل على حتمية المصير المكتوب على اليهودي، سواء في «الشتات»، أو في إسرائيل، من إحساس بالغربة، والاغتراب، وعدم الأمان، لتوقع التعرض للقتل، في أي وقت.

وهنا تبرز واقعية «ميجد»، في رصد واقع المجتمع الإسرائيلي.

ثانيًا : رفض التاريخ اليهودي :

يمثل التاريخ جذوراً يعتز بها كل مواطن، اعتزازاً يعبر عن الانتماء، وحب الوطن، بماضيه، وحاضره، وعندما يفتقد الإنسان هذا الانتماء، ويرفض تاريخه، فإن هذا يعد لوناً من ألوان الاغتراب.

«إن اليهود ينظرون إلى تاريخهم على أنه تاريخ مأساوي متواصل، وينظرون إلى الشتات اليهودي في العالم، على أنه ظاهرة ملازمة للوجود اليهودي عبر التاريخ، بحيث أنهم يقدمون تاريخهم، على أنه عبارة عن فترات، ما بين طرد من مكان وآخر، وبين نظام حكم وآخر، اعتبارًا من أشور، وبابل، واليونان، وروما، وبيزنطة، والإسلام، والمسيحية، وهو في الأساس تاريخ أقليات، أكثر منه تاريخ شعب. ومن هنا، فإن الوعي اليهودي عبر التاريخ، ترسخت فيه مشاعر الإحساس بالعزلة، والضعف، والخوف، والتشكك، والتعرض الدائم للخطر، مع إحساس متزايد بأنه ليست هناك قوة تقف إلى جوارهم تحميهم، وتدافع عنهم، وخاصة أن الرب تخلى عنهم، وتركهم يعانون من عقابه، الذي فرضه عليهم، لما اقترفوه في حقه

من أخطاء، وآثام[1].

وفي رواية «فويجلمان»، يصور الكاتب رفض جيل الشباب الإسرائيلي للتاريخ اليهودي، من خلال شخصية الشاب «يوآب»، وهو نجل بطل الرواية «تسفى أربيل»، أستاذ التاريخ بالجامعة.

ومن خلال الحوار بين «يوآب»، ووالده، تتضح الصورة على النحو التالي:

ـ «عندما كانوا يسألونك عن وظيفة والدك، كنت تقول: «الحاخامية»، كان لديك دائماً حاسة سخرية.

ـ حاول إثارة اهتمامك بالتاريخ اليهودي – وهي مادة «كرهتها» أنت بالمدرسة، هكذا حرصت – بواسطة روايات تتضمن توتراً، وأحداثاً. وأحضرت لك كتباً أثارت اهتمامي، عندما كنت في مثل عمرك. «ساحر كستيليا اليهودي زايس»، في ظل «شجرة الشنق».

وكنت تفتح هذه الكتب، وتلقي بنظرة خاطفة على السطور الأولى، وتوجه إلى نظرة هزلية، كما لو كنت تقول لي : أنت تسخر مني، أو ماذا تريد؟ وتعيد لي الكتب كما لو كنت قد قدمت لك طعاماً فاسداً.

أحياناً كنت أسمع والدتك، وأنا في حجرة عملي، تلقي عليك مواعظ أخلاقية، لماذا تغضب والدك إلى هذا الحد؟ هـ أنت ترى أن هذا يحطمه بالفعل، العلاقة معك، أنا آسف؟ مهنته تطبع عليه الحزن، وجد له مهنة تتيح له فحسب، البكاء معها، وللحقيقة فإن والدتك كانت تفهمك، كانت عواطفها، أيضاً، بعيدة عن موضوعات بحثي، على الرغم من أنها حترمت عملي، وكانت تفاخر بما أنجزته،

(١) الشامي، الشخصية اليهودية...، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٤.

سواء في مجال التدريس، أو في مجال المواد المنشورة، ولم أتذمر منها، وأنا أيضاً، لم أهتم كثيراً بتجاربها البيولوجية[1].

على الرغم من أن «ميجد» له وجهة نظر إيجابية خاصة به تجاه التاريخ اليهودي، والشتات، وتجاه «اليديش»، فإنه كان صادقاً في التعبير عن واقع الجيل الشاب لدولة إسرائيل، الرافض بالفعل للتاريخ اليهودي، ولا يريد الانتماء إليه. وهذه الفقرة واضحة، ومعبرة بصدق عن حياته ومشاعره، حيث نرى أن الشاب «يوآب»، في رواية «فويجلمان»، يتحرج من ذكر مهنة والده أمام زملائه الشباب، مما يعطي الإشارة لتمام الصورة الكاملة للرفض التام من جيل الشباب كله، وحتى تكون الصورة واقعية كما يجب، إذ إنه من الواجب أن تكون الصورة شاملة لأكبر عدد في الواقع، من هنا، يأتي الحكم على جميع الشباب برفضهم للتاريخ اليهودي.

وتكتمل الصورة برفض التاريخ من قبل «نورا»، والدة يوآب، للتاريخ، ورموزه، ورفضه كمهنة تجلب الأحزان لصاحبها، وتدور أحداث رواية «فويجلمان»، مبرزة تبرم «تسفي أربيل»، نفسه من أحزان مهنته، كأستاذ للتاريخ، مما جرَّته عليه من أحزان، وويلات. فمن جراء مساعدته «لفويجلمان»، «رمز الشتات والتاريخ اليهودي»، فقد توازن عائلته، واضطربت علاقاته الأسرية مع نجله «يوآب»، ومع زوجته «نورا»، التي ترفض، تماماً، الشتات، واليديش، وفويجلمان، وفي النهاية تتقطع الأوصال بينها وبين زوجها «تسفي أربيل»، بسبب مساعدته لفويجلمان، وينتهي بها الحال إلى الانتحار.

وبناء على ذلك نجد «أربيل» في إحدى رحلاته لباريس، يريد البعد عن هذا كله، ويعترف في قرارة نفسه، بأن عمله مصدر حزن، وأسى، فيقول:

---

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣.

«قررت بيني وبين نفسي عدم مقابلة «فويجلمان»، وعدم الاتصال به، مطلقاً، حتى يبقى الوقت كله ملكاً لي، وربما من أجل عدم تعكير متعتي «بأحزان يهودية»[1].

وفي موضع آخر:

« لا يوجد شعب، متمسك بذكرى الدمار والكوارث في تاريخه، ويحتفل بها بالصوم، وإحياء الذكرى، والاحتفالات، وألَّف لها المناحي، والصلوات، والأشعار الدينية، وحدد لها المراسم، والطقوس للذكرى، و لرثاء، مثل الشعب اليهودي، حتى أنه في كل يوم عيد وشكر خاص به، يوجد تذكر لخراب أو دمار. ولكن هذه الذكرى التي حفرت في الأعماق، وعليه لم تقطع عنه للأبد، مصير الارتداد لها، ولأحداث مأساوية في تاريخه. والعائدون في تناوله مرة أخرى، وتقريباً، بدون تغيير في أنماط الأساليب، التي تخصه هو نفسه، وما يخص «المتآمرين» عليهن ولو في التغيير نفسه »[2].

من الثابت أن الصهيونية جندت الأدب، بشتى ألوانه، واتجاهاته لخدمة أغراضها الأيديولوجية، وتوجهاتها السياسية، و.لاستيطانية، واحتلال فلسطين، ولكي تؤكد على الحق اليهودي في المطلق في فلسطين، جنَّدت دعاتها للعمل بكل الوسائل، لاستعادة الذكريات التاريخية اليهودية، بما فيها من أحزان، ومآس مستلهمة ذلك من الدين اليهودي، والعهد القديم، حيث يشكل ما يسمى بالـذاكرة اليهودية، إحدى الدعاوى الأساسية لادعاء الحق على فلسطين.

إن الصهاينة يلحون بشكل دائم على إبقاء الوعي العام لليهود، في حالة من التذكر الدائم، كنقطة استقطاب للمشاعر الوطنية. وقد رفعت الصهيونية منذ بداية أيامها مزمار داود، «لتنسني يميني إذا نسيتك يا أورشليم»، شعارًا لها، ورسخته في

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٣.

وجدان الجماهير اليهودية، كما رسخت، ووقرت تلك العادات الدينية اليهودية، القائمة على الارتباط بأيام الحزن والمآسي في تاريخ اليهود، وخاصة إذا ما عرفنا أن الدين اليهودي يتميز بطقوس، وشعائر وعادات وتقاليد، تفوق في مجملها سائر الطقوس والشعائر في الأديان الأخرى. إن الدين اليهودي يتيح الفرصة لليهودي المتدين للتذكر، وبكاء الكوارث، وحمد الرب. وبالرغم من أن اليهودية تركز على الحياة، فإنها تحترم الحفلات الجنائزية، وطقوس الدفن، وتعتبرها إحدى دعامات الحفاظ على الذاتية اليهودية المميزة، ويتمسك حتى العلمانيون من بين اليهود أنفسهم، بطقوس الحداد والدفن، بكافة تفصيلاتها[1].

وهذه التوجيهات الصهيونية تبدو واضحة ومميزة للمجتمع الإسرائيلي، حالياً، «فقد خصص لضحايا النكبة النازية، يوم حداد خاصًا، كما تحدد يوم آخر لذكرى ضحايا الحروب العربية ـ الإسرائيلية. ويبدأ اليوم الأول في ٢٧ أبريل، بصفارات الإنذار، التي تبعث، دائمًا، الرهبة في بلد تسوده حرب دائمة، وتظل تدوي في أنحاء البلاد، لمدة دقيقتين كاملتين، في أشد ساعات الصباح نشاطاً، فتوقف الحركة، تماماً، ويقف المارة في أماكنهم، وفي أنحاء إسرائيل تقام احتفالات خاصة بهذه المناسبة، فتغلق أماكن الترفيه، والمسارح، ودور السينما، والبارات ، والنوادي الليلية، وتصدر كبريات الصحف ملاحق متميزة، ويعقد الكنيست جلسة خاصة، وتبث الإذاعة والتليفزيون برامج خاصة أيضًا، وتحظر البرامج الخفيفة. وفي المدارس يرددون على مسامع التلاميذ ما حدث في «أوشفتيس»، و «ترلنكا»، وأحيانًا، بلغة واقعية، ومريرة، لدرجة تثير احتجاج الآباء، ويجتمع آلاف الأشخاص في «هيئة تخليد ذكرى ضحايا النازية »، التي أقيمت خصيصًا لإحياء ذكرى الكارثة، والتي اشتهرت باسم «يد فاشيم»، للاحتفال بهذه

(١) الشامي ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٠.

المناسبة، في المقابر حول النصب التذكارية»[1].

وإذا عدنا إلى السيرة الذاتية لأهارون ميجد، نجد أنه يعتبر أديبًا مغتربًا في حد ذاته، وذلك طوال مشوار حياته، حيث يقول: «في الحقيقة كنت أشعر في قرارة نفسي حينما كنت في أي فترة من فترات حياتي، بأنني غريب، بين الأطفال في المدرسة، وبين الطلاب في المدرسة الثانوية [الجمنزيا]، وفي حركة الشباب. وفي الكيبوتس». وقد انعكس ذلك على شخصياته، وأبطال رواياته.

وفي الفقرات السابقة علامات بارزة للاغتراب، عبر عنها أبطال الرواية برفضهم للتاريخ اليهودي، وما ينطوي عليه من أحزان، وكان ذلك من خلال توظيف الحوار، ليعرب كل بطل عما يشعر به تجاه الآخرين، وذلك من خلال حوار الراوي الذي يسلكه «ميجد»، في تناوله الواقعي للأحداث، فالبطل في رواية «فويجلمان»، على الرغم من كونه أستاذًا للتاريخ اليهودي «تسفى أربيل»، فإنه يتناول النهج اليهودي لاسترجاع الأحزان القديمة، والاحتفال بها بأسلوب ساخر، أقرب إلى الرفض، والنفور من هذا التوجه المعروف والثابت في المجتمع الإسرائيلي. وعندما يرغب في حياة هادئة طيبة طبيعية. نجده يتنصل مما تفرضه عليه مهنته، ويبتعد، تمامًا، عن كل ما يذكره بالتاريخ اليهودي: «قررت بيني وبين نفسي عدم مقابلة «فويجلمان»، للإعراب عن رفض التاريخ اليهودي، وأحزانه، فإن الأديب «حاييم هزاز»، قد استخدم أسلوب الوعظ والخطابة، من خلال خطاب بطل روايته «الموعظة»، يودكا، أمام رئيس «الهجاناه»، وأعضاء اللجنة، الذين سلب أحدهم زوجته، الأمر الذي أدى إلى تصدع في فكره الثقافي، والاجتماعي، وإحساسه بانهيار المعايير والقيم، التي تحكم سلوك الفرد، وتصرفاته، ووقوفه على جمود هذه القيم، وعدم فاعليتها كما أدى إلى تفاقم إحساسه بالغربة، وهامشية دوره في الحياة،

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

فبدأ موعظته أمام اللجنة، بقوله: «إنني أريد أن أعرف ماذا نفعل هنا في فلسطين؟..» إنني لا أحترم التاريخ اليهودي، فليس لدينا تاريخ بالمرة.. لسنا نحن الذين صنعنا تاريخنا، وإنما صنعته لنا الشعوب الأخرى... إنه لا يخصنا بالمرة، أيها الناس ليس لنا تاريخ، فنحن منذ اليوم الذي خرجنا فيه من فلسطين، ونحن شعب بلا تاريخ. أنتم معافون، اذهبوا لتلعبوا كرة القدم.

«إنني أعرف أن هناك بطولة في صمودنا أمام كل ما تعرضنا له، لقد وضعت هذا في الاعتبار، أيضًا... ، ولكن هذه البطولة لا أهضمها، ولا أستسيغها... ، هذه البطولة هي ضعفنا. لقد بدأنا نتفاخر بهذه البطولة، ونتباهى بها». الواحد منا، يقول: انظروا كم من الإهانة والخزي تحملت! من مثلي؟ إننا لا نتحمل الآلام فحسب، بل أكثر من ذلك إننا أيضًا، نعشق الآلام... إننا نريد الآلام، ونسعى إليها، تشتاق لها، فبدونها لا حياة لنا، هل رأيتم عمركم يهوديًا بلا آلام؟» [1].

وفي الحقيقة فإن «حاييم هزاز»، أديب مغترب، أيضاً، أو يمكن أن نسميه بصورة أكثر دقة، أديب يشعر بالعزلة. ورواية الموعظة تعكس هذه العزلة بوضوح، كما أن مفهوم الاغتراب والعزلة لنا، يكمن أو يتمثل في الأشخاص الذين لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم، التي يقدرها أفراد مجتمعهم، وهذا مرسوم بوضوح في تلك الرواية، فهو أديب ينتمي إلى الأدب العبري والفلسطيني، والإسرائيلي، وهو في معظم أعماله، رافض للواقع الإسرائيلي حتى الستينيات من القرن الماضي، وإنتاجه يعكس تغير القيم، وتغير واقع الحياة الإسرائيلية، وتغير الأنماط في المجتمع الإسرائيلي.

(١) د. أحمد حماد، الاغتراب في الأدب العبري المعاصر، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد الرابع والعشرون، العدد الثالث يناير/ مارس ١٩٩٦، ص ٥١.

لقد رفض بطل «ميجد»، التاريخ اليهودي في الشتات، ورفض الانتماء له، وكذلك رفض «يودكا»، «بطل هزاز»، الانتماء للتاريخ، والأرض معًا.

وإذا كان «ميجد» قد رصد في رواياته لواقعية، الاغتراب الوجودي الضارب بجذوره في قلب المجتمع ،الإسرائيلي، معبراً عن الانفصال التام، وعدم التأقلم بين الإنسان والأرض، التي يعيش عليها، فإنه قد ذهب لأبعد من هذا ليرصد اغترابًا من نوع آخر. وهو الاغتراب عن الأصل اليهودي، في حد ذاته، والتنصل من الانتماء لليهودية.

ففي رواية «فويجلمان»، نجد أن شخصية الشاب «أروينج»، تمثل شباب الشتات الذي تربى على الثقافة الأوروبية، والبيئة الغربية، وينظر إلى نهج الآباء، وهجرتهم إلى إسرائيل، على أنه نوع من المغالطة، لأنه لا يجوز استبدال الثقافة الأوروبية الأصيلة، بثقافة جديدة مرتجلة في إسرائيل، بل وأن قيام دولة إسرائيل نوع من المغالطة، في حد ذاتها، من وجهة نظرهم، «كما ورد من قبل».

وخلال زيارة «أورينج» لإسرائيل للمرة الأولى، تنتابه الدهشة من سلوكيات وتصرفات الناس بالقدس، فيتساءل باحثًا عن مصدر هذه السلوكيات، ويحاول «أربيل» « كأستاذ للتاريخ اليهودي، وبخبرته الواسعة في مثل هذه الأمور، أن يقنعه، ولكنه لم يقتنع، ويتساءل، قائلاً:

من أين يأتي هذا التوجه للإسرائيليين؟ - طلب أروينج توضيح – هل هذا نابع من صفحات اليهود الأسلاف؟

لكن، لا، اليهود في الواقع كثيرو الضجيج والصخب.

ولكن تجاه الغرباء، يوجد بهم رعب، ربما خوف، أيضًا، أيا كان... هل هذا طابع خاص بالجيل الجديد الذي ترعرع هنا، على تلك الأرض؟

قلت عددًا من الأمور حول الجيل الأول للخلاص، حيث يوجد بهم من

السماحة في تحمل العبء، للخروج للحرية من سجن الشتات، فعلى ذلك قد حطم المسلمات الاجتماعية.

وبناء عليه، قلت عددًا من الموضوعات عن الجماعة، قبل أن تتبلور، ولم يكن لها تقليد من الآداب، والسلوكيات، ولكن تعبير عينيه اللتين كانتا مصوبتين تجاهي، دون حركة، بشيء من الغرابة، ،لم يقتنع، سألته إن كانت هذه زيارته الأولى للبلاد (إسرائيل)، وإذا كانت كافية لرؤية شيء ما هنا، في تلك الأيام القليلة.

قال: نعم، هذه زيارته الأولى[1].

يهتم «ميجد» بالإنسان في أعماله الأدبية، وليس الإنسان بشكل فردي، فالصورة الواقعية الصادقة، لابد وأن تعبر عن غالبية، أو كثرة، وهو كأديب واقعي يرسم الصورة المعبرة عن الجماعة، وفي تلك الفقرة يصدر حكمه على هذا الجيل بالكامل، وهو جيل «الصباريم»، الذي ولد وترعرع في فلسطين، حيث يضفي على هذا الجيل، صفات الخوف، والرعب تجاه الغرباء، مما يبرهن عن الحالة العامة للمجتمع، وهي حالة عدم الأمان، والشعور بالاغتراب، وعدم الاستقرار على الأرض، التي تربى عليها هذا الجيل.

ومن خلال نفس الشخصية «أروينج»، يعرض «ميجد»، قمة الاغتراب، والتنصل من الأصول اليهودية في الصميم، حيث يصرح «أروينج»، بأنه على الرغم من كونه يحمل أصولاً وجذورًا يهودية، فإنه لا يشعر في داخله بأنه يهودي، وهذا ما صرح به لـ «تسفي أربيل»، الذي يقول:

«وقال: من أجلي، ومن أجل الحقيقة، كل هذا لا يقال كثيراً، من الصعب على

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٩١.

القول بأني أشعر في قرارة نفسي بأني يهودي، علاوة على الأصل، كما هو واضح أمر لا يتعلق بي»[1].

لابد من التوقف أمام شخصية «أروينج»، حتى نزيح الستار عن سبب هذا التنصل من جذوره اليهودية، على الرغم من اقتناعه بأن أصوله، وجذوره مربوطة، ومتعلقة باليهودية؛ وهنا تضع أيدينا على ثقافته وبيئته، فهو تربى تربية أوربية، بكل ثقافاتها، وتوجهاتها الرحبة، حيث شكلت وجدانه، واقتناعه بهذه الثقافة، وتلك البيئة. ومن هنا، تضاءلت أمامه الثقافة اليهودية في إسرائيل، وأعرب عن رفضه لها، وانتقد بشكل ساخر، حيث سبق وأن انتقد من قبل قدوم والده إلى إسرائيل، حينما كان يبحث عن الدفء العائلي بين بني جلدته، ولكنه لم يعثر عليه.

ومن المعروف أن قضية تعريف اليهودي، «من هو اليهودي»، ما تزال مثارة، حتى الآن، وقد اقترح أ.ب. يهوشوع أن يكون التعريف بتلك الكلمات «اليهودي هو الإنسان الذي يرى في داخله بأنه يهودي»[2].

وهذا التعريف بكلماته الموجزة، هو الذي أعرب عنه «أورينج»، بالسلب في الفقرة السابقة، مشيرًا إلى عدم يهوديته في الأصل، لعدم إحساسه في قرارة نفسه بأنه يهودي.

وهنا، يحسب للكاتب تعمقه في داخل الإنسان، ليفرز مشاعره الداخلية، ويعبر عنها بلسانه، وهذا هو نهج «ميجد» كأديب واقعي، يولي اهتماماً كبيرًا بالإنسان، وتوجهاته، وما يعترض سبيل حياته، من مشاكل، ومعوقات، هي بالفعل قائمة في المجتمع الإسرائيلي.

(١) المصدر نفسه، ص ٩٣.

(٢) أ.ب. يهوشواع، بزخوت هنورماليوت خميش مسوت يشئيلوت هصيونيت. دار نشر شوكن - القدس - تل أبيب، ١٩٨٠، ص ١١٠.

الخاتمة

الخاتمة

نخلص في النهاية، من خلال دراسة حياة الأديب الإسرائيلي «أهارون ميجد»، وأعماله الروائية الواقعية إلى رصد نقاط الضعف في إسرائيل، من جهة، ورصد التحول في الرؤية السياسية الإسرائيلية، تجاه الشخصية الفلسطينية، والقضية الفلسطينية، من جهة أخرى.

وذلك من خلال نصوص أدبية نابعة بصدق من أرض الواقع.

أولاً: نقاط الضعف، وتتمثل في:

١- افتقاد المجتمع الإسرائيلي لطبيعته الاجتماعية الإنسانية، كسائر المجتمعات، وذلك لكون الحروب المستمرة قد طبّعته بطابع حالة الحرب من ترقب، وعدم استقرار، وغلبة روح العدوان، والقتل على روح المجتمع.

٢- افتقار المجتمع الإسرائيلي إلى الانتماء، مع الإحساس بالاغتراب على الأرض، لعدم وجود جذور حقيقية تؤصل الارتباط بها في الواقع، مع عدم الإحساس بالأمن والأمان عليها.

٣- استمرار الصراع بين ثقافة لغة «اليديش» الشرق أوروبية، واللغة «العبرية»، وتمسك يهود الشتات باليديش، والدفاع عنها، وعن ثقافتها، مما يؤكد صعوبة الاندماج بين الأجيال والطوائف المختلفة المهاجرة، داخل إسرائيل.

٤- نزوح الشباب «الصباريم» خارج إسرائيل، بحثاً عن مستقبل آمن، بعيداً، عن توترات المجتمع الإسرائيلي، وحالة عدم الاستقرار.

٥- رفض الشباب اليهودي الذي تربى في الغرب لسياسة إسرائيل- وأحياناً، للدولة في حد ذاتها- في عدوانها على جيرانها، وتدخلها في شؤونهم، وشنها

الحروب، ورفض الثقافة العبرية لتدنيها عن ثقافة الغرب، التي نهل منها، وبالتالي يرفض الهجرة، والانخراط، تحت لواء إسرائيل.

٦- استمرار الصراع بين العلمانيين والمتدينين، وكذلك عدم حسم قضية الزواج المختلط، والهُوية اليهودية؟

ثانياً: التحول في الرؤية الإسرائيلية تجاه القضية الفلسطينية:

١- الاعتراف بالهُوية الفلسطينية للأراضي المحتلة، والاعتراف بالشخصية الفلسطينية، من حيث الذكاء، والقوة، والأصالة، سواء الشخصية المثقفة، أو البدوية.

٢- يتبنى «ميجد» رؤية خاصة بحل النزاع العربي ـ الإسرائيلي، وهي الأرض مقابل السلام، وضرورة الحوار مع الفلسطينيين، ومن ثم كان الرصد واقعياً لما أضفاه من صفات إيجابية للشخصية الفلسطينية، حيث يأتي ذلك متمشياً مع رؤيته في الحوار بين الطرفين، وذلك بصورة صادقة من الواقع، وقد تأكد صدقها من خلال ما تم من حوار واتفاق بين الطرفين في مباحثات أوسلو (١٩٩٣)، كان من نتيجتها عودة أجزاء من الأراضي المحتلة، لأصحابها الفلسطينيين.

وبعد، يقول « يوري أفنيري» أحد دعاة السلام وواحد من مؤسسي حركة « السلام الآن » بإسرائيل : « إن تاريخ بن اليعيزر حافل بمثل هذه الجرائم، وما حدث هو جريمة حرب، وإنه شخصيًا رفض تنفيذ أوامر خلال حربي ١٩٥٦، ١٩٦٧، بارتكاب جرائم مذابح مماثلة، وإن هناك عسكريين وسياسيين في إسرائيل عددهم غير قليل أيديهم موثة بارتكاب مثل هذه الجرائم ».

وهذا يدعم ما توصلنا إليه من خلال الدراسات الأدبية وتحليل النصوص المعبرة عن اتجاه الواقعية في الأدب الإسرائيلي المعاصر عند الكاتب « ميجد»، حيث أورد ما رواه أفنيري بكل تفاصيله.

المؤلف في سطور

- دكتور عبد الرازق سيد سليمان:
- ليسانس لغات شرقية (تخصص لغة عبرية) .
- والإلمام باللغات الفارسية والتركية وقواعد اللغة السريانية .
- دراسات تمهيدية للماجستير - كلية الآداب - جامعة عين شمس.
- ماجستير في واقعية الأدب الإسرائيلي المعاصر بتقدير ممتاز.
- دكتوراه في الأدب الإسرائيلي المعاصر (موضوع الشتات اليهودي ودوره في دعم وجود إسرائيل) بتقدير مرتبة الشرف.
- دراسات حرة بالولايات المتحدة الأمريكية في مجال التدريس والتقييم وتفعيل البحوث العلمية.
- دراسات حرة بالخارج في النقد الأدبي.
- دراسة البيديش (لغة اليهود بالشتات) والإلمام باللغات الألمانية والفرنسية وإجادة اللغة الإنجليزية بامتياز.
- عضو جمعية خريجي اللغات الشرقية وجمعية المترجمين.
- عدة مقالات ودراسات وبحوث حول الشأن الإسرائيلي (المستوطنات- وابناء بالقدس الشرقية - قضية السلاح النووي - والصراعات الطائفية بإسرائيل - والحركات اليهودية الرافضة للدولة).
- مدرس اللغة العبرية وآدابها والدراسات الإسرائيلية المعاصرة.
- رئيس شعبة البيانات والمعلومات بمركز الدراسات الإسرائيلية. معهد الدراسات والبحوث الآسيوية جامعة الزقازيق.
- حاصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الثانية من رئيس الجمهورية مايو ٢٠١٠.

الفهرس

الموضوع الصفحة

إهداء ٣

تقديم ٥

مقدمة ٩

تمهيد.. ١٥

اباب الأول : قضية الأسرى وحربي الاستنزاف وأكتوبر في الأدب الإسرائيلي.......... ٢٣

الفصل الأول : قضية الأسرى والمعتقلين في حرب (١٩٥٦):........................ ٢٦

الفصل الثاني: حرب الاستنزاف والسادس من أكتوبر ١٩٧٣ والثغرة برؤية الأدب الإسرائيلي ٣٨

-حرب الاستنزاف، ودورها في كسر شوكة الجندي الإسرائيلي، رغم التدريبات المكثفة: ٤١

-التحول في أحداث الحرب (الثغرة): ٤٥

الفصل الثالث: آثار حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ على المجتمع الإسرائيلي ٥٤

المبحث الأول: نزوح الصباريم ٥٤

المبحث الثاني: معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل والتخلي عن سيناء................ ٥٨

المبحث الثالث : المزج بين الواقع والخيال حول امتلاك إسرائيل للقوة الخارقة ٧١

المبحث الرابع: المكان كسمة من سمات واقعية الرصد التاريخي ٨٠

سيناء ومعاهدة السلام ٨٠

المبحث الخامس : حرب لبنان ١٩٨٢ .... ٨٩

الباب الثاني: رؤية جديدة لصورة الفلسطيني في الأدب الإسرائيلي ٩٣

الفصل الأول: الواقعية في تناول الشخصية والقضية الفلسطينية في روايات ميجد ٩٥

- أولاً: شخصية الفلسطيني المثقف: ١٠١

-ثانياً: الشخصية الفلسطينية البدوية: ١٠٦

الموضوع	الصفحة
- ثالثاً: عادات وتقاليد العرب البدو في سيناء:	١١٢
- رابعًا: القضية الفلسطينية في روايات «ميجد»:	١٢٠
الفصل الثاني : الواقعية في تناول العلاقة بين يهود الشتات وإسرائيل في روايات ميجد	١٣٧
- قضية «الزواج المختلط»، ومن هو اليهودي؟	١٥٠
- الصراع بين ثقافة الشتات والثقافة العبرية	١٥٥
- تاريخ الشتات اليهودي	١٦٢
الفصل الثالث:الاغتراب الوجودي للشخصية الإسرائيلية كسمة للواقعية في روايات ميجد	١٧٠
تعريف الاغتراب: Alienation	١٧١
- أولاً: الإحساس بعدم الأمان في إسرائيل	١٧٤
- ثانيًا: رفض التاريخ اليهودي	١٨٣
المؤلف في سطور	١٩٣
الخاتمة	١٩٧
الفهرس	١٩٨